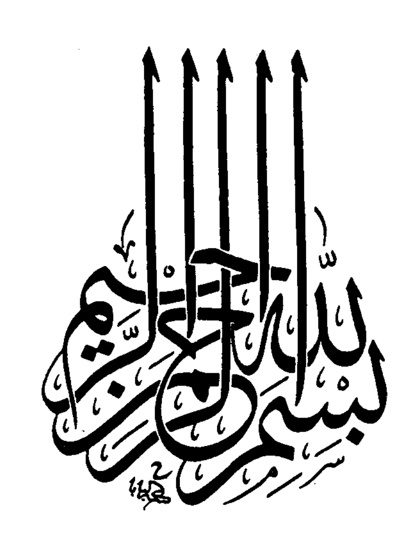
لطائف الأخبار
وتذكرة أولي الأبصار

للقاضي
أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي
٤٤٧ هـ

تحقيق
الدكتور/ علي حسين البواب

دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
الرياض


بسم الله الرحمن الرحيم

لطائف الأخبار
وتذكرة أولي الأبصار

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



دار عالم الكتب

للطباعة والنشر والتوزيع

العليا - غرب مؤسسة التحلية - ت : ٤٦٥١٦٨٩ / ٤٦٣١٧٢٢

ص.ب. ٦٤٦٠ - الرياض ١١٤٤٢ - تليفاكس : ٤٦٣١٣٣٦

المملكة العربية السعودية

حمداً لله تعالى على ماأولانا من النعم ، وأفاض علينا من العطاء والكرم ، وصلاة وسلاماً على إمام المهتدين،وسيّد الأنبياء والمرسلين ، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين .

وبعد

فقد أُولع العرب بالأخبار والأشعار ، وتداولوها ودوّنوها ، وألّف العلماء كتباً عديدة تُعنى بالقصص والحكايات التاريخية ، وبآداب السمر ، والنوادر والطرائف .

وبين أيدينا كتاب جمع فيه مؤلفه مائة خبر ، وصفها بأنّها حوت من كلّ معنى لطيف ، وأنها مسندة صحيحة ، ضمنها أخبار الخلفاء والولاة والعلماء والشعراء ، وأخبار الشجاعة والكرم والبخل ، وقصصاً تاريخية وأدبية ونقدية ، وبعض حكايات العشاق ومناظرات ومحاورات ومفاخرات ... وغيرها .

وهذا الكتاب عرفته منذ سنوات ، وحصلت على مصورة لمخطوطته ، وكنت أقرأ فيها مرة بعد مرة ،فتجدني أتحمس للكتاب أحياناً فأشتغل به ، ثم ماألبث أن أتراجع وأتوقّف ، وأعمل في غيره .

وكان الذي يصرفني عن الكتاب أمور ، منها :

أنني لم أستطع باديء الأمر أن أتعرّف صاحب الكتاب ، أو أن أجزم يقيناً لمن هو . وأن الكتاب نسخته فريدة ، وهي مع ذلك كثيرة المشكلات ، بحيث يصعب أن يُحقّق الكتاب عنها وحدها ، ثم إن في الكتاب بعض الأخبار غير المشجّعة ، وأخباراً لم أستطع الاهتداء إلى مظانّها .

وفي مقابل ذلك كان يحفزني على العمل به ، أن فيه بعض الأخبار الجيدة ، وأن أخباراً فيه قد لاتكون موجودة في غيره ، أو طريقة عرض المؤلف لها تختلف صوغاً وبسطاً عما في غيرها ، وأن أخباره المرغوب عنها ليست كثيرة مقارنة بالجيد منها ، على أن كتب الأدب والأخبار والسمر لاتخلو من مثل هذه الأخبار ، بل من هذه الكتب مايغلب سيئه على حسنه ، كما أن للمؤلف شخصية ورأياً في التعليق على الأخبار التي يرويها .

وبعد أن ترجّح عندي معرفة المؤلّف ، وتمكّنت من قراءة النص وتقويمه - إلا قليلاً ، وتخريج الكثير منه ، رأيت أن أُخرج الكتاب .

مؤلف الكتاب :

كتب على وجه الورقة الأولى من مخطوطة الكتاب بعد عنوانه : « تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة القاضي علي التنوخي عفا الله عنه آمين » .

وأعرف يقيناً من تجربتي في تحقيق النصوص وفهرسة المخطوطات أن

مـايكتب على العنوان لايكفي للقطع باسم الكتـاب والمؤلف ، ولكنه قـد يكون دليلاً .

ومن هذه العبارة انطلقت أبحث في الكتاب ، وأتعرّف مؤلّفه ، فكانت أول العقبات أن المؤلف لايذكر اسم شيخ من شيوخه ، ولا عالماً يروي عنه ، ولم يعط أية معلومة ترشد إلى شخصه . ورغم أن الكتاب -كما يقول هو- مسند ، ألا إن طريقته في الإسناد لاتقوم على ذكر السلسلة السندية للكتاب ،والتي كان يمكن أن يتيسّر لنا تعرّف مؤلفه ،بل يقول : وبالإسناد ، أو : وبالإسناد عن الأصمعي ، وبالإسناد عن المبرد ، وبالإسناد عن ابن الكلبي ، وبالإسناد عن . . وهكذا .

ولكننا نجده في أكثر الأخبار يعقّب بقوله : قال القاضي .

وهذه العبارة - مع ماكتب على المخطوطة - جعلني أميل إلى أن يكون الكتاب لأحد القضاة التنوخيين الأخباريين الأدباء ، وقد وجدت أمامي ثلاثة ، وهم :

القاضي أبو القاسم ، علي بن محمد بن داود ؛ التنوخي ، ولد بأنطاكية سنة ٢٧٨هـ، ثم قدم بغداد سنة ٣٠٦هـ ، ونال شهرة فيها ، وتولّى القضاء في عدد من المناطق ، وتوفّي بالبصرة سنة ٣٤٢هـ . وقد اشتهر أبو القاسم هذا بمعرفته عدداً من العلوم،فهو فقيه ، مناظر على مذهب المعتزلة ،

أديب ، شاعر ، عالم بالعروض والقوافي وغيرها من العلوم . وله أخبار وقصص كثيرة مع أهل عصره ، أفاضت كتب الأدب بذكرها [1] .

ثم ابنه أبو علي ، المحسّن . ولد بالبصرة سنة ٣٢٧هـ ،وتعلّم وتفقّه ، وصارت له مكانة كبيرة ، وولي القضاء في أماكن متعددة ،وأفاد من أبيه ، ومن علماء وأدباء عصره كابن داسة ، والصولي ، وأبي الفرج الأصبهاني وغيرهم ، وألّف كتباً أشهرها : الفرج بعد الشدة ، ونشوار المحاضرة ، والمستجاد ، وقد توفي سنة ٣٨٤هـ [2] .

ثم الحفيد أبو القاسم ، علي بن المحسّن بن علي ، ولد بالبصرة سنة ٣٦٥هـ ، ونال مكانة كأبيه وجدّه ، وتقلّد قضاء نواحٍ عديدة ، وهو شيخ الخطيب البغدادي ، وقد توفي سنة ٤٤٧ هـ [3] .

وعناية التنوخيين الثلاثة بالأدب والأخبار،وحفظهم للأشعار وروايتها ، من الأمور التي اتّفق الرواة عليها ، بل روي عن الجدّ أخبار تدلّ على حدّة

---

(١) ينظر ترجمته في : يتيمة الدهر ٢/٣٣٥ ، وتاريخ بغداد ١٢/٧٧ ،ووفيات الأعيان ٣/٣٦٦ ، ومعجم الأدباء ١٤/١٦٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/٤٩٩ ، وميزان الاعتدال ٣/١٥٥ ، ولسان الميزان ٣/١٥٣ .

(٢) ينظر : يتيمة الدهر ٢/٣٤٥ ، وتاريخ بغداد ١٣/١٥٥ ، ووفيات الأعيان ٤/١٥٩ ، ومعجم الأدباء ١٧/٩٢ ، والسير ١٦/٥٢٤ .

(٣) ينظر : تاريخ بغداد ١٢/١١٥ ، ووفيات الأعيان ٤/١٦٢ ، ومعجم الأدباء ١٤/١١٠ ، وفوات الوفيات ٣/٦٠ ، والمنتظم ٨/١٦٨ ، والكامل ٩/٦١٥ ، والبداية والنهاية ١٢/٦٧ ، والسير ١٧/٦٤٩ ، والميزان ٣/١٥٢ ، ولسان الميزان ٤/٢٥٢ ، والنجوم الزاهرة ٥/٨٥ .

(١) تاريخ بغداد ١ / ٥٢ ، وينظر ص ٢٠٦ .

ذكائه وكثرة حفظه ، ثم إن مؤلفات الابن المحسّن أيضاً تدل دلالة واضحة على ذلك ، وورث الحفيد هذه الصفات .

وقد ترجّح عندي أن يكون الحفيد أبو القاسم علي بن المحسّن التنوخي هو مؤلّف الكتاب ، لأمور عدّة ، منها :

أنه أحد التنوخيين القضاة الذين نسب إليهم الكتاب ، وأحد العليَّيْن منهما ، وقد روى الخطيب البغدادي عن أبي القاسم علي التنوخي شيخه أخباراً كثيرة ، بعض هذه الأخبار يتّفق مع مافي كتابنا هذا ، منها :

وأنشدنا التنوخي ، قال : أنشدنا أبو أسعد محمد بن علي بن محمد ابن خلف الهمداني لنفسه :

فدى لك يابغدادُ كلَّ قبيلة　　　من الأرض حتى خطّتي ودياريا[1]

أخبرنا التنوخي .... قال مسلم بن الوليد ثلاثة أبيات .... [2]

أخبرنا التنوخي والجوهري .... أخبرنا إسحق بن إبراهيم الموصلي قال : دخلت على أمير المؤمنين الرشيد يوماً ، فقال : أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصري　　　فذلك شيءٌ ما إليه سبيلُ [3]

---

(٢) تاريخ بغداد ١٣ / ٩٧ ، وينظر ص ٥٨ .

(٣) تاريخ بغداد ١٤ / ١٠ ، وينظر ص ١٥٦ .

(١) وقد ذكرت في الفرج : الصفحات : ١٢٠ ، ٢٠٧ ، ٢٨٣ ، ٧٠ .

وتتّفق بعض الأخبار ، وصوغها في هذا الكتاب مع مافي كتابي « الفرج » و « المستجاد » المنسوبين للمحسّن والد أبي القاسم ، ولايكاد يكون هناك اختلاف إلا في بعض الألفاظ . فالأخبار : الرابع عشر ، والرابع والخمسون ، والثامن والخمسون ، والمائة ، وردت في كتاب « الفرج » (١) . والخبران الرابع والأربعون ، والثامن والخمسون ذُكرا في « المستجاد » (٢) ويلحظ أن الخبرين الرابع والأربعين والثامن والخمسين تكرّرا في الكتب الثلاثة .

وفي كتابنا هذا إحالة على كتاب «الأجواد »،ففي الخبر السبعين قال : قال القاضي : كان في آل النبي ﷺ في ذلك الزمان جوادان معدوما النظراء ، وهما عبد الله بن جعفر ، وعبيد الله بن العباس ، وأخبار جودهما مشروحة في كتاب « الأجواد »(٣) ، ولم يذكر لمن الكتاب ، وربما كان المقصود كتاب « المستجاد » لوالده .

وقد توافقت كثير من الأخبار التي وردت في هذا الكتاب مع مافي كتاب أبي الفرج « الأغاني »(٤) ، ومعلوم أن أبا علي المحسّن والد مَن ننسب الكتاب إليه كان تلميذاً لأبي الفرج ،وروى عنه كتاب « الأغاني » ،

---

(٢) في صفحتي ١٥٩ ، ٨١ .

(٣) ينظر : المستجاد (بتحقيق محمد كرد علي) ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ٢٢٠ .

(٤) تمتلىء حواشي الكتاب بنماذج لذلك .

(١) ينظر ص ٢١٥ .

(٢) السير ١٧ / ٦٥٠ .

كما أن في «المستجاد» و « الفرج » أخباراً عديدة عن أبي الفرج ·

ومع هذا كله فقد أجمعت المصادر التي تحدّثت عن أبي القاسم الحفيد أنه كان متشيّعاً يميل إلى الرفض ، وروح التشيّع ، والتعصّب لآل البيت ، والغضّ من غيرهم ، ظاهر جليّ في هذا الكتاب ·

وأنبه هنا على أن المؤلف ذكر لنفسه كتاب « نقد الشعر » [1] ، ولكن هذه الإشارة لم تفدني في شيء ·

وفي مقابل هذه الأدلّة لم نقف على دليل نفي يبعد أن يكون الكتاب له ، فالأخبار التي في الكتاب كلّها متقدّمة ، ومن أُسندت إليهم الأخبار كلّهم متقدّمون ، وآخر من روي لهم شعر في الكتاب - فيما نُسب أو تمكنت من نسبته هو أبو الطيب المتنبي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ ·

وعدم ذكر الكتاب في المصادر ، أو عدم نسبة العلماء لأبي القاسم كتاب الأخبار الذي نتحدّث عنه لاينفي نسبته إليه · فالكتب التي ترجمت له - على كثرتها - اقتصرت على ذكر مولده وشيوخه ، وتولّيه القضاء ، وعنايته بالأدب ، وميله إلى الاعتزال والتشيّع · وكان الذهبي الوحيد - فيمن رجعت إليهم - هو الذي ذكر أن له كتاب « الطوالات » (٢) ، دون أن يذكر لنا موضوعه أو شيئاً عنه ·

---

(١) وهي طبعة البستاني التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب ، ونسب صحيحاً لوالده في طبعة محمد كرد علي ·

وأشير هنا إلى أنه قد حدث خلط غير قليل بين التنوخيين الثلاثة ، وبخاصة بين الجدّ والحفيد ، لاتّفاقهما في الاسم والكنية واللقب . ومن مظاهر هذا الخلط أن نجد كتاب « المستجاد » في إحدى طبعتيه [1] ينسب للحفيد أبي القاسم علي ، وأن نجد فيه حكايات على لسان علي بن المحسن[2] ، وفي « النجوم الزاهرة » نسب« الفرج » لأبي القاسم الجدّ[3] .

هذه بعض الأمور التي جعلتني أرجّح أن يكون الكتاب لأبي القاسم التنوخي ، المتوفى سنة ٤٤٧هـ ، وآمل أن يكون ترجيحاً صحيحاً .

أما عنوان الكتاب : فقد كتب على وجه الورقة الأولى من المخطوطة « كتاب جواهر الأخبار ولطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار » ثم ذكر المؤلّف بعد المقدمة : وسميته « لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار » والمأخوذ به عند الباحثين أن مايذكره المؤلّف أقوى من غيره ومقدّم عليه ، وكان يمكن أن نحكم دون تردّد أن اسم الكناب « لطائف ... » وأن «جواهر الأخبار » مقحمة ، وبخاصة أنها كتبت بطريقة توحي بذلك ،فقد كتبت فوق « الباء » من « كتاب» .ولكننا نجد بعد الخبر الثالث والستين :

---

(٢) ينظر الحكايات ٢٨ ، ٦٨ ، ٧٣ صفحات ٣٢ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، فكلها : قال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن .

(٣) النجوم ٣ / ٣١٠ .

(١) أشير هنا إلا أن العلماء الذين ترجموا له ذكروا أن سماعاته صحيحة،وأنه كان صدوقاً محتاطاً ، وذكر الذهبي في الميزان ١٥٢/٣ بعد أن نقل ميله إلى التشيع والاعتزال : محلّه الصدق والستر .

(١) في فهرس مخطوطات تشستربيتي . ويبدو أنها متأخرة عن ذلك .

« تم الجزء الأول» ثم قبل الرابع والستين:« الجزء الثاني من كتاب « جواهر الأخبار » ، ويبدو أن إضافتها على العنوان جاء اعتماداً على ماكتب هنا ٠

ومن ثم صرت أمام عنوانين ، ولكن « لطائف الأخبار » أرجح لما ذكرت من نصّ المؤلّف عليه ، ولأن من غير المألوف أن يكرر المؤلف كلمة الأخبار في العنوان ،إلا إذا كان هكذا :«جواهر الأخبار ولطائف الأخيار» ٠

أما موضوع الكتاب : فهو كما تقدّم - في الأخبار ، جمع فيه المؤلف مائة خبر ، تشتمل على أخبار تاريخية ، وأدبية ، ونقدية ، وطرائف ونوادر عن الشعراء والكرماء والبخلاء ، ومن الأخبار البارزة في الكتاب تلك التي أورد فيها المؤلف مجالس ولقاءات معاوية رضي الله عنه وبعض أنصار علي رضي الله عنه ، وسرد الحوار والحديث الذي دار بينهم ، وإن كان بعض هذه الأخبار في المصادر ، إلا أن طريقة عرض المؤلف لها تسير مع ميوله وتعصبه ، ويظهر منها انتصاره لمن ناصر علياً ، وغضّه من غيرهم ، عفا الله عن الجميع ٠

وإذا كان الأصل في هذا الكتاب - كغيره من الكتب الأخبارية - أن يتناول الخبر موضوعاً واحداً أو قصة معينة ، إلا أن المؤلف هنا إذا انتهى من نقل خبر علّق عليه بقوله:قال القاضي وتعليقه هذا قد يكون بنقد الخبر ، أو شرحه،أو توضيحه،وقد يستدعيه هذا أن يذكر أخباراً مشابهة، أو أشعاراً على نسق مافي الخبر ، أو غير ذلك ، ومن هنا قد يصبح الخبر أخباراً ٠

ويمتاز الكتاب أيضاً - كما قلنا - باحتوائه على أخبار قد تخلو منها بعض المصادر ، أو تروى بطريقة مختلفة ، ومن ثم روى أشعاراً لاتوجد في دواوين أصحابها ، وأورد قصصاً لايوجد في المصادر إلا جزء منها ، وهو يزعم أنها صحيحة مسندة ، والله أعلم بذلك [١] .

أما مصادر الكتاب : فلم يذكر المؤلف منها شيئاً ، وكل مافعله أن يذكر الأئمة المتقدمين الذين يُسند إليهم الخبر ، دون أن يبيّن لنا كيف وصل إليه ، وهل كان ذلك سماعاً ، أو من الكتب . ولكن كثيراً مما ذكره نجده في بعض الكتب ، ومنها : عيون الأخبار لابن قتيبة ت سنة ٢٦٧هـ ، وأمالي الزجاجي ، وأخباره ت سنة ٣٤٠هـ ، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ت بعد سنة ٣٢٠هـ ، والأغاني لأبي الفرج ت سنة ٣٥٦هـ وغيرها .

أما مخطوطة الكتاب التي اعتمدت عليها في التحقيق ، والتي لم أقف على غيرها فهي في مكتبة تشستربيتي في دبلن بإيرلندا ، تحت الرقم ٤٦٥٣ ، وعدد أوراقها مائة وخمس .

وفي كل وجه من وجهي الورقة - أي الصفحة-واحد وعشرون سطراً . وقد كتبت بخط نسخي مقروء ، وبعض الكلمات بالحمرة ، وقدّر تاريخ

---

(٢) ينظر على سبيل المثال الأخبار ١٥ . ٣٨ . ٤٧ . ٦٢ . ٦٦ . ٧٧ . ٧٨ .

نسخها في القرن العاشر الهجري[1]، وعليها تصويبات قليلة .

ويشيع في هذه النسخة الأخطاء ، ويكثر فيها التصحيف والتحريف ، ووقع فيها سقط واضطراب[2] ، ويبدو هذا جلياً في الشعر ، وفي الأخبار التي يمكن مقارنتها بمصادر أخر . أما مالم أقف عليه ، أو رواه المؤلف بطريقة مختلفة ، أو ماعلّق به على الأخبار ، فقد كان فيه من العبارات والكلمات مايصعب تقويمه .

وقد بذلت جهداً كبيراً في محاولة التعرّف على مصادر الأخبار ، أو ماذكر منها قريباً ممّا عند المؤلف ، كما اجتهدت كثيراً في تخريج الشعر ، والآثار التي رواها المؤلف .

كما عرّفت بالغامض من الأعلام وغيرها ، وعلّقت على مارأيته محتاجاً إلى ذلك ، وأحلت على المصادر التي تفيد في تجلية الخبر ، أو التي فيها الشعر أو بعض القصص ، دون ذكر لما بينها من اختلاف لأنه كثير .

ولم أشر في الحواشي إلى الأخطاء الكثيرة التي وقعت في الأصل لئلا أثقلها ،ولكنني نبّهت على مارأيت فيه فائدة ، كما أضفت كلمات وعبارات بين معقوفين وذكرت مصدرها أحياناً ، وسكتُّ عنها أحياناً أخر ، ويعلم بذلك أنه تكملة من عندي ليستقيم النص .

ولست غافلاً عن أنه فاتني بعض الأخبار التي لم أتمكّن من تخريجها، وألفاظ لم أستطع قراءتها ، فتركت مكانها بياضاً ، وأخر ربما لاتكون قراءتي لها سليمة ، ولكن يعلم الله أنني بذلت في الكتاب جهداً كبيراً ، وأن كثيراً مما أخرجت من الكتب بصورة أفضل من هذا الكتاب لم تأخذ مني جهداً ولاوقتاً يذكر مقارنة بهذا . وقد غلب على ظني أن هذه أحسن صورة يمكن أن يخرج عليها الكتاب في ضوء ماذكرت ، وإن عُرف للكتاب مصادر أخر، أو كشفت له نسخة ثانية ، فقد يكون له إن شاء الله في المستقبل صورة أبهى .

والحمد للّه حمداً كثيراً طيباً ، ونسأل الله تعالى أن يعفو عن تقصيرنا، وأن يفاد ممّا في الكتاب من أخبار طيبة ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين .

الرياض

١٤١٢/٨/٦هـ

١٩٩٢/٢/٩م

الرحم واشتققتها من اسمي فمن وصلها وصلته
ومن قطعها بتتّه قال ليس هذا الحسب اردت قلت
حدثني ابي عن ابيه عن جده عن ابيه علي بن ابي طالب عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق الرحم
فهي متعلقة بساق العرش تقول اللهم صل من
وصلني واقطع من قطعني قال ليس هذا اردت
قال قلت حدثني ابي عن جده عن ابيه علي بن ابي طالب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما ملك من
الملوك كان واصلا لرحمه وقد بقي من عمره ثلثين
سنة صيرها الله ثلاث سنين قال نعم هذا الحديث اردت
والله لا صلتكم ولا قطعتكم اي البلاد احب اليكم
قلنا المدينة فسرحنا اليها
القاضي هذا اخر الابانة الخبر النبي فيعدنا بها
في صدر الكتاب تمت والحمد لله وحده وصلواته
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه
وكان الفراغ من نسخه يوم الثلاثا

وصلى الله على سيدنا
محمد
وصحبه وسلم

واولاهم بالمناقب والمفاخر جمع قريشا بعد ما تفرقوا
وقادهم حتى استوثقوا وكفاهم الذي منه اشفقوا وبذّهم
حين نطق ونطقوا ... لهاشم ... الاشيب
والاصياف ومحل الوفود والاضياف وملجا الهاربين
وعز الاخلاد والسابق الى غاية الاشراف اطعم
قريشا حين استنت وكفاها الملمة حين للمنت
وجاد بماله وطال بناها حين ابتنت فانا خير
العالمين اشياخا واكرمهم ارومة واسناخا واعزهم
... اخا واخصهم محلة ومناخا عليهم ينزل
... كانت الاحياء وبفضلهم اقرب الاملاء والاباء
علام الاعلام وبين سادة الاسلام معدن النبوة م
والاحكام والكرم اسلافا واطهر الاطراف طرافا
واعز الاخلاق اخلاقا يضمحل الفخر عندنا ويلتبس
كل ذكر ذكرنا ويصغوا كل قد رفع قد ... فلما اكمل
عبد الله هذا الكلام افترق هو والوليد من مجلسهما
وعجب الحاضرون منهما ورووا ذلك عنهما
تم الجزو الاول ... والثاني ... كتاب جواهر الاخبار
... وبالاسناد ان علي بن ابي
طالب صلى الله عليه لما صف الناس للقتال يوم الجمل
برز بين الصفين ونادا الزبير فاجابه وخرج اليه
فاعتنق كل واحد منهما صاحبه حتى اختلفت اعناق خيولهما

الاشيب

ويصغر

كتاب جواهر الأخبار [illegible] لما في الأخبار [illegible]

[illegible] الأبصار [illegible] السنن [illegible]

العالم العلامة القاضي علي

التنوخي عفا الله

عنه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] وضاعف [illegible] ونعمائه

[illegible] لأحد [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] لتطلع الى اثار [illegible] وخلع عليهم من الخلع

السنية ما يغتبط به [illegible] ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له الذي [illegible] الفعال [illegible]

[illegible] عبده ورسوله الذي ارسله [illegible] الى جميع [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وعلى آله واصحابه [illegible] وسلم

وبعد فهذا مجموع [illegible] من كل معنى

[illegible] لأولي الالباب [illegible] الى [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الاخبار [illegible] الابصار

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألهم الصفوة من عباده إلى عبادته وطاعته ، ونزّه أسرارهم وخواطرهم فيما تلذّذهم بخدمته [١] ، ونصبهم مُثلاً لأحديّته وصمديّته ، وألهمهم - إذْ وفّقهم بإرادته - إلى التطلّع إلى آثار قدرته ونعمته ، وخلع عليهم من الخلع السنيّة بما يقتضيه معاملته .

وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، الذي فتح أقفال القلوب بنورانيّته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي أرسله بشريعته إلى جميع المخلوقات من بريّته ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعترته ، وسلّم.

وبعـد

فهذا مجموع ظريف ، حوى من كلّ معنى لطيف ، جمعته تذكرة لأولي الألباب ، ووسيلة إلى الفوز - إن شاء الله تعالى - عند المآب ، جمعت فيه مائة خبر من الأخبار المسندة الصحيحة ، وسميته :

لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار [٢]

* * *

---

(١) كتب في الأصل (بمعاملته) وفوقها (بخدمته) .
(٢) ينظر ماكتب في المقدمة ص ٨ عن عنوان الكتاب .

الخبر الأول

في وصف سطيح [1] بعض صفات النبي ﷺ

وبالسند الصحيح أن سطيحاً لما ذكر عنده النبي ﷺ قال : اسمعوا منّي ، وحدّثوا عني : ليظهرنّ فيكم عن قليلٍ رجل لا بالقصير اللاصق ، ولا بالطويل الشاهق ، حسن القامة ، مدوّر الهامة ، بعيد عن الدَّمامة ، كفّه عن الخلق ضِرغامة [2] ، يلوح بين كتفيه شامة ، وعلى خدّه علامة ، تظله إذا مشى غمامة ، شريعته قائمة إلى يوم القيامة ، وجهه كالبدر التمام ، إذا لاح في الظلام يزهر ضياؤه ، فيشرق الدُّجى ، ويبتسم فيملأ الأرض بالضيا ، أحيى من المخدّرات [3] ، وأبهى وأجمل من كل البنات ، مُتَجَلْبِب بالحياء والوقار ، مشتمل بالهيبة والفَخار ، حلو الكلام ، عظيم المرام ، طويل الصيام ، كثير القيام في حِنْدِس الظلام [4] والناس نيام ، يناجي الملك العلام ، تقيّ خاشع ، زاهد عابد ، متحنّن على الأمة كالوالد ، لامتكبّر ولامتجبّر ، إن نطق أصاب ، وإن سُئل أجاب ، بَذول وهّاب ، نقيّ

---

(١) في المخطوطة (في وصف مسطح في بعض) ثم في الموضع التالي (مسطح) وفي آخر الخبر ورد على الوجه الصحيح (سطيح) .

وسطيح : هو ربيع بن ربيعة الذئبي ، كاهن معمر ، رُويت عنه أخبار كثيرة ، وإرهاصات بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٥ ، والمعمرون ٥ ، والاشتقاق ٤٨٧ ، وتاريخ الطبري ٢ / ١١٢ .

(٢) الضرغامة : القوية الشديدة .   (٣) المخدّرة : الفتاة الملازمة خدرها .

(٤) حندس الظلام : شدّته .

الأثواب ، طاهر الميلاد ، مُبرّأ من الفساد ، رحمة على العباد ، بالحسن موصوف ، وبالشرف محفوف ، وبأحمد ومحمّد معروف ، للخير ألوف ، وعن الشرّ صروف ، وعلى المذنبين عَطوف ، وبمن ظلمه رؤوف ، قد كمُلت صفاتُه ، وظهرت للعالمين آياتُه ، وتظهر معجزاتُه ، أجيبت دعوته ، وأنارت طلعتُه ، نوريّ المطالع ، ملكوتيّ اللوامع ، زكيّ المغالس ، جميل المجالس ، مُرغِم الأشاوس ، مُمزّق الأبالس ، ظاهر المناقب ، زاكي المراتب ، حسن الأخلاق ، ظاهر الأعراق ، حبيب الخلاّق ، يركب البُراق ، يسري به في دياجي الأغساق إلى مناجاة ربّه الخلاّق ، أفخر مَن عُرج به إلى السماء ، وجاوز سدرة المُنتهى ، ويخاطب العليّ الأعلى في الموْضع الأدنى ، يكون منه كقاب قوسين أو أدنى ،أكرم من وطىء الثّرى ، وأفضل من كُلّم في السما ، ويناجى في الهوا ، يخبر عن ربّه بالضمائر ، وبما تكنّه السرائر ، بهيّ ، رضيّ ، عليّ ، زكيّ ، وفيّ ، هادٍ مهديّ ، وليّ ، حفيّ ، صدوق المقال ، جميل الطرائق ، هاشميّ السوابق ، كامل الذمم ، في صدره شعر كأنّما خُطّ بالقلم ، ملتفَ العَضُدين ، مُدَمْلَج [٥] السّاقين ، مليح السّاعدين ، ملتفّ الفخذين ، أدرمُ [٦] القدمين ، سيد الثّقلين .

قال أبو طالب : فهذه الصفات ياسطيح في محمد بن عبد الله . قال : نعم ، وصحيح .

* * *

---

(٥) المدملج : الأملس . (٦) الأدرم : الذي وارى اللحمُ قدمه .

الخبر الثانـــي

وبالإسناد عن منصور بن عمار[1] ، أنه رُؤى في المنام ، فـقـيـل له : مافعل الله بك ؟

قـال : عـرضني عليـه ، وأوقـفني بين يديه ، وقـال : يامنصـور ، بم جئتني ؟ قلت : بست وثلاثين حجّة . قال : ماقبلت منها واحدة .

بم جئتني يامنصور ؟ قلت : قرأت القرآن ثلاثمائة وستين ختمة . قال ماقبلت منها واحدة .

بم جئتني يامنصور ؟ قلت : بصيام ستين سنة . قال : ماقبلت منها يوماً واحداً .

بم جئتني يامنصور ؟ قلت : جئتك بك . قال : الآن جئتني بشيء ، اذهب ياعبدي ، فقد غفرت لك .

قال بشر[2] رضي الله عنه : مررت يوماً على بعض القبور ، فرأيت بالقلم مكتوباً :

---

(١) منصور بن عمار واعظ مشهور ، توفي حوالي سنة ٢٠٠ هـ ، ينظر حلية الأولياء ، ٣٢٥/٩ ، وتاريخ بغداد ٧١/١٣ ، وسير أعلام النبلاء ٩٣/٩ .

(٢) ربما أراد : بشر بن الحارث ، الحافي ، الزاهد العابد ، توفي سنة ٢٢٦هـ ، الحلية ٣٣٦/٨ ، وتاريخ بغداد ٦٧/٧ ، والسير ٤٦٩/١٠ .

إنّ الحــــديد وإن تطاول مكثُه ... يومــاً يصــيــر إلى مــقــالة كــانْ

فــاعــملْ على مَهلٍ فـإنّك ميّت ... وامــهــدْ لنفــسك أيهــا الإنســانْ

فكأن ماقد كان لم يكُ إذ مضى ... وكــأنّ مــاهو كــائن قــد كــان [٣]

فلما قرأه بشر امتقع لونه ، واشتدّت طَيرته [٤] ، وعاد إلي مجلسه موعوكاً ، فلم يمض له ثلاث حتى مات ·

* * *

(٣) البيتان الثاني والثالث في البيان والتبيين ١٧٦/٣ ، وتاريخ الطبري ١٦٧/٧ ، دون قصة ، ودون نسبة ·

(٤) الطَيرة : الخفة والطَيْش

الخبر الثالث

وبالإسناد أن النبيﷺ لما رجع بأسارى بدر ، كتبت إليه قريش تسأله الفِداء ، فلما وُضعت الكتب بين يديه ، نظر إلى كتاب منها مشدود بخرقة سوداء ، فأخذه فدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، ففضّه وقرأه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من زينب ابنة سيّد المرسلين إلى محمد رسول ربّ العالمين . أما بعد .

ياأبت ، فإني شاكية إليك وُثوب نساء قريش بألسن السوء عليّ ، ونظرهم بأعين المقت إليّ ، مذ قتلْتَ منهم الأبطال ، وأفنيت منهم الرجال ، فأنا تَرِحة مع الترحات[2] ،محزونة مع المحزونات ، ملومة الجانب ، مأسورة الصاحب ، قد قتلني الحزن ، وهجر عيني الوَسَن[3] ، لفقد الخدين[4] ودَلّ القرين ، ولكأن الأسر وقع بي دونه لموضع الإشفاق مني عليه ، فأبقِ ياأبت على سَجف[5] ابنتك ، لاتهتكه ، فلقد كان نعم الحافظ لما لَه أودَعْت ، والمحسن إلى مابه قرنت ، فإني القائلة في ذلك :

---

(١) ذكر ابن هشام في السيرة النبوية ٦٥٣/١ خبر إرسال هند في فداء زوجها أبي العاص ، ومادار حول ذلك ، كما ذكر محاولة هند تعرف أخبار زينب ، وموعد رحيلها ، ولكن دون إيراد لشيء من الشعر أو التفصيلات المذكورة في هذا الخبر . وينظر أيضاً تاريخ الطبري ٤٦٨/٢ ، والاستيعاب ١٢٥/٤ ، والإصابة ١٢١/٤ ، وفي الأغاني ٣٣/٤ جزء من الخبر .

(٢) الترح : الهم والحزن . (٣) الوسن : النوم أو النعاس . (٤) الخدين : الصاحب .

(٥) السجْف : بفتح السين وكسرها : الستر .

كتاب من الولهاء في دار غربةٍ ... تعاوَرها الدُّورات من كل جانب[٥]

جناها أبوها ، واستغضّ ببعلها ... فلله مـا تلقـاه من كل عـائبِ

يقولون : قد جانا أبوك بسيفه ... فـجدّل أقراناً بقاع السباسب [٧]

فقلت لهم : مُذ كان ماتذكرونه ... وقد أسروا بعلي بوادي الثعالب

. . . ليثي فصادف ثعلباً ... فعُوقص مقهوراً غداة التغالب[٨]

فيا أيها الفياضُ والسيدُ الذي ... رميت قُريشاً كلها بالمصائب

سأشكو إليك اليوم ضُرّاً ووِحدةً ... وذُلاً وفقراً وافتقاري لصاحبي

فما كان للعهد اللئيم ولم يكن ... بعائبِ ماأبديتُ بين الحبائب

وقد كان لي حِرزاً وكهفاً ومَعْقِلاً ... فهدّمتَ ذاك الكهفَ ياابن الأطايب

فردٌّ عليٌّ اليوم أفضلَ صاحبٍ ... ودود ، ألوف ، مُفْضَلٍ بالرغائب

وقد كان لي عِقدُ وراثةُ بَرّةٍ ... خديجةَ أمي ،إذ مَضَت في الذّواهبِ

فأرسلْته مع غيره اليوم فدية ... لخير قريشٍ قد رُمي بالمعاطب

فياربٌّ فارحمني بإسلام عامرٍ ... ويسّره للإسلام ، ياخير واهب[٩]

ليرضى رسولُ الله نفسي فداؤه ... ويحبوه من أفضاله بالرغائب

نبيٌّ من الرحمن ، بالحقّ ناطقٌ ... رسول له ذلّت . . . . غالبِ

---

(٦) في الأصل (تعاورها الدوثان) .

(٧) جانا مخفف من جاثاً : أي أكبّ . وجدّل : صرع ورمى على الأرض ، والسباسب جمع سبسب : المفازة أو الأرض المستوية .

(٨) في أول البيت كلمة غير واضحة ، قريبة من (سعى لهم . .) وعوقص : صُرِع .

(٩) هكذا في الأصل (عامر) ولم يرد فيما جمع ابن عبد البر وابن حجر من اختلاف العلماء في اسمه ذكر (عامر) .

قال : فلما سمعه [١٠] رسول الله ﷺ جرى الدمع من عينيه ، وقال: « يامعاشر المسلمين ، إنّ صهر الرجل إحدى يديه ، وإن مَن ستر لرجلٍ أنف ابنته أو خالته أو عمّته فقد استوجب منه الكرامة بصلته . وهذا كتاب زينب ، فخذوا منها فداء زوجها ، وأسلموه لها » .

فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وسعد بن معاذ سيد الأوس ، فقالا: تشاورُنا يارسول الله وأنت ذو القبلة في أمانتك ، وأيم الله ماكُنا لنقاتل قريشاً أبدَ الدهر ، وإنما بسيفك غَلَبنا ، وبيمينك قهرنا ، وبسعدك ظَفرنا ، فامنُنْ على أبي العاص بسبب الإطلاق ، وَحُلّ عنه الوثاق ، فأما الفدية فحاش للّه أن نأخذ من زينب فداء بعلها ، بل نُضيف إلى ماأرسلت فاخر أموالنا ، وخالص ذخائرنا ، نرجو بذلك الفوز عند الله برضاك - صلى الله عليك . فجزاهما النبي ﷺ خيراً ، ثم قال لعمّه حمزة : امضِ إلى حظيرة الأسارى ، وائتني بأبي العاص بن الربيع ، فمضى إليه ، فلما قابله قالِ له: ويلك،تلقّ رسول الله ﷺ بإسلامك ، واستعطفه بكلامك ، يخفّفْ ظهرك ، ويفكّ أسرك .

فأقبل يرفُل حتى { أتى } رسول الله ﷺ ، ثم نادى بأعلى صوته : أنارت بك البيداء ، واشتدّت بعدّوك الدّهناء ، ياابن الشرف الأيمن ، والرُكن

---

(١٠) في الأصل (رآه) .

الأثخن ، لقد هدمت بيضة عدنان ، وقاصرت منهم البنيان إلى آخر الزمان ، ولأنت أعظم بمُصابهم وإن عاندوك ، وأرأف عليهم وإن كايدوك ، وإنما تقتل قوماً أنت بهم المُعَزّى ، ومثلك ومثلهم كمثل قوم أعانوا رجلاً على نفسه ، ومرجع السيف إلى غمده بعد سلّه ، فابق على سيفك لاتَفْلُلْه ، وعلي بيتك لاتهدمه ، وأنشأ يقول :

لقد رُميت تيم وفِهر ومالك   بناسِكَ في بدر ، فقد سكنوا بدرا

وأفنيْت محروماً ، فلم يبق منهم   وقومك قد ذلّلْت فرسانهم أسرى

وجاءت لواءً كي تنالك مُكرهاً   فأسقيتها سُمّاً وأوسعتها مكرا

فإن مكروا فالسيفُ أمكرُ منهم   غداة تولّوا في حفائرهم جَزّرا

فسبعون كبشاً في القليب دفنتهم   وسبعون أسرى لم يحِق فيهم ورا[١١]

فلا تهدم البيت المشيد بناؤه   ولاتُوسع الباقين من قومها شرّا

وإن تحلُل الأغلال عني فإنني   أدين بأنّ الله يُوسعني غفرا

فسترة ذات الخدر في الدهر بعلُها   فحُلّ وثاقي كي أكون لها سترا

نساء لواءُ صارخات برَنّه   يُبكّينني سراً ، وتُبدينني جهرا

وأنت فذخري ، والمعدّ لكُربتي   وكهفي إذا في الكرب لم ألق لي ذخرا

---

(١١) الور: الحفيرة من الأرض .

فقال النبي ﷺ: ياأبا العاص قد وهبتك لزينب ، وأرضيْت بالحلّ عنك ابنتي ، وإن أبيت ذلك فلست تملك من أمرها شيئاً .

قال : بأبي أنت وأمي ، من لي بإيصالها إليك ، وإلحاقها بك ، وهم أمنع خلق الله بي من ذلك .

فقال النبي ﷺ : سأرسل إليك من يحفظها ويكلؤها ، فإذا جاءتك رسلي فأسلمها إليهم ولا جناح عليك . وأمر علياً وحمزة عليهما السلام يوصلانه إلى مأمنه ، فمضيا معه حتى بلغ إلى ذي الحُليفة ، ورجعا .

فلما قدم أبو العاص مكة ، رمت إليه برجالها وأبطالها ، يسلّمون عليه ، ويهنّئونه ، ويسألونه عن الأسارى ، فدخل عليه أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو فقالا : كيف حالك ، وكيف كان سفرك ، وكيف كانت يد محمد عندك لقدر القرابة والمصاهرة ؟

فقال : أخبركم عن محمد - كثّر الله في قريش أمثاله : السيّد في عشيرته ، المنصور أينما توجّه . فاسودّت وجوههما وقالا : ويلك ياأبا العاص ، إنّا لنراك راضياً مادحاً ، وكنا نظنّك مُغْضباً كادحاً ، طالياً - بما صنع بك - أخذاً بثأرك وثأر عشيرتك .

ثم خرجا ، فجعلا يقولان لكل من سألهما : من دخل إلى أبي العاص منكم فلا يذكرنّ له من أمر محمدٍ شيئاً ، فإنه يخبركم بما تكرهون ، وينبّئكم غير الذي تريدون .

وحاصت قريش في ذلك ، وبلغهم أن زينب خارجة إلى أبيها ، فرصدت قريش الأرصاد في جميع الأطواد ، والتقت زينب وهند ذات يومٍ في المقابر ، فقالت هند : ياابنة عمي ،بلغني أنك عازمة على المسير إلى أبيك ، ولعمري لنعم مارأيت ، لأن أباك قد أصبح أنجد العرب ، وليست تعزّ المرأة إلا يعزّ أبيها أو عّمها أو أخيها ، فإن أحببت مالاً أو جِمالاً فأنا لك بالموضع الذي تحبين ، ولايقع عندك أني أكره مساعدتك لما جرى(١٢) عليّ من أبيك، فذلك حال يكون بين الرجال ولايكون بين النساء ، ثم أنشأت تقول :

لاتكتمي سراً عليَّ ، فإنّما	يُخفي ويَكتم سرَّه المغلوبُ
فلعلّه يلقى بيومٍ سرَّه	يحظى به وعنيده مكبوب
أما أبوك فسوف يُجزى فعله	والدهرُ يُسعد تارة وينوب
إن كان أثكلنا سراة رجالنا	فالدمعُ مني دائماً مسكوب
وله سأذخر لا محالة وقعةً	فيها الوليدُ لهولِ ذاك يشيب
إن شئتِ مالاً تنفقين فهاك ذا	مالي ، وعقلي طائرٌ مسلوب
ولأصبرنّ على الأساة تكرّماً	. . . كآبة وكروب
حتى أرى يوماً تنال به العدا	حربٌ لأرواح الرجال حَروب

(١٢) في الأصل (للجارية لجاريتي) .

ثم قالت : ياابنة أبي القاسم ، لاتحملي عليّ حقد ماسمعت ، فإنّما هي كلمات نفثهنّ الفؤاد عن حرارة الأكباد ، ومشكلات أولاد تجيش على الضمير ، فتثير لذعات التفكير ، فإن شئت جِمالاً فجمالي .

قالت زينب : أأترك مكة خالية من اجتماعنا ، وأشتّتُ بالبين ألفتنا ، فنخالف الوطن ونجلب على أنفسنا الإحَن ،لقد كذبك من ألقى إليك ذلك ، وإن كان أبي في الشرف ماعلمت ، فلست بزائدة في شرفه إذا كانت ملائكة السماء من أعوانه ، والأوس والخزرج والمهاجرون من أقوام سلطانه ، ثم أنشأت تقول :

ياهندُ ، إنّك إنْ ذكرتِ مصيبة	فالدمعُ مني هاطِلٌ مسكوبُ
لهّابُ فهرٍ يومَ بدرٍ عُنوة	والليث وابن الحارثِ المسلوب
إذ جذّ عُتبة فخذه بحسامه	لما أصابوه كذاك يُصيب
أنتم زحفتم نحو أحمدَ عُصبة	لو يطلبون ثوابه لأجيبوا
وبغيتمُ قتلَ النبيّ وصفوهِ	فلقيتم حرباً لها تأنيب
ولئن ذَخَرتِ يدَ الحروب لأحمدٍ	لهو العَليُّ وضدُّه المنكوبُ
ياهندُ ، لا ترمين نحو كتيبة	فيها ملائكة السماء تجوبُ
نصراً لأحمدَ راكبين خيولَهم	فعَدُوّه أبداً بهم محروبُ

قالت : ياهند ، ياابنة القاسم ، أبيت إلا التمادي في أمانيك ، وردّ الجواب عن أبيك ، لافُضَّ فوك ، ولاذَلّ أبوك ، وانصرفت كلّ واحدة منهما إلى منزلها .

ثم انتهت القصة إلى أن بعث رسول الله ﷺ قوماً ثم قوماً في أخذ زينب ، فكانت لهم وقعات أعرضْت عن إيرادها اختصارا للخبر ، وكان الظفر فيها على يد علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه (١٣) .

* * *

(١٣) بل كان الظفر بعون الله وتوفيقه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أيدي الصحابة أجمعين .

الخبر الرابع

وبالإسناد عن الكلبي قال : [1]

قال رجل من بني الطَّمَح : كنت أحضر مجلس شُريح وهو يتولّى القضاء لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فجاءه ذات يومٍ رجل صَعْل ، جَيْدر[2] ، نأتىء الجبهة ، سقيم الوجه ، كأنه محراث ، ومعه امرأة كأنها ناقة عيّ ، تقلّب عينين كأن هُدْبهما [3] قوادمُ خُطّاف ، فأبرزت عن ساعد كالإغريض[4] بياضاً وصفاء ، وأنامل كنبات النَّقا ، ثم قالت بأعذب لفظٍ وأفصحه ، مُبدية عن ثنايا كالبَرَد :

ياأيها الحاكم ، إن هذا بعلي . قال له شريح : أهو كذلك ؟ فافترّ بشفتين بَثعاوين[5] عن أسنان ضخمة كأنها أسنان عَير ، وقال : نعم . فقال لها شريح : وماشأنه ؟

قالت : أيها الحاكم ، إنه ابن عمي ، وأنا خَولَةُ ابنة مخرمة إحدى نساء جَرم ، وقد هاجر بي عن أهلي ، وغرّب بي عن ذوي قرابتي ، فصِرت لاأنظر إلا إليه ، ولا أُعَوّل إلا عليه ، وهو والله نهِمٌ إن أكل ، فَلْحَسٌ[6] إذا

(١) الخبر في أخبار الزجاجي ١١٩ ، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٧١ .

(٢) الصعل : صغير الرأس . والجيدر : القصير .

(٣) الهُدْب : الشعر النابت على العين . (٤) الإغريض : الطلع .

(٥) الشفه البثعاء : التي تكاد تتشقق من الدم . (٦) الفلحس : الحريص . الملِحّ .

سأل ، مقفل اليدين بالبخل ، مطلق اللسان بالخَطَل[٧] ، يأكل وحده ، ويمنع رِفْده ، ويخلف وعْده ، إن سانيْتُ[٨] قطب ، وإن راشيت[٩] غَضب ، يصون ماله ، ويمتهن عياله .

فصاح الرجل : ياللرجال للأفيكة ، ثم جثا على ركبتيه وأنشأ يقول :

سائِل سَراةَ بني جَرْمٍ فإنهمُ ... سيخُبرونكَ بالحالي من الخبر

هل أترك البَكرة الكوماءَ كائسةً ... اذا تلاعَبَتِ النكباءُ بالخَطَرِ

للجار والضيف والمعترّ قد علموا ... في ليلةٍ تُتْبِعُ الشفّانَ بالخَصَر[١٠]

وانظرُ الخصْمَ ذا العوصاء حجّته ... حتى يُلَجْلِجَ من عيٍّ ومن حَصَرِ

وأتركُ القرن مصفرّاً أناملُه ... دامي المرادع مُنْكَبّاً على العَفَر[١١]

واسألهمُ هل رمَوني نحوَ داهية ... فلم أكافِحْ شبا أسيافها البُتُر[١٢]

واسألهُمْ كيف ذبّي عن حريمهمُ ... إذا ترامى استعار النار بالشرر

إنّي لأعظم في صدر الكمي على ... ماكان فيّ من التجدبر والقِصَر[١٣]

حتى يصدّ لواذاً عن مبادهتي ... صدَّ الهجارس عن ذي اللبدة الهصر[١٤]

تالله تجمعُ شخصَيْنا ملاءَمة ... من بعد ذا اليوم في بدوٍ وفي حَضر

---

(٧) الخطل : الكلام الفاحش . (٨) سانيت : لاينت .
(٩) راشيت : حابيت وصانعت . (١٠) الشفّان : الريح الباردة ، والخَصَر : البرد .
(١١) القرن : السيد . وقرن الرجل نظيره . والمرادغ : مابين العنق والترقوة ، جمع مردغة . والعفر : التراب .
(١٢) الشبا : جمع شباة : حد الشيء . (١٣) التجدير : القصر مع سمن .
(١٤) الهجارس : جمع هجرس : الثعلب . والهُصَر والهَصِر : الأسد

قـال له شـريح : أفـصح عن مـقـالتك . قـال : هي طالق ثلاثاً ، وهذا السائب بن أبان ، ابن أبي وأبيها يقوم برويتها[١٥] إلى انقضاء عدّتها .

* * *

(١٥) الروية : إصلاح الشأن .

الخبر الخامس

وبالإسناد أن محمد بن عبد الملك الزيات [١] كان يتولّى قهرمة الدار[٢] في خلافة المعتصم ، ويشرف على المطبخ ، ويقف في دُرّاعة[٣] سوداء ، فورد كتاب إلى المعتصم من صاحب البريد بالجبل يصف فيه خصب السنة ، فقال فيه : مُطِرْنا مطراً كثر عنه الكلأ . فقال المعتصم لأحمد بن عمّار - وكان يتقلد العرض عليه - : وما الكلأ ؟ فقال : لاأدري . فقال المعتصم : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، خليفة أمّيّ ، وكاتب عامّيّ . ثم قال : مَن بالقرب من الكتاب ؟ فعرف بمكان محمد بن عبد الملك ، فدعاه ، فقال له : ما الكلأ ؟ فقال : النباتُ كله رطبُه ويابسه ، والرطب خاصة يقال له خَلَى ، واليابس يقال له الحشيش[٤] . ثم اندفع في صفة النبات من ابتدائه إلى اكتهاله ، فاستحسن المعتصم { ذلك } [٥] .

قال محمد يرثيه :

---

(١) الخبر في زهر الآداب ٢/٧٨٥ ، ووفيات الأعيان ٥/٩٤. ١٠١ ، وباختلاف في الهفوات النادرة ٢٥٩ .

والزيات أديب شاعر ، عارف باللغة والنحو ، تولى الوزارة للمعتصم ، ثم للواثق ، ولما تولى الخلافة المتوكل قتله سنة ٢٣٣هـ . تاريخ بغداد ٢/٣٤٢ ، ووفيات الأعيان ٥/٩٤ .

(٢) القهرمان : أمين الملك ووكيله القائم على تدبير شئون البيت .

(٣) الدراعة : جبّة مشقوقة من الأمام .

(٤) ينظر تثقيف اللسان - لابن مكي الصقلي ٢٣٧ .

(٥) وفي الوفيات أنه استوزره بعدها .

قــد قلتَ إذ غــيّبــوك واصْطَفَقَتْ عـليك أيـد بـالتــــرب والـطينِ
اذهبْ ، فنعم المعينُ كُنْتُ على الدُّ نيـــا ونعم الـظهــــيـــرُ للدين
لـن يَجْبُر الـلـهُ أمّة فـــــــقَدَتْ مــــــثلـك إلا بمثـلِ هـارون[٦]

قـال القاضي : وسمعت بالإسناد أن جماعة حسدوه على منزلته ، وأجمعوا كيدهم في اجتثاث جرثومته ، فانتهى به الأمر إن أن جلس في تَنُّور حديد ، قد جُعلت في بطنه مسامير غير معطوفة الرؤوس ، فأُخرج منها ميتاً ، قد خزقت المسامير جنبيه[٧] ، ووجد على ذراعه مكتوباً :

هي السـبيـلُ ، فـمن يـوم إلى يوم كـــأنّه مــاتُريكَ العينُ في النوم
لاتعـــجلنّ ، رُويداً ، إنّهـــا دُوَلٌ دُنيــا تَنقّلُ من قــوم إلى قــوم[٨]

وكان في المجلس أكثر من مائة ، كلُّهم عدول ، فلم يبق منهم أحدُ إلا بكى وترحّم عليه .

قال القاضي : وزعموا أنّ أصل عاميَّة المعتصم أنه كان عند المعلم ،

---

(٦) الأبيات في ديوان الزيات ٧٦ ، والطبري ١١٩/٩ ، والعمدة ١٥٦/٢ ، والوفيات ٩٩/٥ .
(٧) وكان الزيات نفسه قد عمل هذا التّنور ليعذب الناس فيه ، فكان فيه حتفه . وقد ذكرت المصادر عددا من الأخبار في سبب نقمة المتوكل عليه . ينظر الطبري ١٥٦/٩ ،ومروج الذهب ٥/٤ ، والوفيات ١٠٠/٥ ، ١٠٢ .
(٨) ديوان الزيات ٦٦ ، والمروج ٦/٤ ، والعقد ١٦٤/٢ ، والوفيات ١٠٠/٥ .

فـرأى في بعـض الأيام جنازة ، فـقـال : ليـتـني مـثله لأتخلّص مـن الكتّاب ، فـانتـهى ذلك إلى أبيـه ، فـأعـفـاه من الـتعليم ، وقـال : والله لاعـذّبَنّك بشيء تختار عليه الموت [٩] .

* * *

(٩) قال القيرواني في الزهر ٢/٧٨٥ معلقاً على « عامية المعتصم » : « وهذا شيءٌ يحكى من غير رواية صحيحة ، إلا أنّ جملته كان ضعيف البصر بالعربية » وينظر السير ١٠/٢٩١ .

الخبر السادس

وبالإسناد عن أبي عُبيدة معمر بن المثنى[١] :

أن يزيد بن الحكم الثقفي ورد من الطائف على الحجّاج بالعراق[٢] ، وكان شريفاً في قومه ، شاعراً في وقته ، فولاّه الحجاج فارس ، فلما جاء لأخذ عهده ، قال له : يايزيد أنشدنا من شعرك[٣] ، فأنشأ يقول :

ومن يكُ سائلاً عني فإنّي ... أنا ابنُ الصيدِ من سَلَفى ثقيفِ[٤]

وفي كَعبٍ ومَن كالحيّ كعبٍ ... حَلَلتُ ذُؤابةَ الجبلِ المُنيفِ

حويت فخارها غوراً ونجداً ... وذلك مُنتهى شرفِ الشريفِ

نماني كلُّ أصيدَ لا ضعيفٍ ... بحملِ المُعضلاتِ ولاعنيفِ

{ فوجم الحجاج ، وأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : الحمد لله ، أحمده }[٥] وأشكره ؛ إذ لم يأت علينا زمان إلا وفينا أشعر العرب . ثم قال : أنشِدْنا يايزيد ، فأنشأ يقول :

---

(١) الخبر كاملاً في أخبار الزجاجي ١٠٤ ، وهو مختصر في الأغاني ١٠٢/١١ ، وتاريخ دمشق ٢٦٨/١٨ ، وخزانة الأدب ١١٣/١ ، واستدركه محقق أمالي الزجاجي ٢١٩ عن الخزانة .

(٢) ينظر أخبار يزيد في الأغاني ، وتاريخ دمشق ، والخزانة .

(٣) الصيد جمع أصيد : الملك .

(٤) يريد أن ينشده مديحاً .

(٥) تكملة من المصادر .

وأبي الذي فتحَ البلادَ بسيفه فأذلَّها لبني الزمان الغابر

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً للمُلك ، تخفق كالعُقاب الكاسر

وإذا فَخَرْتُ فَخَرْتُ غيرَ مُكَذَّبٍ فخراً أدقُّ به فَخارَ الفاخر

فقام الحجاج مُغْضَباً ، ودخل القصر ، وانصرف يزيد والعهد بيده ، فقال الحجاج مُغضباً لخادمه : اتْبَعه ، وقل : أُردُد علينا عهدنا ، فإذا أخذته فقل : هل أورثك أبوك مثل هذا العهد ؟ ففعل الخادم ، فردّ يزيد العهد ، وقال : قُل للحجّاج : أورثني أبي مجده وفعاله ، وأورثك أبوك أعنزاً ترعاها[٦] .

ثم سار تحت الليل ، حتى لحق بسليمان بن عبد الملك ، وهو ولي عهد أخيه الوليد ، فضمّه إليه وجعله من خاصته ، فقال يمدحه[٧] :

إن تمْشِ عَنّي الغواني وهي معرضة فقد تراهُنّ صُوراً نحونا صيدا[٨]

وإن نكن قد ذُهلنا عن مواعِدها فقد يكون لنا ميعادُها عيدا

قد نلتقي ، كلنا لاهٍ بصاحبه إذ لانخاف من العذّال تقييدا

قل للشباب إذا ما الشيبُ أطرده لايبعُدَنّ طريدُ الشيب مطرودا

(٦) جاءت العبارة في الأمالي والأخبار والخزانة نثرية - كما هي هنا ، أما في الأغاني فشعر :

وُرِثْتُ جدي مجدَه وفعاله وَوَرِثْتُ جدك أعنزاً في الطائفَ

(٧) القصيدة كاملة في أخبار الزجاجي ، والأخيران في الأغاني ، وهما مع أبيات أخر - غير ماأورده المؤلف هنا - في الخزانة .

(٨) صُور جمع صوراء ، وصِيد جمع صيداء : وهما بمعنى المائلة .

مَن صاحب الشيبَ قالاه وجرّ له ... للأيد ضعفاً وللرجلين تقييدا

ياأرفض الناس للدنيا ولذّتها ... أشدّهم زهداً فيها وتزهيدا

إن يُصبح الناس جمعاً حاسديك فقد ... أضحى لديك التُّقى والبرّ موجودا

إن يحسدوك فكم من صالحٍ حُسدوا ... هذا نبيُّ الهُدى قد كان محسودا

عضَّ الأخاشِبَ من عاداك من كلبٍ ... وصخرها الصُّلبَ والصُّمَّ الصياخيدا[9]

سُمّيت باسم امرىء أشبهت سيرته ... حُكماً وجوداً : سُليمان بن داودا

أحْمِد به كان في الماضين من ملكٍ ... وأنت أصبحت في الباقين محمودا

* * *

---

(٩) الأخاشب : الجبال ، والصياخيد : الصلبة .

الخبر السابع

وبالإسناد عن سفيان أنه قال :[1]

دخلت على جعفر بن محمد الصادق ، عليه وعلى آبائه السلام ، فقال لي : ياسفيان إني فكّرت في المعروف ، فرأيْته لايتمّ إلا بثلاث : تعجيله ، وستره ، وتصغيره ، فإنّك إذا عجّلته هنّأته ، وإذا سترته أتممْته ، وإذا صغّرته عظّمته ، وإذا مَطَلته وسوَّفته وأخّرته كدّرته وبغّضته وأفسدته ، ثم أنشأ يقول متمثّلاً :

يَرُبُّ معروفَه ويحفظُه　　　وإنّما العرفُ بالربا يأتي

فقلت : والله هذه الغنيمة الباردة من غير ارتحال ولامشقة تسيار .

قال القاضي : هذه كلمات نبوية : أما التعجيل فإنّه جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ « ليُّ الواجد يُحِلّ عرضه وعقوبته »[2] واللّيّ : المطل . والواجد : الغنيّ .

---

(١) الخبر في أخبار الزجاجي ١٧ ، وجزء منه في نثر الدرّ ١/ ٣٥٥ ، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٢٥٧ . والقول في عيون الأخبار ٣/ ١٧٧ لابن عباس ، وفي الموشى ٥٧ دون نسبة ، وفي ٥٨ لعديّ بن حاتم وهو في حلية الأولياء ٣/ ١٩٨ عن سفيان عن جعفر .

(٢) الحديث في سنن أبي داود - الأقضية ٤/ ٤٥ ، وسنن ابن ماجه - الصدقات ٢/ ٨١١ ، وهو في صحيح ابن ماجه ٢/ ٥٦ ، وينظر فتح الباري ٥/ ٦٢ .

وجاء حديث آخر مفسّر : وهو قوله : « مَطلُ الغنيّ ظلم »[٣] .

وأخذ الناس في كلامهم ، فقالوا : « آلاء مريحة خير من نَعَم غير مَنيحة »[٤] .

وبلغني أن بعض الرؤساء ماطل أبا العتاهية[٥] بنيله فكتب :

أكلَّ طول الحياة أنت إذا ما　　جئتُ في حاجةٍ تقول غدا

لاجعل اللهُ لي إليك ولا　　عندك ماعِشْتُ حاجةً أبدا [٦]

* * *

---

(٣) صحيح البخاري - الحوالة ٤٦٤/٤ (فتح الباري) ، وصحيح مسلم - المساقاة ١١٩٧/٣ .

(٤) لم أقف على المثل . والمنيحة : التي دنا نتاجها . ومن أمثال العرب المولدة قولهم : « وضيعة عاجلة خير من ربح بطيء » مجمع الأمثال ٣٨٢/٢ .

(٥) في الأصل (البحتري) والصواب ماأثبت ، فلم يرد في ديوان البحتري ، بل في ديوان أبي العتاهية .

(٦)ديوان أبي العتاهية ١٥٨ ، وبهجة المجالس ٣٢٨/١ . والشطر الثاني في الأصل (لاجعل الله الكريم إليك حاجة انتهى) .

الخبر الثامن

وبالإسناد عن بعض المشايخ أنه قال :

كان لي زوجة ، وكنت مشغوفاً بها ، فبينما أنا عندها في بعض الأيام في البيت نائم ،أدركتني حالة في المنام ، فسَمِعَتْ مانطقت به ، وعاتبت[1] جيراني ، وكانت حالة عظيمة ، فلما أفقت قالت لي : ماشأنك ياسيدي ؟ فقلت : مارأيت . فقالت : خيراً ، فكستّ عنها ، ثم خرجت وخلّيتها . فقالت لخادم لنا : نادِ لي أمي وأختي . فناداهما ، فاجتمعت بهما وقالت : جرى لزوجي كذا وكذا ، وأخبرتْهما بالصورة ، وقالت : والله لابقيتُ له زوجة أبداً ، فهو مجنون ، ولاأقيم معه في الدار .

فعدَلها أهلُها عن ذلك ، وقصدوا ردّها ، فأبت ، فقالوا : تُقيمين في الدار حتى نجتمع معه . فلما علمتُ ذلك أتيتُ إليها ، وقلتُ لها : مامقصودك ؟ قالت : الفراق ، وإلا قتلت نفسي وأنت السبب في ذلك . فقلت لها : أمهليني سبعة أيام ، فقالت : نعم .

ثم إنّي وجدت مشقة كبيرة في فراقها ، فقصدت رضاها بشيء كثير من الدنيا ، فأبَت، فأرسلْتُ جماعة من الأهل إليها ، فأبَت . فلما تيقّنْت

(١) هكذا في الأصل . وقد تكون (عاينت) بمعنى رآه بعينه . أو (غايبت) بعكس خاطبت .

عزمها على ماذكَرت ، لحِقَنى وَلَهٌ ، وتغيّرتْ أحوالي ، وتشوّش خاطري ، ولم أجد من يحمل عني ذلك · فَلَما بقي من الأجل ليلة واحدة ، وقد اشتدّ بي الحال ، وضاقت بي الأرض ، رجعت إلى الله تعالى ، وفوّضتُ أمري إلى الله ، وعزمت على أن مايفعله الله أرضى به ·

ثم دعَوْت بهذه الكلمات : اللهم ياعالمَ الخفيّات ،وياسامعَ الأصوات ، يامَن بيده ملكوت الأرض والسموات ، يامجيب الدعوات ، استعنت بك ، واستجرْتُ بك · يامغيث ، أغثني - ثلاثاً · يامجير أجرني - ثلاثاً ·

ثم جلست -وكان النصف الأخير من الليل- وأنا مستقبل القبلة ، وإذا بها قد دخلت وقبّلت رجلي وقالت : سألتك بالله العظيم إلا مارضيت عنّي ، فقد تبت مما كنت أطلبه منك ، وقد رجعت إلى الله تعالى ، فاسأله أن يقبل توبتي · فقلت : لاأرضى عنك حتى تخبريني سبب هذا · فقالت : كنت البارحة مصرّة على العزم ، فأتاني رجل في المنام وبيده اليمنى سوط ، وفي اليسرى سكين ، وقال لي : ارجعي عن هذا الأمر وإلا قتلتك بهذه السكين، ثم جلدني ثلاث جلدات ، فانتبهت مرعوبة ، وأتيت إليك مُسرعة لتقبل توبتي ، وترضى عني ، ثم كشَفَتْ عن جسدها ، فرأيت أثر ثلاث ضربات · فقلت لها : يتوب الله عليّ وعليك ، وقد رضيت عنك في الدينا والآخرة · فقالت : صداقي لك هبة ، وعندي عشرون ديناراً من حليّ ، وثيابي للفقراء شكراً لله ·

فلما أصبحت فعلت ذلك ، وأقمت معها سبع سنين وأنا في أكمل مسرّة . انتهى .

* * *

الخبر التاسع

وبالإسناد : تقول العرب في المثل : « . . . . » [١] .

وذلك أن عمرو بن حُمَمة[٢] ساد قومه أشرف سؤدد ، وعُمّر فيهم عمراً طويلاً ، وهو القائل :

تقول ابنتي لمّا رأتني كأنّني ... سليمُ أفاعٍ ليلُهُ غيرُ مُودَعِ
ترشّفت الأيامُ ماءَك كلّه ... وقد كُنْتَ ميّاداً كغصن مُرعْرع
فما الموتُ أغناني ولكن تتابعَتْ ... عليّ سنون من مَصيف ومَربَع
ثلاث مئينٍ قد مضين كواملاً ... وها أنا هذا أرتجي مرَّ أربع
وأصبحت مثل النسر طارت فراخُه ... إذا رامَ تَطياراً يقال له قَع
أخبّرُ أخبار القرون التي مَضَتْ ... ولابُدّ يوماً أن يُطارَ بمصرعي

ولما جاوز ثلاثمائة صار في بعض أيامه يخلط في بعض أحكامه ، فلزمه أحدُ أولاده ،وكانت الأمارة بينهما أن يقرع له العصا إذا خلط ، فيقف

(١) كتب المثل في المخطوطة بطريقة لايتضح منها أية كلمة ترشد إليه .

(٢) ذكر أبو حاتم في " المعمرون " ٢٩ عمرو بن حممة الدوسي ، وذكر أبياته التالية . وذكر المبرد في الفاضل ١٢ أن عمرو بن حممة عمر ثلاثمائة سنة ، وذكر قصة قرع العصا .

حتى يثوبَ إليه عقلُه ، ثم يحكم بالصواب ، وفي ذلك قال الشاعر :

لذي الحِلْم قبل اليوم ماتُقرَعُ العصا   وما عُلّمَ الإنسانُ إلا ليعلما[٣]

فلما خشي عليه قومه الموت اجتمعوا إليه وقالوا : إنك رئيسُنا وسيّدنا ، فاختر لنا سيّداً بعدك نرجع إليه ، فقال :

يامعشر دوس ، لقد كلّفْتموني ثِقلاً ، إن القلب يخلق كما يخلق البدن، ومن لكم بأخيكم ، إن كنتم سوّدتموني فإني ألنت لكم جانبي ، وخففت عليكم مؤنتي ، وتحمّلْت مؤنتكم ، وعلّمتكم مكارم الأخلاق ، افهموا عني ماأقول لكم :

إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ، وكان الباطل أغلب عليه . يامعشر دوس ، لاتشمتوا بالزلّة ، ولاتفرحوا بالنعمة ، فإن الفقير يعيش بفقره ، كما يعيش الغني بغناه ، وأعدّوا لكل أمرٍ قدره ، وقبل الرماء تُمْلأ الكنائن [٤] ، ولليدِ العليا العافية ، وللصبر الغَلَبة ، ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لايوشك أن يقع قريباً .

قال القاضي : ذهب كثير من كلماته هذه مَثلاً لحسنها وصوابها ، وهو السابق للنطق بها ، وكان لعمرو هذا ولد يقال له الطفيل ، ويلقب ذا النور ،

---

(٣) البيت للمتلمس - ديوان ٣٩٣ . وينظر تعليق المحقق ، والبيان ٣/٣٨ .

(٤) الكنائن جمع كنانه : الوعاء الذي يوضع فيه السهام . ينظر الأمثال ٢١٥ ، ومجمع الأمثال ٢/١٠١ .

وسبب لقبه هذا أنه وفد على رسول الله ﷺ تسليماً ، فأسلم على يديه ، وسأله آيةً تكون له ليرجع إلى قومه ويدعوهم إلى الإيمان ، فأعطاه الله نوراً بين عينيه ، يزهو كأنه قنديل . فقال : اللهم في غير وجهي ، لايظن قومي أن ذلك مُثْلة[٥] ، لمفارقني دينهم ، فجعل الله ذلك النور في طرف سوطه ، فسُمّي لذلك ذا النور [٦] .

* * *

(٥) في الأصل (مثلهم) وتصويبه من تاريخ دمشق . والمثلة : العقوبة والنكال .

(٦) ينظر الاستيعاب ٢/٢٢١ ، والإصابة ٢/٢١٦ ، وتاريخ دمشق ٨/٥١٣ .

الخبر العاشر

وبالإسناد عن الشعبي أنه قال [1] :

دخلت بكّارة الهلالية علي معاوية بن أبي سفيان وقد اشتدّ ضعفُ بصرها ، تُهادي[2] بين جاريتين لها ، فردّ عليها السلام وقال : كيف أنتِ ياخالة ؟ قالت : بخير ، كبُرْت ، وضعف جسمي ، من عاش كبُر ، ومن كبُر قُبر ، فقال عمرو بن العاص[3] : هي - والله - القائلة :

أترى ابنَ هندٍ للخلافة مالكاً ... هيهاتَ ، ذاك - وإن إراد - بعيدُ

مَنَّتْك نفسُك في الخلاء ضلالةً ... أغواك عمروٌ للشقا وسعيدُ

فارجع بأنحس طائرٍ وارمه {به} ... لاقت عليّاً أسعدٌ وسُعودُ [4]

وقال مروان بن الحكم : وهي - والله - القائلة :

يازيدُ دونَك فاحتفر[5] من دارنا ... سيفاً حُساماً في التراب دفينا

قد كُنت أذخرُه ليومِ كريهةٍ ... فاليومَ أبرزه الزمانُ مصونا

---

(١) الخبر في بلاغات النساء لابن طيفور ٣٩ ، والعقد الفريد ١٠٤/٢ .

(٢) أي تتمايل من الضعف .

(٣) في العقد أن هذا قول مروان ، ومابعده قول عمرو .

(٤) لم يرد البيت الثالث في العقد .

(٥) في البلاغات (فاستشر) وتابعه محقق العقد ، وأشاروا إلى أن في نسخة (فاحتفر) .

وقال سعيد بن العاص : هي - والله - القائلة :

قد كُنت آملُ أن أموتَ ولاأرى ... فوقَ المنابرِ من أميّة خاطِبا

فاللهُ أخَّرَ مُدَّتي فتطاولَتْ ... حتى رأيْتُ من الزمان عجائبا

في كلّ يوم لايزال خطيبُهم ... وسطَ الجموعِ لآل أحمدَ عائِبا

فقالت : يامعاوية ، نبحَتْني كلابُك وأنت ساكتٌ عنهم ، أنا والله القائلة لما قالوا ، وماخفي عليك وعليهم مني أكثر . قال معاوية : ماذلك يمنعنا من بِرّك وقضاء حاجتك . قالت بكارة : أما على هذا فلا[٦] ، وقامت منصرفة .

قال القاضي : كان معاوية يحتمل الأذى الصريح[٧] خيفة أن يختل عليه الأمر ، وأن يخرج الملك من يديه ، حتى قال له رجل من العرب يوماً : لتستقيمنّ يامعاوية أو لنقوّمنّك . قال : بماذا ؟ قال : بالسيف . قال معاوية : إذن والله أستقيم . فلما أحسّ الناسُ ذلك منه أقدموا عليه بما يكره .

---

(٦) أي : فلا مانع . ثم برّها معاوية وقضى حاجتها .

(٧) ليس ذلك كما يزعم المؤلف ، بل كان معاوية سياسياً حكيماً ، وكانت الفترة التي تولّى فيها الخلافة تحتاج إلى حسن تدبير للأمور ، وإصلاح للنفوس ، ومايترتب على ذلك من تحمل للأذى .

وكان من ذلك أنّه كتب إلى عبادة بن الصامت : أن أصحاب النبي ﷺ قد اجتمعوا إليّ ، فابعث إليّ ببيعتك ، وزوّج يزيدَ ابنتك . فكتب إليه عبادة : لو اجتمعت أمةَ محمد ﷺ على حبشي لسمعت وأطعت ، وقد { بعثت } إليك ببيعتي ، وأما تزويج يزيد ابنتي فقد كتبت إليك ببيتين ، فاسمعهما ، وهما :

فلو أن نفسي طاوَعتْني لأصبَحَتْ لها حَفَد ممّا يُعَدّ كثيرُ

ولكنها نفسٌ عليٌّ كريمة عَيوف لإصهار الكرامِ ، قذورُ [8]

* * *

(٨) الابيات والخبر في أخبار الزجاجي ٣٨ ، والمحاضرات ١/٢٠٩ .

الخبر الحادي عشر

وبالإسناد : أن معن بن زائدة [1] دخل على المأمون وقد كبر ، فقال له المأمون : إلى أي حال صيّرك الكبر ؟ قال : إلى أن أعثر ببعرة ، وتقيّدني شعرة . فقال : كيف حالك في المأكول والمشروب ؟ قال : إن جُعت حَرِدْت ، وإن شبِعت وجِعت . قال : فكيف حالك في النوم ؟ قال : إن كنت في ملأ نَعِست ، وإن صرت إلى فراشي أرِقت . قال : فكيف حالك مع النساء ؟ قال : عندي منهنّ ضروب : أمّا القباح فلست أُريدهنّ ، وأما الملاح فلسن يُرِدْنَني . قال المأمون : لايحلّ أن يُستناب مثلك ، أضعِفوا له رزقه ، وألزِموه بيته ، يُركب إليه ولايَركب إلى أحد .

قال القاضي : أخذ معن بعض كلماته التي وصف بها كبره ممن قبله : روينا بالإسناد عن أبي عبيدة معمر بن المثنى :

أن حنظلة بن صفوان الضبّي - وكان كبيراً في سنّه ، عظيماً في قومه- دخل على عمر بن الخطاب { رضي الله عنه } فقال له عمر : ياحنظلة ، بم عرفت الكبر ؟ قال : بقرب الأرض منّي إذا قمت ، وبعدها منّي إذا جلست ، ونومي في الملا ، وسهري في الخلا ، فقال له عمر : فكيف أنت والجماع ؟ قال : إن مُنعت غضبت ، وإن بُذل لي عجزت . قال :

---

(١) معن بن زائدة أمير جواد شجاع ، قتل سنة ١٥٢هـ . ينظر تاريخ بغداد ٢٣٥/١٣ ، والوفيات ٢٤٤/٥ ، والسير ٩٧/٧ .

فكيف أنت والطعم ؟ قال : إن شبعت وَجِعت ، وإن جُعت ضعُفت ، قال : أفتحبّ الدنيا[٢] ؟ فأنشأ يقول :

المرءُ يأملُ أن يعـــيـــ شَ ، وطولُ عـيشٍ مـايضـرّهْ

وتداول الأيام حـــتـــ ى ، لايرى شـيـئـاً يسـرّه

تفنى بشـاشـتُه ويبـ قى بعـد حلوِ العـيش مُرّه

كم شـامتٍ بي إن هَلَكْـ تُ وقـائـلٍ : لـلّهِ دَرُّه [٣]

قال الفقيه الفاضل يحيى بن الحسن : قال لي السلطان الأجَل سلمة بن الحسن : رأيت في النوم رجلاً فاستنشدني ، فأنشدته هذه الأبيات ، فقال : قد بقي منها بيت . { قلت } وماهو ؟ فأنشد :

لّله دَرُّك من فتىً لم يُفن في الشهوات عمره [٤]

قوله : " بقرب الأرض مني إذا قمت ، وبعدها إذا جلست " أي إنه إذا همّ بالجلوس لم يقدر على سرعته حتى يتّكىء على شيء ، فالأرض منه بعيدة لإبطائه في الجلوس ، وقربها منه إذا قام : أي إنه يكون في قيامه

(٢) في بهجة المجالس ٢٣٢/٣ : سأل الحجاج رجلاً من بني ليث ، قد بلغ سناً كبيرة : كيف طعامك؟ . . كيف نكاحك ؟ . . كيف نومك ؟ . . كيف قيامك وقعودك ؟ . . وهو قريب مما هنا .

(٣) رويت هذه الأبيات في عدد من المصادر ، ونسبت إلى غير شاعر ، ينظر : أمالي القالي ٨/٢ ، وأمالي الزجاجي ١١١ ، وأخبار الزجاجي ٩٧ ، والوحشيات ١٥٥ ، وأمالي المرتضى ٢٦٦/١ ، وديوان النابغة الجعدي ١٩١ ، وديوان أبي العتاهية ٢٠٩ .وفي الوحشيات،وديوان النابغة مصادر .

(٤) لم أقف على هذا الخبر ، ولم يرد البيت في المصادر السابقة .

(٥) ديوانه ٨٧ ، وزهر الآداب ٢٢٣/١ .

متثاقلاً ، غير قدير على النهوض ، فالأرض منه قريبة لبطء قيامه .

ومعنى قوله : وطول عيش مايضرُّه : أي يضرّه على طول عمره ، و «ما» زائدة .

وقد صرّح مَن قبله بهذا المعنى ، قال النمر بن تَولب :

يودّ الفتى طول السلامة والغنى   وكيف يرى طولَ السلامة يفعلُ

يُرَدُّ الفتى بعد اعتدالٍ وصحةٍ   ينوء إذا رام القيام ويُحملُ (٥)

وقال آخر :

كانت قناتي لاتلينُ لغامزٍ   فألانها الإصباحُ والإمساءُ

ودعوْتُ ربّي بالسلامة جاهداً   ليعينني ، فإذا السلامةُ داءُ (٦)

قال القاضي : قد ضمّن عتاب بن ورقاء(٧) أبياتاً له بعض الكلمات التي مضت في صفة الكبر ، فقال :

يضعفُ إن جاع ، وإن أطعمته   ... ما أصاب واحتوى

يسهر حين يرقدون فإذا   قد سهر القومُ تغشّاه الكرى

(٦) البيتان دون نسبة في الفاضل ٧٠ ، والعيون ٢/٣٢٢ ، والمصون ١٥٠ ، والعقد ٢/٥٨ ، وهما مفردان في ديوان عمرو بن قمينة ٢٠٤ ، وفيه مصادر لهما .

(٧) عتاب بن ورقاء قائد مشهور ، توفي سنة ٧٧هـ ، ينظر الكامل لابن الأثير ٤/١٤٤ ، ٤١٩ .

(٨) ينظر المستجاد ١٢٤ ، وذيل الثمرات ٢/١٤٥ .

قال القاضي : ومعن بن زائدة من بني شيبان ، وكان أميراً على اليمن من قبل بني العبّاس ؛ كريماً جزيل العطاء ، وكان مما استحسن من كرمه[٨] أن رجلاً وفد إليه ، وكان معن في بعض حدائقه يتنزّه مع خواصّه ، وفي تلك الحديقة أنهار سائحة ، فسأل الرجلُ عنه ، فقيل له : هو على شاطىء نهر منها ، فكتب الرجل رقعاً ، وشبكه في شوكة من علية شجر ، وأرسله في الماء ، فلما بصُر معن بالرقع ، قال : عليّ به ، فسُلّم إليه ، فقرأه ، فإذا فيه بيت واحد ، وهو :

أياجودَ معنٍ نادِ معناً بحاجتي فما لي إلى معنٍ سؤال رسولِ [٩]

فأمر بإحضاره من خلف الحائط،فلما أتى الرجل سأله معن عن الرقع ، فأخبره خبره ، فأمر له أربعين ألفاً ، فحسده بعض الحاضرين أن يزيده ، فأمره بالانصراف ، ثم التفت معن ، فسأل عن الرجل ، فقالوا : نجا ، فقال: محسود وربّ الكعبة ، أما والله لو قعد مازلنا ننقل إليه خزائننا حتى يأتي عليها .

وقيل : إنه أمر بردّه ، فلما مثل بين يديه قال له : ماأذهبك عنّا ياأخا العرب ؟ فقال : هذا ، وأومأ بيده إلى الذي أمره ، فزاده معن أربعين ألفاً ، وأمر بقتل المشير عليه بالانصراف ، فقال الرجل : تمم عليّ نعمتك أيها

---

(٩) في المصدرين (سؤال شفيع) وسيأتي ص ١٨٠ .

(١٠) ديوان مروان ١٠٦ ، والعقد ١٦٦/٢ .

الأمير بالصفح عن هذا ، ففعل .

وكان مروان بن أبي حفصة كثيراً مايمدحه ، وفيه يقول :

معن بن زائدة الذي زيدت به   شرفاً على شرفٍ بنو شيبان(١٠)

* * *

(١) الخبر في عيون الأخبار ٣٨/١ ، والأغاني ١٤٠/٢١ ، والتذكرة الحمدونية ٤٦٣/٢ ، وجمع

الخبر الثاني عشر

وبالإسناد عن الأصمعي ، عن بعض شيوخه [1] :

أن ابن أبي محجن دخل على معاوية،{ فقال له } أبوك الذي {يقول} :

إذا مِتُّ فادفنّي إلي أصلِ كرمةٍ   يروّي عظامي بعد موتي عروقُها

ولاتدفنّني في الفلاةِ ، فإنّني   أخاف إذا مامِتُّ ألا أذوقها[2]

قال : لو شئت { ذكرت } من شعر أبي ماهو أحسن من ذلك ، وهو قوله :

لاتسألي الناس عن مالي وكثرتِه   وسائلي الناس عن مجدي وعن خُلُقي

القومُ أعلمُ أني من سراتهمُ   إذا تطيشُ يدُ الرِعديدة الفَرِقُ

أعطي السّنان غداةَ الروع حِصّته   وعاملُ الرمح أرويه من العَلَقِ

وأركب الهول مسدولاً عساكِرُه   وأكتمُ السرَّ فيه ضربةُ العنق[3]

الجواهر ٨٤ ، والاستيعاب ٤/١٨١ ، والإصابة ٤/١٧٣ . وأبو محجن صحابي شاعر . ينظر أخباره في الاستيعاب والإصابة .

(٢)المصادر السابقة ، وديوان أبن محجن ٢٣ .

(٣) المصادر ، والديوان ١٥ - ١٩ .

(٤) روت المصادر كثيراً من الأقوال في تفضيل بعض الأبيات ، وأحسن بيت قيل في فن من فنون الشعر ، وأكثر من جمع ذلك الحاتمي في حلية المحاضرة - ينظر ٢٤٣/١ ومابعدها . وينظر أيضاً

قال معاوية :لئن كُنّا أسأنا إليك في المقال،مانسيء إليك في الفعال ، وأعطاه وأجزل عطاءه .

قال القاضي : البيتان الأولان أحمق شعر قالته العرب على مارتّبه الأصمعي(٤) ، روي عنه أنه قال : أصدق بيت قالت العرب قولُ امرىء القيس :

اللهُ أنجحُ ماطَلَبْتَ به   والبرُّ خيرُ حقيبة الرَّجُل (٥)

وأنصف بيتٍ قالته العرب قولُ حسان بن ثابت ، راداً عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً ، حيث يقول :

أتهْجوه ولَسْتَ له بكُفء   فشرُّكُما لخيركما الفداءُ (٦)

ولما أنشد حسان بن ثابت ذلك على النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام قال : « هذا أنصف بيت قالته العرب » .

قال الأصمعي : وأسير بيت قالته العرب قولُ { القطامي } (٧) :

والناسُ مَنْ يلقَ خيراً قائلون له   مايشتهي ، ولأمّ المخطيء الهَبَلُ(٧)

كتاب بغداد لابن طيفور ١٣٥ ، والمصون ٦ ومابعدها .
(٥) ديوان امرىء القيس ٢٣٨ ، وحلية المحاضرة ١/٢٤٣ .
(٦) ديوان حسان ١/١٨ ، والحلية ١/٣٣٠ .
(٧) ديوان القطامي ٢٥، والحلية ١/٢٤٨ . والهبَل : الثكل .
(٨) ديوان طرفة ٤٤ .
(٩) ديوان جرير ٨٩ ، والمصون ٢٢ .
(١٠) ديوان الأخطل ٢/٦٣٦ ، والحلية ١/٣٧٣ ، والمعنى أن أضيافهم يصيحون كالكلاب حتى

وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة :

ستُبدي لك الأيّامُ ماكنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوّدِ [8]

وأمدح بيت قالته العرب قول جرير في عبد الملك بن مروان ، حيث يقول :

ألسْتُم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمين بطون راحِ [9]

وأهجى بيت قالته العرب قول الأخطل في جرير ، حيث يقول :

قومٌ إذا استَنْبَحَ الأضيافُ كلبهَم قالوا لأمّهُمُ : بولي على النار[10]

وأحمق بيت قالته العرب قول أبي محجن ، حيث قال :

إذا مِتُّ فادفنّي إلي أصل كرمةٍ يروي عظامي بعد موتي عروقُها

ولاتدفنّني في الفلاةِ ، فإنّني أخاف إذا مامِتُّ ألاّ أذوقها

وأشجع بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس السُّلمي ، حيث يقول:

أكِرّ على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها ، أم سواها [11]

تنيح كلابهم .

(١١) ديوان العباس ١١٠ ، والعيون ٢/١٩٤ ، والعقد ٦/١٥٠ .

(١٢) هو لدريد بن الصمة : الأغاني ٩/٥ ، والحلية ١/١٢٣ ، وديوان دريد ٥٠ .

(١٣) في الأصل (سلامة) وقد يكون الصواب ماأثبت .

(١٤) البيت لمساور بن هند . التمثيل والمحاضرة ٦٨ ، ونهاية الأرب ٣/٧٤ . وهو في الخزانة

قال القاضي : نقض العباس بيته هذا بأبيات له أُخر سنذكرها في خبر آخر إن شاء الله .

قال القاضي : ترتيب الأصمعي هو هذا ،وقد رُويت عن غيره زيادات، قال : أشعر بيت قالته العرب :

قليل التشكّي للمصائب،ذاكراً   من اليوم أعقاب الأحاديث في غد [١٢]

وقال محمد بن سلام [١٣] :

شَقِيت بنو أسدٍ بسعي مُسُاورٍ   إنّ الشقيَّ بكل حبلٍ يُخنَقُ [١٤]

قال أبو عمرو : أمدحُ بيت قالته العرب قول الأخطل ، حيث يقول :

شُمْسُ العداوة،حتى يُستقادَ لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا [١٥]

وروي عن علي بن الجهم أنه قال للمعتصم [١٦] : أمدح بيت قالته العرب :

٤١٩/١١ دون نسبة .

(١٥) ديوان الأخطل ٢٠١/١ ، والعقد ٣١٤/٥ .

(١٦) هذا مختلف عما في المصادر: ففي كتاب بغداد ١٧١ ، والمحاسن والمساوىء ٣٩٨/١ ، دخل محمد بن الجهم على المأمون ، وذكرا الأبيات الثلاثة دون نسبة . ومثله في العقد ٣٨١/٥ ، ولم يذكر البيت الأول (يجود بالنفس . .) أما في تاريخ بغداد ٩٧/١٣ : أخبرنا التنوخي . . . . قال مسلم بن الوليد ثلاثة أبيات . . . . . وذكر الثلاثة .

(١٧) البيت من قصيدة في ديوان مسلم ١٦٤ ، وذكر المحقق المصادر .

(١٨) البيت مفرداً في ديوان مسلم ١٢١ وذكر المحقق المصادر .

(١٩) ومفرداً أيضاً في ديوان مسلم ٣٢٠ ، وفيه المصادر ، ويزاد عليها جميعاً تاريخ بغداد ٩٧/١٣ .

يجود بالنفس إن ضنَّ الجوادُ بها   والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ[17]

وأهجى بيت قالته العرب :

قبحت مناظره فحين خبرته   حسُنت مناظره لقبح المخبر [18]

وأرثى بيت قالته العرب قول بعضهم :

أرادوا ليُخْفوا قبره عن عدوّه   فطيبُ تُراب القبرِ نمّ على القبرِ [19]

قال القاضي : هذه الأبيات التي أوردها ابن الجهم ، كلها لمالك بن فاتك الأزدي[20] .

* * *

(٢٠) هكذا في الأصل ، وقد قدّمت ماورد فيها .

(١) أبو زبيد - حرملة بن المنذر - شاعر بليغ نصراني . له قصائد في وصف الأسد . ينظر الديوان ٣٩ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ٩٤ .

والخبر في : طبقات فحول الشعراء ٥٩٤/٢ ، والمحاسن والأضداد ٦٢ ، والأغاني ٢٤/١١ ، وتاريخ دمشق ٣٢٢/٤ ، وقد اختلف بعض العبارات في المصادر . وورد في المخطوط كلمات غير واضحة ، قوّمتها من المصادر ، كما شرحت غريب الألفاظ .

الخبر الثالث عشر

وبالإسناد عن الكلبي :

أنْ أبا زبيد الطائى[1] دخل على عثمان بن عفان { رضي الله عنه } وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار ، فقال عثمان : ياأبا الربيع ، أنشِدْنا بعض قولك : فأنشده قصيدته - التي يقول فيها :

من مُبْلِغٌ قومنا النائين إذ شَحَطوا   أنّ الفؤاد إليهم شيقٌ وَلِعُ [2]

فلما بلغ إلى صفة الأسد قال له عثمان : تالله تذكر الأسد ، وماأحسبك إلا هِداناً جباناً [3] . قال : كلا والله ، ولكنّي رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لايبرح ذكرُه يتجدّد في قلبي ، فمعذور غير ملوم ، قال له عثمان : فأخبرنا مارأيت منه .

قال أبو زبيد : إني خرجت في صيّابة من أفناء قبائل العرب(٤) ،

---

(٢) مطلع قصيدة له - ديوانه ١٠٨ .

(٣) الهدان : الثقيل الوخم . (٤) الصيّابة : الخيار . والأفناء : المختلطون .

(٥) هكذا في الأصل ، ولم ترد الجملة في المصادر . (٦) اخروّط : أسرع . وحّمارة القيظ : شدّته .

(٧) عصبت : جفّت . (٨) الصيهد : السراب ، وشدة الحر . (٩) الدّغل : الشجر الكثير الملتف . والغلل : الماء الذي يجري بين الشجر . (١٠) كنهبلات مهندلات : عظام . (١١) صرّ بأذنيه : نصبها للاستماع . (١٢) الشكال : مايربط به . (١٣) الزردق : الصفّ . (١٤) المجنّ : الترس العريض . (١٥) عين سجراء : خالط بياضها حمرة .

(١٦) قصرة ربلة : عنق ضخمة . (١٧) اللهزمة : القطعة البارزة تحت الأذن . ورهلة : مرتخية .

ذوي شارة وهيئة حسنة ، يرتمي بنا المهارى ، علينا أكسيتنا القيروانيّات ، على قُنن البغال[٥] نقود عتاق الخيل عليها العُبدان ، نريد الحارث بن أبي شمر الغسّاني ، فاخروّط بنا المسير في حمارّة القيظ[٦] ، حتى إذا عَصَبت الأفواه[٧] ، وذبُلتَ الشفاه ، وذاب الصَّيّهد[٨] ، وصرّ الجندب ، وضاف العصفور الضبّ في وِجاره ، قال قائلنا : أيها الركب ، أنيخوا بنا في دَوح هذا الوادي ، فإذا بواد قد بدا لنا كثير الدَّغَل ، دائم الغَلل[٩] ، أشجارُه مُغِنّة ، وأطياره مُرِنّة ، فَحَطَطْنا رِحالنا بأصول دَوْحات كنهبلات مهندلات[١٠] ، فأصبْنا من فضلات المزاود ، وأتبعناها بالماء الزُلال البارد ، وإنّا لنصف حرَّ يومنا ، ومماطلته ومطاولته ، إذ صرّ أقصى الخيل بأذنيه[١١] ، وفحص الأرض بيديه ، ثم مالبث أن جال ، وحَمْحَم وبال ، وفعل الذي يتلوه فعله ، واحداً إثر واحد ، ثم تضعضعت الخيل ، وتقهقرت البغال ، وتَكَعْكَعَت الإبل ، فمن بين نافرٍ بشِكاله[١٢] ، وناهض بعقاله ، فعلِمْنا أنا قد أتينا ، وأنّه الأسد ، ففزع كلٌّ منا إلى سيفه ، فسلّه من جُرُبّانه ، ووقفنا له زَرْدقاً[١٣] ، فأقبل يتظالع في مشيته ، فإذا بجبهةٍ كالمِجَنّ[١٤] وخد كالمِسَنّ ، وعينان سجراوان[١٥] ، كأنهما سراجان يتّقدان ،

---

(١٨) الكتد : بين آخر العنق إلى الظهر · ومغبط : مرتفع ·
(١٩) البراثن من الأسد كالأصابع من الإنسان · وشثن : غليظ ·
(٢٠) المحجن : عصا معقوفة الرأس · (٢١) ازبأر : تهيأ للشر ·
(٢٢) الجزارة : اليدان والرجلان والعنق · (٢٣) الزُبر : الشعر المجتمع على ظهر الأسد ·
(٢٤) الشيهم : القنفذ العظيم الشوك · (٢٥) اختلج : انتزع · والأعجز : العظيم العجز ·

وقصرة رَبلة[١٦] ، ولِهزمه رهلة[١٧] ، وكَتِد مُغبط[١٨] ، وزَور مُفرِط ، وعضُد مفتول ، وساعد مجدول ، وكفّ شَثَنَةُ البراثن[١٩] إلى مخالب كالمحاجن[٢٠] ، وفم أشدق كالغار الأخرق ، وأنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة ، وهامة عظيمة ، وجبهة سقيمة ، ثم حفزَ وركَيه برجليه ، حتى صار ظلُّه مثليه ، فاكفهرّ ثم تجهّم فازبأرّ[٢١] ، فوالذي بيته في السماء ماإتقيناه إلا بأخٍ لنا من بني فزارة ،كان ضخم الجُزارة[٢٢] فوقصه وبقر بطنه ، فجعل يلغ في دمه ، فبعد لأي هَجْهَجْتُ بأصحابي ، فكرّ مقشعراً بزُبَره[٢٣] ، كأن به شيهماً حولياً[٢٤] ، فاختلج من دوني رجلاً أعجز ذا حوايا[٢٥] ، فنفضه نفضة تزايلت منها أوصاله ، فأسكت الأسماع ، وأطّت الأضلاع[٢٦] ، وانخزلت المتون ، وساءت الظنون ، ولحقت الظهور بالبطون .

فقال عثمان : كفٌّ ياأبا زبيد ، فقد أرعبت قلوب المؤمنين .

فأنشأ يقول :

والحوايا : الأمعاء . (٢٦) أطّت الاضلاع : سُمع لها أطيط : صدى صوت .

(٢٧) مصلخد : منتصب قائم .

(٢٨) ديوانه ٦٥ ، والمحاسن والأضداد ٦٣ .

(١) الخبر في الأغاني ٣/١٣٢ ، وعنه في الفرج ١/١٢٠ ، وهو في وفيات الأعيان ١/٢٢٤ ، باختلاف فيها عمّا هنا ، وينظر مقاتل الطالبين ٤٢٥ .

(٢) في كشف الخفاء ١/٤٧٩ أنه يروي عن الحسن مرفوعاً ، وأن ابن حبان أخرجه في صحيحه ، وينظر مقاتل الطالبين ٤٢٥ عن سمرة مرفوعاً ، وكلاهما بسند ضعيف .

(٣) في الأغاني والفرج : أنا خاص ، داعية عيسي بن زيد وابنه أحمد . وفي الوفيات : أنا حاضر

عَبوسٌ،شموسٌ، مُصْلَخِدٌّ،مُكابرٌ جـريءٌ،على الأقـران للقـرن قـاهرُ[٢٧]

يُدِلّ بأنيـابٍ حـدادٍ ، كـأنّهـا إذا قلّص الأشـداق عنهـا ، خناجـر

براثِنُه شَثْنٌ ، وعـيناه في الدّجا كجمر الغضا،في وجهه الشرُّ ظاهر[٢٨]

* * *

صاحب عيسى بن زيد .

(٤) البيت الثالث لم يرد في المصادر السابقة ، وهي كلها في ديوان أبي العتاهية ٢٠٠ .

الخبر الرابع عشر

وبالإسناد عن أبي العتاهية ، قال [١] :

بينما أنا في حبس الرشيد ، إذ دخل علينا ذو شارة ووسامة ، فسلّم وجلس ساعة لاينطق ، فقلت : أصحاك الله ، إن للمسجون استرواحاً إلى الأخبار ، وتطلعاً إلى الحديث ، وقد دخلت علينا ، فما حدَّثْتنا بشيء من أمرك ولا أمر غيرك. فقال :قال رسول الله ﷺ :« للداخل دهشة ، فابسطوه بأنس »[٢] فلم تبدءوني بالبسط والتأنس ، بل أنحيتم عليّ بالعذل والتأنيب ، فقلت : صدقت . وقصّ كلٌّ واحد منّا عليه قصته ، ثم أخرجت إليه سويقاً فسقيته ، فبينا هو يشرب إذ دخل الأعوان ، فقالوا له : قم، قد أُمر بقتلك . فارتَعْنا وذُعرنا وهو ساكن الجأش ، طيّب النَّفْس ، حتى استتمّ السويق ، ثم قال : أنا حاضر مولى عبد الله بن الحسين[٣] ، الذي أقول :

تعوّدت مسّ الضُرّ حتى ألِفْتُه ... وأسْلَمني حسنُ العزاء إلى الصبرِ
وصيرّني يأسي من الناس راجياً ... لسرعةِ صنعِ اللهِ من حيث لاأدري
ووسَّع صدري بالأذى كثرةُ الأذى ... وقد كان أحياناً يضيق به صدري
إذا أنا لم أقبل من الدهر كلَّ ما ... تكرّهْتُ منه طال عتبي على الدّهْرِ[٤]

---

(١) الخبر عن المبرد في أخبار الزجاجي ٣٤ ، وقريب منه في العقد ٥/٣٧٤ ، وشرح المقامات ٢/٣٩.

(٢) وَهِمَ المؤلف هنا فذكر « ومسلم بن الوليد » والصواب أنه أبو الشيص كما في المصادر. والأبيات التي رواها بعدُ لمسلم أجمعت المصادر على أنها لأبي الشيص ، ولذا صوّبتها هنا .
أما أبو نواس – الحسن بن هانىء ، وأبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم ، فأشهر شعراء العصر

ثم نهض غير مذعور ، ولا مرعوب ، فلم يُرَ أربطَ جأشاً منه ، ولم يُعرف له بعد ذلك خبر .

ثم إني لقيته بعد سنين بالموقف ، فتعرّفت إليه ، وقلت : ماكان شأنك بعدنا ؟ قال : أدخلت على الرشيد ، فمدّ النّطع ، وجرّد السيف ، وعُصبت عيناي ، وأمر بقتلي . فرأى شفتيّ تتحركان ، فقال : بِمَ تحرّك شفتيك - لاأمّ لك ؟ فقلت : بدعاء علّمنيه مولاي . فقال : اجهر به . فقلت : اللهمّ يامن لايُردّ قضاؤه عن كل ذي سلطان منيع ، ولايُدفع بلاؤه عن كل ذي مجد رفيع ، وياكاشف الهمّ عن المأسور الضعيف عند مُعضل الخطب ، ودافع عن المضطهد اللهيف الكرب ، أسألك بأجلّ الوسائل لديك ، وأقرب الوصائل إليك ، بمحمدٍ خاتم النبيين ، وأهل بيته أجمعين ، أهل طه ويس ، أن تجعل لي من أمري مخرجاً ، ومن محنتي فرجاً ، إنك سميع الدعاء ، جزيل العطاء . قال : فاغرورقت عينا الرشيد بالدموع ، وقال : حلّوا وثاقه ، وادفعوا إليه زاداً وراحلة ، وألحقوه بأهله . فأُخرجت إلى المدينة من فوري .

* * *

الخبر الخامس عشر

وبالإسناد عن أبي العباس المبرد أنّ من يثق به حدّثه[1] أنه :

اجتمع أبو نواس ، وأبو العتاهية ، وأبو الشيص[2] ، والحسين الخليع في مجلس ، فقال لهم أبو نواس ياإخوتي ، إن لهذا المجلس مابعده ، وسيُذكر اجتماعنا فيه ، فلينشد كلٌّ واحدٍ منا أحسن ماقال . قالوا : افعلوا ، واتّفقوا على تقديم أبي العتاهية ، فأنشأ يقول :

العباسي . ينظر الشعر والشعراء ٢/٧٩٦ ، ٧٩١ .

أما مسلم بن الوليد ، صريع الغواني ، فمن مشاهير شعراء العصر العباسي، توفي سنة ٢٠٨هـ ، ينظر الشعر والشعراء ٢/٨٣٢ ، وتاريخ بغداد ١٣/٩٦ .

أما أبو الشيص - محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعي ، فمن شعراء عصره ، توفي سنة ١٩٦هـ ، ينظر الشعر والشعراء ٢/٨٤٣ ، والأغاني ١٥/١٠٨ ، ومقدمة ديوانه .

أما الحسين بن الضحّاك الخليع ، فشاعر اتصل بالخلفاء والأمراء ومدحهم ، مات سنة ٢٥٠هـ ، ينظر تاريخ بغداد ٨/٥٤ ، ومقدمة ديوانه .

(٣) عتبة جارية المهدي ، أكثر أبو العتاهية من التشبّب بها .

(٤) أخبار الزجاجي . والديوان ٣٨٦ ، وليس في الديوان البيتان الثاني والسادس .

(٥) في الأصل (مسلم) كما سبق .

(٦) الأبيات لأبي الشيص في الشعر والشعراء ٢/٨٣٤ ، والعقد ٥/٣٧٤ ،والأغاني ١٥/١٠٩ ، وهي في ديوانه ٩٢ ، وفيه مصادر للأبيات .

(٧) ديوان الحسين بن الضحاك ٩٨ ، ٩٩ .

(٨) ديوان أبي نواس ٢٧ .

(٩) في أخبار الزجاجي (أفعلتموها كسروية) وفي العقد (أعجمية) .

ياإخـوتي إنّ الهـوى قـاتلي ... فـيـسّروا الأكـفـانَ من عـاجلِ
ولاتلومـوا في اتّبـاع الهـوى ... فـإنني في شُغْلٍ شـاغـل
أمسى فـؤادي عند خُمصـانةٍ ... ذات وشـاحٍ قَلِقٍ جـائـل
كـأنّهـا من حـسنهـا دُرّةٌ ... أخـرجـهـا البـحـر إلى السـاحل
لم يُبقِ مني حُبّـهـا مـاخـلا ... حـشـاشـةً في بدنٍ نـاحل
يحسبني الناس صحيحاً وما ... يـدرون بـالمُسْتـبْطِنَ الـداخـل
تخـالُ في فـيـهـا وفي طَرْفـهـا ... سـواحـراً أقْبَلْنَ من بابـل
عـيني على عـتـبـةَ منهلّةٌ ... بدمـعـهـا المنسكب الهـامل[٤]
يامن رأى قـبلي قـتـيـلاً بكى ... من شـدة الوَجـد على القـاتل
بسطْت كـفّي نحـوكم سـائلاً ... مـاذا تردُّون على السـائل
إن كنتم العـام على عُسـرة ... وَيْلي فَمنُّوني إلى قـابِلِ[٤]

وأنشدهم أبو الشيص (٥) :

وقف الهوى بي حيث أنت،فليس لي ... مـتـأخَّر عنه ولا مـتـقـدَّمُ
وأهنتَني فـأهنْتُ نفـسي جـاهداً ... مـامن يهـون عليك مِمّن يُكرمُ
أشـبـهْتِ أعـدائي فـصِرتُ أُحـبُّهم ... إذ كـان حظي منك حظّيَ منهم
أجـدُ الملامـة في هواكِ لذيذةً ... حـبًّا لذكـرِك ، فليَلُمْني اللوَّمُ[٦]

(١) الخبر في تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٦٦ عن المازني .
(٢) وهي صاحبة جميل بن معمر العذري .
(٣) البيت الأول من قصيدة في ديوانه ٩٨ ، والأغاني ١٠٧/٧ ، وكلها في تاريخ دمشق .
(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٣١ .
(٥) الحديث في المسند ١٩٤/٥ ، ٤٥٠/٦ ، وسنن أبي داود . الأدب ٣٤٧/٥ ، وعلّق المنذري في

وأنشدهم الخليع :

بنفسي حبيب أمّ مكّةَ مُكْرَهاً يعالجُ مستوراً من الحزن والألمْ

كأني وحيدٌ لايُسَرُّ بمؤنسٍ من الناس حتى تنقضي الأشهرُ الحُرُم

ألامَ على شغلي بما أنا شغلُه إذا طاف أو أصغى إلى الركن واسْتَلَمْ

سنرعى بظهر الغيب ماكان بيننا ونحفظ عهدَينا علي رغمِ من رَغِمْ (٧)

ثم قالوا لأبي نواس : أنشِدنا ، فأنشأ يقول :

لاتبكِ ليلى ولاتَطرَبْ إلى هندِ واشرب على الوردِ من حمراءَ كالوردِ

كأساً إذا انحدرت من حلق شاربها رأيت حمرَتها في العين ، والخَدّ

فالكأس لؤلؤة والخمرُ ياقوتة من كفّ جارية ممشوقة القَدّ

تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فمالك من سُكرين من بُدّ

لي نشوتان وللنّدمان واحدة شيء خُصِصْت به من بينهم وحْدي(٨)

فلّما استتمّوا قاموا فسجدوا له. فقال:أفعلْتموها معي؟(٩)أقسمت لاكلّمتكم ثلاثاً ولاثلاثاً ولاثلاثاً،فلما كان من الغد كتب إليهم:ياإخوتي، إن أيام العمر أقصر من أن تحتمل،فاجعلوا واحتكم اليوم عندي ،ففعلوا ذلك .

* * *

مختصر السنن ٨/٣١ على الحديث بأن في إسناده بقية بن الوليد ، وبكير بن عبد الله ، وفي كل واحد منهما مقال ، وذكر أنه روى موقوفاً ، أو نسب إلى معاوية ، كما نقل شرح الحديث .

الخبر السادس عشر

وبالإسناد عن أبي عثمان المازني [1] :

أن عبد الملك بن مروان نزل بوادي القرى سنة حجّه ، فدخلت عليه بثينة[2] وعليها ثياب من ثياب البادية ، وعلى وجهها بُرْقُع ، فقال : أقسمت عليك إلاّ نحّيْت البرقع عن وجهك . ففعلت ، فإذا هو وجه ليس ببارع الجمال ، وعليه أثرُ كَلَف . فقال : ماأراك مما قال جميل :

بيضاءُ ، آنسةٌ ، كأنّ حديثها ... دُرّ تهَلّلُ ، سِلكُه منثورُ

لولا بثينةُ أنْ أُخبّت نفسَها ... إنّي بها وببذلها مَسرورُ

لغَدت برَحْلي في صحابة خالدٍ ... وجناءَ ناجية الشعاب عسير

ولقد طربت إليك حتى إنّني ... لأكاد من طربٍ إليك أطير[3]

ماأنت يابثينة بهذه الصفة .

قالت : لكنني كنت عنده كذلك ، أما سمعت بقول ابن أبي ربيعة :

ولقد قالَت لأتراب لها ... وتَعرّتْ ذاتَ يومٍ تَتَبرّدْ

أكما ينْعَتُني تُبصرنّني ... عَمْركُنَّ اللهَ أمْ لايَقتصِدْ

فتضاحَكن وقد قلْن لها : ... حَسَنٌ في كلّ عينٍ مَن تودّ[4]

(٦) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد لله بن جعفر : عيون الأخبار ٣/ ١١٠ ، والعقد ٢/ ٣٤٨ ، وأدب الدنيا ٣٧ ، والبهجة ١/ ٨١٤ .

(٧) مجمع الأمثال ٢/ ٩٧ ، والمستقصى ١/ ٣٣٩ .

(٨) البيتان في حياة الحيوان ٢/ ٢٤٩ للأخطل ، ولم يردا في ديوانه ، والثاني في الصحاح - قرب

فبرّها وقضى حوائجها .

قال القاضي : بيت ابن أبي ربيعة الأخير مأخوذ من الخبر الذي بمَعناه عن رسول الله ﷺ تسليماً ، وهو قوله : « حبُّك الشيء يُعمي ويُصِمّ »[٥] وأحسن ماسمعناه في تفسيره أن معناه : يعميك عن النظر إلى مساوئه ، ويصمّك عن استماع العذل فيه . وقد أخذه بعض المتأخرين فقال :

وعينُ الرضا عن كلّ عينٍ كليلةٌ ولكنّ عينَ السُّخْط تبدي المساويا[٦]

ومن أمثال العرب في هذا : « القَرَنْبى في عين أمّها حَسَنة »[٧] والقرنْبَى : دُويبة مثل الخنفساء ، قبيحة المنظر ، فيقولون : هي في عين أمّها حسنة مع قبحها ، لمحبّتها لها . وفي القرنبى وقبحها قال الأخطل :

يدبُّ على أحشائها كلَّ ليلةٍ دبيبُ القَرنْبى بات يعلو نقاً سهلا

وكا من خبر هذا البيت أن الأخطل نزل على رجلٍ من العرب في يوم شديد البرد ، فأحسن قِراه ، فلما كان بالليل ، نظر الأخطل إلى امرأة الرجل وكانت حسناء ، فقال لها : هل لك أن أحاجيك ؟ فقالت نعم . فأنشأ يقول:

واللسان والتاج - قرنب ، دون نسبة .

(١) الخبر في أمالي الزجاجي ٢٤٤ ، ومعجم الأدباء ٢٢٨/١٩ ، وباختصار في الشعر والشعراء ٤١١/١ .

(٢) نصيب من فحول الشعراء الإسلاميين . توفى سنة ١٠٨هـ ، ينظر الشعر والشعراء ٤١٠/١ ، والأغاني ١٢٥/١ ، ومعجم الأدباء ٢٢٨/١٩ .

(٣) في الأمالي (إذا سَوّلتْ إلى لئيم) .

ألا ياعبادَ الله إنّي متيّم بأحسن من صلّى ، وأقبحهم فِعلا
يدبّ على أحشائها كلَّ ليلة دبيب القرنبى بات يعلو نقاً سهلا (٨)

فقال له الرجل : أنت هاهنا ، والله لابتّ إلا في الصقيع ، وأخرجه من منزله .

* * *

---

(٤) الأبيات في الشعر والشعراء ، والأمالي ، ومعجم الأدباء ، وهي في الأغاني ١/١٣٣ مع جزء من الخبر ، وديوان نصيب ٩٩ وذكر مصادرها . وفي ديوان المعاني ١/٣٣ ، قال العسكري : قال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب ، والأبيات في طراز المجالس ٩٦ لأيمن بن خريم .

الخبر السابع عشر

وبالإسناد عن الفضل بن عباس الهاشمي ، أنه قال :[1]

دخلت على مسجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً فإذا بنُصيبٍ الشاعر[2] ، ولم أكن أعرفه ، فقلت له : من أنت يرحمُك الله ؟ فما أدري ممّ أعجب ، من شدّة بريق وجهك ، أم من نظافة ثوبك ، أم من طيب رائحتك ؟ فقال : أنا نُصيب الشاعر . فقلت له : لم لاتهجو كما تمدح ؟ فقال : تُراني لاأحسن أقول مكان عافاه الله : أخزاه الله ، ولكني أدع الهجاء لحالتين : إما أن أهجو كريماً فأقطع عرضه ، وإمّا أن أهجو لئيماً لطلب ماعنده ، فنفسي أحقّ بالهجاء إذن [3] .

قال : ثم إن بني سيّد نصيب اجتمعوا إليه فقالوا : إن عبدك هذا قد لهج بقول الشعر ، ونحن منه بين وجهين شرّين : إما أن يهجونا فيقطع أعراضنا ، أو يمدحنا فيتشبّب بنسائنا ، وليس لنا في شيء من الخصلتين حظّ . فقال له مولاه : يانصيب ، إني بائعك لامحالة ، فاختر لنفسك مولى

---

(٥) ذكر محقق الأخبار أن أحبجر من الحبجرة : الوتر الغليظ .
(٦) مرى الناقة : مسح ضرعها لتدرّ اللبن . وفصفصها : أطعمها الفصْفصة وهو نبات رطب .
(٧) الإيطاء : تكرر القافية في الشعر . والإقواء : اختلاف حركة الَروي (آخر البيت) والسناد : اختلاف الحركة قبل الرويّ . ينظر القوافي للتنوخي ١٤٨ ، ١٣٤ ، ١٥٤ .
(٨) الخبر من هنا في الكامل ١/١٠٦ مع المصادر السابقة .
(٩) التّرة : الثأر .
(١٠) ديوان الفرزدق ١/٣٠ ، والمصادر المذكورة .

فنهض إلى عبد العزيز بن مروان بمصر ، فدخل عليه بين وزرائه ، فأنشد :

لعبدِ العزيز على قومِه ... وغيرهم نِعمٌ ظاهره
فبابُك أسهلُ أبوابِهم ... ودارُك مأهولة عامِره
وكفُّك حين ترى المُعْتقين ... أندى من الليلة الماطره
فمنك العطاء ، وفيك الثناء ... بكلّ محبّرة سائره[٤]

فأمر له بألف دينار . فقال له : أصلحك الله ، إني عبد ، ومثلي لايأخذ الجوائز ، قال : فما شأنك ؟ فأخبره بحاله ، فقال لوكيله : اذهب به إلى الجامع ، فناد عليه ، فإذا بلغ الغاية فعرّفني ذلك . فذهب به ، فنادى عليه ، فقال : من يُعطي بعبدٍ أسودَ جَلْد ؟ قال رجل : هو عليّ بخمسين ديناراً . فقال نصيب: على أني أرمي القسي ،وأريشُ السهام ، وأحبْجر[٥] الأوتار . فقال رجل : هو عليّ بمائة دينار . فقال نصيب : على أنّي أرعى الإبل ، وأمريها ، وأُفَصْفِصها[٦] ، وأُصدرها ، وأوردها ، وأرعاها ، وأرعيها . فقال رجل : هو عليّ بخمسمائة دينار . قال نصيب: قولوا : على عَربيّ شاعر ، لايوطيء ، ولايُقوي ، ولايُساند[٧] . قال رجل هو عليّ

(١١) أهل ودّان : من كان فيهم نصيب .
(١٢) ديوان نصيب ٥٩ ، والمصادر .
(١٣) الكامل ١/١٠٧ ، والشعر والشعراء ١/٤١١ ، والأمالي ٤٨ ، والأغاني ١/١٣٤ ، ومعجم الأدباء ١٩/٢٣٢ .
(١٤) في الأمالي ٤٨ : قال أبو غانم المعنويّ : معنى بيت نصيب الأخير ... فلم يُصب القاضي في نسبة الكلام لنفسه .

بألف دينار .

فسار به إلى عبد العزيز ، فخبّره ، فبعث إلى مولاه بألف دينار ، ولم يزل في جملته إلى أن احتضر ، فأوصى به سليمان بن عبد الملك خيراً . وصيّره سليمان في سُمّاره ، فدخل[٨] الفرزدق ذات يوم على سليمان ، فقال له : ياأبا فراس ، أنشدني - وإنما أراد ينشده مديحاً فيه - فأنشده:

وركبٍ كأنّ الريح تطلب عندهم | لها ترةً من جَذْبها بالعصائب[٩]
سرَوا يركبون الريحَ وهي تلفُّهم | إلى شُعَبِ الأكوارِ ذاتِ الحقائب
إذا أبصروا ناراً يقولون : ليتَها | وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نارُ غالب[١٠]

فتمعّر سليمان واربدّ لمّا ذكر الفرزدق غالِباً جدَّه . قال نُصيب : ألا أنشدُك على روّيه مالا يقصر عنه ؟ قال : بلى ، فأنشد نصيب :

أقول لركبٍ صادرين لقيتُهم | قفا ذاتِ أوشالٍ ، ومولاك قاربُ
قفوا اخبروني عن سليمانَ، إنني | لمعروفه من أهل ودّانَ طالبُ[١١]
فعاجوا فأثنَوا بالذي أنت أهلُه | ولو سكتوا أثنَتْ عليك الحقائبُ[١٢]

---

(١٥) الأمالي ٤٨ ، وهما في العقد ٤/ ١٠٠ دون نسبة .
(١) الخبر في الموشى ١٢٥ ، والعقد الفريد ٦/ ٩١ ، والأغاني ١٥/ ٧٠ ، وتاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٠٨ .
(٢) وكان مسلماً . (٣) وهي صحراء بين الشام والكوفة . معجم البلدان ٣/ ٢٤٥ .

فقال سليمان للفرزدق : كيف ترى شعره ؟ فقال الفرزدق : هو أشعر أهل جلدته . قال سليمان : وأهل جلدتك . ثم قال : ياغلام ، أعطِ نصيباً خمسمائة دينار ، وألْحِقْ الفرزدق بنار أبيه . فوثب الفرزدق وهو يقول :

وخيرُ الشعر أشرفُه رجالاً　　　وشرُّ الشعرِ ماقال العبيد (١٣)

قال القاضي(١٤) : بيت نصيب الأخير هو أحسن أبياته ، مأخوذ من قول حاجب بن زرارة حيث يقول :

أغـرَّكُمُ أنّي بأحـسن شيـمـتي　　　رقـيقٌ ، وأني بالفـواحش أُخْرَقُ

ومثلي إذا لم يُجْزَ أحسنَ صُنعِه　　　تَكلَّمُ نعـمـاه بفـيـه فـينطق(١٥)

* * *

---

(١) جعفر البرمكي وزير مشهور ، نال مكانة كبيرة عند الرشيد ، كما نال جده وأبوه ذلك من قبله وصارت أخبار البرامكة - بعد نكبتهم ، وقتل الرشيد جعفراً سنة ١٨٧هـ - من الأخبار التي تفيض بها كتب التاريخ . ينظر تاريخ الطبري ٨/٢٩٤ ،ومروج الذهب ٣/٣٧٥ ، والأغاني ٦/٢١٢ ، ١٢/٥٦ ، وتاريخ بغداد ٧/١٥٢ ،والإنباء ٨١ ،والوفيات ١/٣٢٨ ،والسير ٩/٦٦ ،والوزراء ٢٣٤ .

(٢) وهو من كبار المغنين ، وكان منقطعاً إلى البرامكة .

الخبر الثامن عشر

وبالإسناد عن أبي عبيدة ، قال :[1] خطب عثمان بن عفان { رضي الله عنه } نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبي ، وكان نصرانياً، فقال لابنه ضبّ[2] : احملها إلى المدينة ، وزوّجها من عثمان . فحملها أخوها ، فلّما قطعت عرض السماوة[3] حنّت ، وأنشأت تقول :

أحقاً -لحاك الله- ياضبُّ أنني مجاورةٌ نحو المدنية أركبا

أما كان في فتيان حصن بن ضَمْضَم لك الويَلُ ، مايُغني الخباءَ المُحَجّبا

أبى اللهُ إلا أنْ أموتَ غريبةً بيثربَ ، لا أمّاً هناك ولا أبا

فلما دخلت على عثمان قال : لايَرُوعَنّك ماتَرين من شيبي ، فإنّ وراءه ماتحبّين .

قالت : إنّي من نسوة أحبُّ بعولتهنّ إليهنّ الكهل السيد .

قال لها : أتقومين لي أم أقوم إليك ؟ قالت : ماقطعت إليك عرض السّماوة على أن أكلّفك أن تقطع إليّ عرض البيت .

---

(٣) شرح المقامات ١٠٢/٣ .

(٤) من وزراء الرشيد ، وممن كادوا للبرامكة ، توفي سنة ٢١٨ . ينظر الوفيات ٣٧/٤ .

(٥) سنة ١٩٣ هـ .

فقامت ، فجلست على فراشه ، فقال : ألقي قناعك ، فألقته ، قال : انزعي درعك ، فنزعته ، ثم قال : حلّي إزارك . قالت : ذلك إليك .

فلما دُخل على عثمان يوم الدار ، ألقت نفسها عليه لتقيه ممّا فُعل به ، فقطع إصبعان من أصابعها . ولما كان بعد ذلك خطبها معاوية ، فأبت فألحّ عليها ، فقالت : مايعجب الرجلَ مني ؟ قال : ثناياك . فقلعت ثناياها ، وأرسلتها إليه ، فكفّ عنها .

* * *

الخبر التاسع عشر

الذي سمعناه من قصة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أن مسروراً الخادم قال : [1]

كانت نوبتي في خدمة الرشيد ذات ليلة ، فلما مضى هزيع من الليل لم أشعر إلا والرشيد قائم على رأسي ، فوثبت مذعوراً ، فقال : برئت من العباس أبي ، وعليّ عَمي إن أنت أخّرت ماآمرك به طرفة عين . لأقتلنّك شرّ قتلة . فقلت : ياأمير المؤمنين ، اأمُرْني بأمرك . قال : تصير الساعة إلى جعفر بن يحيى فتأتيني برأسه .

فبادرت حتى دخلت على جعفر بَغتةً ، فوجدته جالساً مجلس أنس ، وأبو زُكار[2] البصير يغنّيه بهذه الأبيات :

فلا تبعُدْ ، فكلُّ فتى سيأتي ... عليه الموتُ يطرق أو يُغادي

وكلُّ ذخيرة لابدَّ يوماً ... وأن مَكَثَت تصير إلى نفادِ

فلو فُوديت من حدث الليالي ... فَديتك بالطريفِ وبالتّلاد

(٦) وذلك سنة ١٩٨هـ ، ينظر مروج الذهب ٣٨٧/٣ ، وتاريخ بغداد ٣٦/٣ ، ٣٥٣/٩ ، والإنباء ٨٩ ، والسير ٣٣٤/٩ .

(١) الخبر في المروج ٣٨٣/٣ ، والوزراء ٢٤١ ، والسير ٦٩/٩ ، بصور متقاربة .

(٢) في المروج أن اسمها (عبادة) .

(٣) البيت الأول في التمثيل والمحاضرة ٨١ ، وتمام المتون ٥٧ ، لعبد الله بن محمد بن أبي عيينه .

فلما رآني ارتاع من دخولي ، وقال : ماوراءك ؟ قلت : هذه آخر ساعة من أجلك، فاقض ماأنت قاض من أمرك . فقال : اتركني أوصِ عيالي قلْت : لاسبيل إلى ذلك . قال : فاتركني أودّع أبي . قلت : لاسبيل إلى ذلك . فأنشأ يقول :

حلبت الدهر أشطرَه حياتي ... ونلت من المنى فوق المزيد
وكافحْت الأمور وكافحَتني ... فلم أحفل بمعضلة كئود
وكدْت أنال في الشَّرفِ الثُّريّا ... ولكن لاسبيل إلى الخلود[٣]

ثم اجتذبته ، وأضجعته ، واحتززت رأسه ، وجئت به ، فألقيته بين يدي الرشيد ، فلما رآه أخذ ينكث ثناياه بقضيب بيده ، وهو يقول :

تجدّ الليالي بالفتى وهو يلعب ... وتصدقه الأيام والنفس تكذِبُ
وفي كلّ يوم يُنقِصُ الدهرُ بعضَه ... ولابدّ أن الكلّ منه سيذهب

ثم أمر بإحضار الفضل بن الربيع[٤] ، فدخل مبادِراً ، فلما أبصر الرأس وجم ساعة ، ثم قال :

(٤) المستطرف ٥٩/٢ . (٥) أدب الدنيا والدين ١٨٢ .
(٦) ينسب البيتان للفرزدق ، أو لخاله العلاء بن قرظة . ينظر الحماسة ٦٢١/١ ، وفيه مصادر ،

لو أن جعفر خاف أسبابَ الرّدى | لنجـا بمهـجتـه طِمِرّ مُلجمُ
ولكان من حدث المنون بحيث لا | يرجو اللحاق به العقابُ القَشْعَمُ
لكنّه لما تقارب يومُه | لم يدفع الحَدَثان عنه مُنَجّمُ
كابن الأولى كانوا لجعفر أقسموا | بالله جهد أليّةٍ إذ أقسموا
أنْ لايزال وزير هارون الرضى | مادام هارون الإمام الأعظم
كذبت نجومُهم وكان حديثهم | حلماً كما حلِمتْ عيونٌ نُوّمُ

ثم قال الرشيد للفضل بن الربيع : لاتُبق الآن لهم مالاً إلا حصلته ، ولا صنّاجاً إلا حبسته ، ولا داراً إلا خرّبتها ، ولاحرمة إلا هتكتها ، وخذ هذا الرأس فضعه في حجر أبيه يحيى . ففعل الفضل جميع ذلك ، فلما وضع رأس جعفر في حجر يحيى ، قال : بئس والله ماكافأ خدمتنا ، وقابل حرمتنا ، والله ليُقتلنّ ولده كما قَتَل ولدي ، ولتُنتهكنّ حرمه كما هتك حرمي . فلم يمض الرشيد مدة حتى مات[٥] ، وخرج طاهر بن الحسين من قبل المأمون فقتل محمد الأمين بن الرشيد ، وهتك الحرمة ، وسبى الحريم[٦] .

* * *

والأغاني ٤٩/١٩ ، والمصون ٣٢١ .
(٧) أول البيت غير واضح في المخطوطة .
(٨) البيتان لعدي بن الرعلاء . الأصمعيات ١٥٢ ، والخزانة ٥٨٣/٩ ، وفيهما مصادر .

الخبر العشرون

وبالإسناد عن أحمد بن الخصيب ، عن أبيه - وكان من أجلّة الكتاب- قال:[١] .

دخلت على أمي في يوم أضحى،فرأيت عندها عجوزاً في أطمار رثّة ، ولها منظر وبيان ، فقالت لي أمي : سلّم على خالتك . فقلت : ومن هذه؟ فقالت : هذه عَتّابة[٢] أم جعفر بن يحيى . فقلت : لاإله إلا الله ، أصارك الدهرُ إلى ماأرى ؟ قالت : يابنيّ ،إنما كانت الدنيا عارية ارتجعها مُعيرها ، وحلّة سلبها مُلبسُها . قلت : فما أعجب مالقيتِ ؟ قالت : يابُني لقد مرّ عليّ أضحى مثل هذا الأضحى ، وعلى رأسي أربعمائة وصيفة ، وقد ظننت مع ذلك أن ابني عاقٌّ بي ، ثم صرت إليكم اليوم أطلب جلدي شاتين ، أجعل أحدهما دِثاراً ، والآخر شِعاراً . قلت : فما أصعب مالقيت ! فأنشأت تقول :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى فتهونُ ، غيرَ شماتةِ الحسّادِ
كلّ المصائب تنقضي أسبابُها وشماتةُ الحسّاد بالمرصاد[٣]

قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت . قلت : أوَذُقْتِ الموت ؟ فأنشأت تقول :

لاتحسبنّ الموتَ موتَ البِلى لكنّما الموتُ سؤالُ الرجالِ
كلاهما موت ، ولكنّ ذا أشدّ من ذاك لذلّ السؤال(٤)

قال الصولي : هذا المعنى مأخوذ من قول الأفوه الأودي ، وهو :

بلوتُ الناسَ قرنا بعدَ قرنٍ فلم أرَ غيرَ خلّابٍ وقالِ
وذُقتُ مرارةَ الأشياء جمعاً فما شيء أمرٌّ من السؤال
ولم أر في الخطوب أشدَّ هَولاً وأصعب من معاداةِ الرجال(٥)

قال القاضي : أما جعل عتابه شماتة الحسّاد أصعب فهو حقيقة ، وإليه ذهب أكثر الشعراء ، إلا أنّهم يعزّون أنفسهم بأن الشامت لاقٍ مالقوا من البلاء، لأن عادة الزمان بذلك جارية ، وأفعاله متوالية ، وفي ذلك يقول الشاعر :

إذا جرّ الزمانُ على أناسٍ كلاكلَه أناخَ بآخرينا
فقُل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لَقِينا(٦)

وحدّثني من أثق به : أن فقيهين ببغداد كانا أكبر فقهائها مرتبة ، وكان بينهما حسد ومجانبة ، فمرض أحدهما مرض مِيتة ، فزاره الآخر لينظر صعوبة حالته ، فلما خرج من عنده أنشأ يقول :

قل لمن لايموت : إن متّ تشمتْ ... فأرى كلٌ شامت بيَ يَبهتْ

..... اللبيب بأمرٍ ... لو تمنّى الخلاص منه لأفلت[1]

وأما جعلها السؤال موتاً فأصله أن الفقر المدقع المضطر صاحبه إلى السؤال موت ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميتٍ ... إنما الميتُ ميّتُ الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً ... كاسفاً بالهُ ، قليلَ الرجاءِ[8]

* * *

الخبر الحادي والعشرون

وبالإسناد عن عبيدة بن ثابت السعدي :

أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما ورد المدائن مرّ بعد نزوله بحنظلة بن الربيع التميمي وهو واقف ينظر إلى إيوان كسرى[1] ، وينشد :

ماذا تؤمّلُ بعدَ آلِ محرقٍ ... تركوا منازِلهم ، وبعد إيادِ

أهلِ الخَوَرْنَقِ والسَّدير وبارِقٍ ... فكأنّما كانوا على ميعادِ

إنّ النعيمَ وكلّ مايُلْهى به ... يوماً يصير إلى بلىً ونفادِ[2]

فقال له عليّ عليه السلام : ياحنظلة ، فهلا قلت : { كم تركوا من جنّاتٍ وعيون * وزُروعٍ ومقامٍ كريم * ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين * فما بَكَتْ عليهم السماءُ والأرضُ وماكانوا مُنْظَرِين }[3] .

ياحنظلة ، إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين . ياحنظلة ، إن هؤلاء لم يشكروا النعمة فعوقبوا بالنقمة .

(١) ينظر المحاسن ٢/ ٦٠ ، وطراز المجالس ١١٩ ، ولحنظلة ترجمة في الإصابة ١/ ٣٥٩.

(٢) الأبيات للأسود بن يعفر - ديوانه ٢٦ ، والعقد ٣/ ٢٨٩ .

(٣) سورة الدخان ٢٥ - ٢٨ .

قال القاضي : الأبيات التي أنشدها حنظلة للأسود بن يعفر . ومحرِّق الذي ذكره هو الحارث بن عمرو بن عديّ أحد ملوك الحيرة ، وهو من دوس بطن من بطون الأزد ، وإنّما سُمّي محرقا لأنّه أوّل من حرّق العرب في ديارهم(٤) .

والخورنق والسّدير : قصران لهم ، قيل : إن بانيهما النعمان بن المنذر ابن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ . وقيل : أنو شروان (٥) .

وزعموا أنّه أشرف يوماً على الخورنق ، فنظر إلى ماحوله فقال : أكلُّ ماأرى إلى فناء وزوال ؟ قالوا : نعم . قال : فأيّ خير فيما يفنى ! لأطلبنّ عيشاً لايزول ، فانخلع من ملكه ، ولبس المُسوح(٦) ، وساح في الأرض .

وذكر ذلك عديّ بن زيد في شعره ، فقال :

وتبيَّنْ ربَّ الخورنق اذا أشْـ ... ـرَفَ يوماً ، وللهدى تفكيرُ
سرّه مالُه وكثرةُ مايمـ ... ـلك والبحر مُعرضاً والسديرُ
فارعوى قلبُه وقال : وماغِبْـ ... ـطةُ حيٍّ إلى الممات تصيرُ(٧)

وسمعنا بالإسناد عن إسحق بن طلحة(٨) أنه قال : لقيت حرقة بنت النعمان وقد زالت النعمة عنهم ، فسألتها عن حالها ، فقالت : أُجمل أو

---

(٤) ينظر المحبّر ٣٥٨ ، والاشتقاق ٤٣٥ ، والتاج حرق .
(٥) نهاية الأرب ١/ ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
(٦) المُسوح ، جمع مِسْح : كساء من شعر .
(٧) ديوان عدي ٨٩ ، وفيه مصادر .
(٨) في الأصل (طَحلة) .

أفصّل؟ فقلت : بل أجملي . قالت : طلعت الشمس وماشيء يدبّ في الخورنق والسدير إلا وهو لنا ، فما غربت حتى رحِمنا من كان يحسدنا ، وأنشدت :

فبينا نسوسُ الناس والأمرُ أمرُنا ... إذا نحن فيهم سُوقة ليس نُنْصَفُ
فأفٍ لدنيا لايدومُ نعيمُها ... تبدَّلُ تارات بنا وتَصرَّفُ (٩)

فقلت لها : فكيف صبرُك على مافقدت من عادتك ؟ فأنشأت تقول :

صبرتُ على اللّذات حتى تولّتِ ... وألزمْتُ نفسي صبرها فاستمرّت
وما النفسُ إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أُطعمت فاقت،وإلا تسلّت(١٠)

فقلت لها : هل رأيت أمارة لنزول البلاء عليكم قبل نزوله ؟ قالت : نعم ، سمعت قبل زوال نعمتنا بثلاث ، بعد هزيع من الليل وأنا على ظهر الخورنق هاتفاً يقول :

ربّ قومٍ قد غدَوا في نعمة ... ودارَ عزّ علا ، ثمّ اتَّسَقْ
سكت الدهرُ زماناً عنهمُ ... ثمّ أبكاهم دماً حين نَطقْ

* * *

(٩) ديوان الحماسة ٦١٨/١ ، والجليس ٤٤/١ . والمشهور في رواية الأول (سوقة نتنصّف) .
(١٠) من الشعر المنسوب لعمرو بن معد يكرب . ديوانه ١٩٨ .

الخبر الثاني والعشرون

وبالإسناد عن بعض الثقات أنه دخل على الخنساء ابنة عمرو بن الشَّريد السُّلَميّة[1] ، وهي متجلببة بالمُسوح [2] ، فقال :

ياخنساء ، ماهذا اللباس ؟ قالت : هذا لباسي منذ هلك صخر أخي ٠ قال : إن الإسلام قد هدم ماقبله ، وقد قُلتِ في صخر وأكثرتِ ، فأيّ الرجال كان ؟ قال : كان - والله - يبعد الغارة ، ويمنع الجارة ، إذا أقبلت الخيل كفاها ، وإذا أدبرت الفوارس حماها ٠

قال : فمعاوية أخوك ؟

قالت : كان والله يُصغر الكوماءَ ، ويبرد الشهباء [3] ٠

قال : فأيهما كان أجود ؟

قالت : طرقتنا سنوات شِداد ، متواترات عداد ، تركت المخّ راداً ، والمطيّ هاداً ٠ فانتجعنا صخراً فوجدناه بحراً ، ولم نزل بساحته مقيمين ، وبأمنه معتصمين ، وفي جوده متّسعين ٠ ثم انتجَعْنا معاوية في سنة ،

(١) الخنساء شاعرة مخضرمة ، ومسلمة صابرة ٠ ينظر أخبارها في الشعر والشعراء ٣٤٣/١ ، والأغاني ١٣٨/١٣ ، والإصابة ٢٧٩/٤ ٠

وقد رد جزء من الخبر التالي في المحاسن والأضداد ١٠٤ ٠

(٢) المسوح جمع مَسح : كساء من الشعر

(٣) الكوماء : الناقة العظيمة السنام ٠ والشهباء : التي لا مطر فيها ولانبات ٠

خصّنا في كلّ حالٍ كان من أحواله ، إكثاره إن كان أو إقلاله ، حتى خجلت الناسُ من عياله .

قال : فأيهما كان بك أحفى ؟

قالت : أما صخر فكان برد الهواء ، وأما معاوية فكان حرّ الشتاء .

قال : فأيهما كان لك أفجع ؟

قالت : أما صخر فقرحة الكبد،وأما معاوية فسقام الجسد ،وأنشدت :

أسدان محمراً المخالبِ نجدةً بحران في الزمن الغَضوب الأعسرِ
قمران في النادي رفيقا مَحْتِدٍ في الجود فرعا سُؤْددٍ متخيَّرٌ[٤]

قال القاضي [٥] : كان أخواها هذان سيّدين في قومهما ، شجاعين ، وكان فناؤهما معاً قتلاً ، أما معاوية فغزا مُرَّة بني غطفان ، ومعه خفاف بن ندبة ، فاعتور معاويةَ دريد وهاشم ابنا حرملة ، فاستطرد له أحدهما ، فلما تبعه وقف ، وحمل عليه الآخر فقتله ، وقال { خفاف } في ذلك :

فإن تكُ خيلي قد أُصيب صميمُها فإني على عمدٍ تيمَّمت مالِكا
وقفت لها وحدي،وقد حام صحبتي لأبني مجداً أو لأثار هالكا
أقول له والرمحُ يأطِر متنَه تأمّل خفافاً إنني أنا ذلكا[٦]

(٤) ديوان الخنساء ١٤١ .
(٥) الخبر التالي في الكامل ٢/٣٤١ ، والأغاني ١٣/١٤٠ ، والعقد ٥/١٦٣ .
(٦) ديوان خفاف ٦٤ .

وكان بنو مرّة عند قتل معاوية قد أخذوا فرسه التي يقال لها الشمّاء ، فلما بلغ صخراً قتل أخيه أتاهم في الشهر الحرام ، ووقف على ابني حرملة ، فإذا أحدهما بيده طعنة ، فقال : أيكما قتل معاوية ؟ فسكتا . فقال الصحيح للجريح : مالك لاتجيبُه ؟ فقال الجريح : وقفت له ، فطعنني هذه الطعنة ، وقتله أخي ، فأيّنا قتلت فقد أخذت بثأرك . قال : فما فعلت الشمّاء ؟ قالا : هي هذه . قال : ردُّوها عليّ ، ففعلوا .

فلما رجع صخر إلى قومه قالوا له : اهجُهم . قال : مابيننا أجلُّ من القَذع ،ولو لم أكفف عنهم إلا رغبة بنفسي عن الخنا لكففت . وأنشأ يقول:

وعـــــاذلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تلومني	ألا لاتلوموني ، كفى اللومُ مابيا
تقولُ ألا تهجو فوارس هاشمٍ	ومـاليَ أن أهجوهُمُ ثمَ ماليا
أبى الشتم أنّي قد أصابوا كريمتي	وأن ليس إهداء الخنا من شماليا
وذي أخوة قطّعت أقران بينهم	كما تركوني واحداً لا أخاليا[7]

ثم إن صخراً غزاهم في العام المقبل ، فلما دنا وهو على الشّمّاء قال إني أخاف إن أشرفت على القوم أن يعرفوني فيعرفوا غرّة { الشمّاء ، فيتأهبوا ، فحمّم غرّتها ، فلما أشرفت على أدنى الحيّ رأوها ، فقالت }

(٧) الحماسة ١/٥٤٢ .

امرأة لابنها : هذه -والله - الشمّاء ، فنظر إليها وقال : الشمّاء غرّاء ، وهذه مبهيم ، فلم يشعروا إلا والخيل تدوسهم ، فقتل صخر دُريداً بطعنةٍ ، وأصاب في بني عامر [٨] فأنشأ يقول :

ولقد قتلتكم ثُناءً وموحداً وتركت مُرّةَ مثل أمس المدبرِ
ولقد دفعت إلى دريد طعنةً نجلاء غَطّت مثل غطّ المَنْخر [٩]

فهذا هلك معاوية . أما هَلْك صخر فإنه غزا بني أسد ، واستاق إبلهم فركبوا خلفه ، والتقوا بذات الأثل[١٠] ، فطعن ابن ثور الأسدي صخراً طعنة أفلت صخر بعدها ، ولم يقعَص[١١] مكانَه ، لكنه مرض منها حولاً حتى ملّته امرأته ، وكان يكرمها ويؤثرها على أهله ، فمرّت بها امرأة ذات يوم فقالت لها بحيث يسمع صخر : كيف بعلُك ؟ قالت : لاحيٌّ فيُرجى ، ولاميّت فيُبكى . ثم مرّ بها رجل ذو خَلْق[١٢] وأوراك فقال بحيث يسمع صخر : أيباع الكِفْل[١٣] ؟ قالت : نعم ، عما قليل . فقال صخر : والله لئن قدرت لأقدمنّك قبلي ، فلما دخلت قال : ناوليني السيف لأنظر هل تقلّه يدي ؟ فإذا يده لاتقلّه .

ومرّ رجل بأمّه ، فقال لها بحيث يسمع صخر : كيف ابنك ؟ فقالت : أصبح بنعمة الله صالحاً ، ولانزال بخير مارأينا سواده بيننا ، فأنشأ يقول :

(٨) في الأغاني (بني مرة) . (٩) العقد ٥/١٦٥ . (١٠) ينظر المصدر السابق ١٦٦ .
(١١) القعص : الموت إثر الطعنة أو الرمية . (١٢) في الأصل (ذات خلق) والخلق : المحلوق .
(١٣) الكِفل : الثقيل العاجز .

أرى أمَّ صخرٍ لاتملّ عيادتي ... وملّت سُليمى مضجعي ومكاني

وأيُّ امري ساوى بأمٍ حليلةً ... فلا عاش إلا في شقاً وهوانِ

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العَير والنَزَوان

وماكنت أخشى أن أموت جنازة ... عليك ، ومن يغترُّ بالحدثان

فللموتُ خير من حياة كأنها ... محلّة يعسوبٍ برأس سنان [(١٤)]

فلما طال به البلاء ، وكانت قد نشأت قطعة في جنبه مثل اللِّبَد[(١٥)] في موضع الطعنة ، فقيل له : لو قطعتها لرجونا أن تبرأ . فقال : شأنكم ، فأخذوا شفرة وقطعوها ، فيئس من نفسه ، وأنشأ يقول :

أجارتَنا إن الخطوب تنوبُ ... على النّاس ، كلَّ العالمين تصيبُ

أجارتنا إن تسأليني فإنّني ... مقيمٌ - لعمري - ماأقام عَسيب

كأني وقد أدنَوا إليَّ شفارَهم ... من الصبر دامي الصفحتين نكيبُ[(١٦)]

ثم مات ، فدُفن إلى جنب عسيب : وهو جبل بقرب المدينة . وفي بعض الروايات : أنه عمد إلى امرأته هذه فعلّقها بعمود الفسطاط منكسةً حتى ماتت .

* * *

---

(١٤) الأبيات في أسماء المغتالين (نوادر المخطوطات) ٢/٢١٧ ، والمصادر السابقة .

(١٥) اللبد : الصوف المتلبّد . (١٦) أسماء المغتالين ٢/٢١٨ ، والمصادر نفسها .

الخبر الثالث والعشرون

وبالإسناد [1] : أن بكر بن وائل أسروا العنبريّ الأعور[2] ، فلما أقام فيهم أسيراً ، سألهم رسولاً يرسله إلى أهله ، وكانوا قد همّوا { أن } يغزوا قومه ، فقالوا : لاترسل إلا بحضرتنا خوفاً أن ينذر قومه ، وجاءوا بعبدٍ أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم ، إني لعاقل . فقال الأعور : ماأراك عاقلاً ، ولكن ماهذا ؟ وأشار إلى الليل . فقال : هو الليل . ثم ملأ الأعور كفّيه من الرمل ، وقال : كم هذا ؟ قال العبد : لاأدري ، وإنه لكثير . قال الأعور : أيّما أكثر النجوم أم النيران؟ [3] ، قال العبد : كلّ ذلك كثير . قال الأعور : أبلغ قومي التحيّة ، وقل لهم : ليكرموا فلاناً ، فإن قومه لي مكرمون . يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر . وقل لهم : إنَ العَرْفَجَ قد أدبى ، وقد شَكّت النساء ، وقل لهم أن يُعْروا ناقتي الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ماأكلت معهم حَيساً ، واسألوا الحارث عن خبري .

فمضى العبد ، وأدّى الرسالة إلي قومه ، فقالوا : والله لقد جُنّ الأعور ، مانعرف له ناقة حمراء ، ولاجملاً أصهب ، ثم سرّحوا العبد ،

---

(١) عيون الأخبار ١/١٩٤ ، والملاحن ٤ ، وأمالي القالي ١/٦ ، وسمط اللآلي ١/٢٢ .

(٢) في السمط : أن العنبري هو ناشب بن بشامة ، والأسير البكري هو حنظلة بن الطفيل .

(٣) في الملاحن (التراب) .

ودَعَوا الحارث ، وقَصُّوا عليه القصة . فقال : لقد أنذركم :

أما قوله : أدبى العرفج[٤] : فإنّه يريد أن الرجال قد لبسو السلاح لغزوكم . وقوله : « شكّت النساء » أي اتَّخَذْن الشكاء[٥] للسفر . وقوله : أعروا ناقتي الحمراء ، واركبوا جملي الأصهب ، أي : ارتحلوا عن الدهناء ، وارقوا الصمّان – موضع لهم – وقوله : « بآية ماأكلت معهم حيساً » أي إن أخلاطاً من الناس قد غزَوكم ، لأن الحَيس من التمر والسمن والأقِط ، فصدّقوا حينئذ معنى كلامه ، وامتثلوا ماقال .

قال ابن دريد : أخذ هذا المعنى رجل كان أسيراً في بني تميم ، ونظمه شعراً كتب به إلى قومه ، فقال :

حُلّوا عن الناقة الحمراء أرجلكم	والبازلَ الأصهبَ المعقول فاصطنعوا
إنّ الذئاب قد اخضرت براثُنها	والناسُ كلُّهم بكرٌ إذا شبِعوا[٦]

يريد : الناس كلهم إذا أخصبوا أعداءَ لكم كبكر .

قال القاضي : العرب تسمّي هذا النوع لحن الكلام ، وهو المراد بقول الله تعالى : { **ولتعرفنهم في لحن القول** }[٧] وحقيقة اللحن عندهم : أن تكني عن الشيء الذي تريده بكناية يُفهم منها ماتريده من غير تصريح .

(٤) العرفج : نوع من الشجر . وأدبى : خرج منه الدبَى : حشرة أصغر من الجراد ، وحينئذ يصلح للأكل . (٥) جمع شكوة : وعاء للبن والماء .
(٦) الخبر والبيتان في الملاحن ٦ ، والأمالي ٧ . (٧) سورة محمد : ٣٠ .
(٨) البيتان لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري : البيان والتبين ١٤٧/١ ، وعيون الأخبار ٢٦١/٢ .

ومن العرب من يستحسن ذلك ، قال بعض بني فزارة :

وحـــــديثٍ ألـذّه هـو مما ينعت الناعـــتـــون يُوزن وزنا
مَنطِقٍ صـائب وتَلْحِنُ أحـيـا ناً ، وخير الحديث ماكان لحنا [8]

قال القاضي : وقريب من هذا - وهو أدق - رسالة مُهلهِل إلى ابنتيه، وذاك أن مُهَلهلاً لّما أكثر حرب بكر بن وائل ، أخذاً بثأر أخيه كليب صاحب الحمى ، ملّ عبيده الحربَ لطولها ، فانفرد مع عبدين له ، فعزما على قتله ليستريحا من الحرب ، فلما شعر بذلك منهما قال لهما :{ أتبلغان } ابنتي كلاماً ، هو :

من مبلغ الأقوام أنّ مُهلهِلاً لله دركما ودرُّ أبيكما

فقالا : نعم ، وقتلاه ·

فلما جاءا إلى الحيّ ، سألتهما ابنتاه عنه ، فقالا : مات · فقالت ابنته الصُّغرى ماكان أبي ليموت من غير وصية · فهل أوصاكما بشيء ؟ قال العبدان : استَحْمَلنا بيت شعر إليكما ، وهو كذا وكذا ، وأعادا ماقدّمناه ، فلما سمع ذلك أهل الحيّ قالوا : مانرى في هذا البيت وصيةَ · فقالا ابنته الصغرى : بلى ، .... [9] استوثقوا منهما حتى أخبركم أن

والأماني ١/٥ ، والسمط ١/٢٥ ·

(٩) في الأصل (بي وانساب ويل استوثقوا ..) ·

(١٠) السمط ١/٢٦ ، والعمدة ١/٣٠٨ ، والخزانة ٢/١٧٣ ·

العبدين قد قتلا أبي ، وإنّما أراد بقوله :

من مــبلغُ الأقــوامِ أن مُهَلْهِلاً … أضـحى طريحـاً في الفـلاة مُجَدّلا
لله دركُــمــا ودرُّ أبيـكمــا … لايبـرح العـبدان حتى يُقـتـلا [١٠]

قـال القـاضي : وإنما جعلنا هذا أدقّ من الأول ، لأنّ الأول استـخراج معنى من كلام مسموع ، وهذا استـخراج كلام لم يسمع من كلام يقتضيـه قبله .

* * *

(١) الخبر في عدد كبير من المصادر ، ينظر : عيون الأخبار ٣٢/٣ ، والعقد ١٠١/٢ ، والمحاسن

الخبر الرابع والعشرون

وبالإسناد عن أبي العباس المبرد أنه قال [1] :

أنشد ابن أبي دؤاد بين يدي الواثق قوله :

أَظُليمُ إنّ مُصابكم رجلاً   أهدى السلام إليكم ظلمُ [2]

قال محمد بن عبد الملك - وزير الواثق : إنما « رجل » بالرفع لأنه خبر " إن " ، واختصم هو وابن أبي دؤاد في ذلك ، ثم تراضيا بالمازني ، فأمر الواثق بإشخاصه من البصرة .

قال أبو العباس : قال أبو عثمان المازني : لما دخلت على الواثق ، فقال لي : باسمك ؟ قلت : بكر بن محمد . قال المازني : ولولا أني سمعتها من ابن دريد ماعرفتها .

قال القاضي : باسمك معناها : ماسمك ؟ وقد حُكيت عن العرب من وجوه .

والمساوىء ٢/١٢٤ ، والأغاني ٨/١٤١ ، وتاريخ بغداد ٧/٩٣ ، ونثر الدر ٣/١٢٧ ، ونزهة الأولياء ١٨٢ ، وإنباه الرواة ١/٢٤٦ ، وشرح النهج ١٨/٩٦ ، والسير ١٠/٣١١ ، وشرح شواهد المغنى للبغدادي ٧/١٥٨.

والمازني - بكر بن محمد ، من أئمة النحو واللغة ، توفى سنة ٢٣٦هـ .

(٢) ديوان الأعشى ٧٧ .

(٣-٧) ديوان جرير ١/٨٧ - ٨٩ .

(٨) المصدر السابق ١/٨٦ ، ٨٧ ، ٧٤ ، والأغاني ٧/٦٧ .

قال المازني : ثم احتكما إليّ ، فحكمت لابن أبي دؤاد .

ثم حدّثت الواثق الحديث ، فلما كاد ينقضي المجلس قال لي : من لك بالبصرة ؟ قلت : بُنَيّة .

قال : فما قالت لك عند وداعها ؟ قلت : تمثّلت بقول الأعشى :

تقـول ابنتي حين جـدّ الرحـيلُ أرانا سـواءً ومَن قـد يَتِمْ
تُرانا إذا أضـمَرتْك البـلا دُ نُجفَى ، وتُقـطَع منّا الـرَّحِمْ
أبانا ، فـلا رِمْتَ من عندنا فـإنّا بخـيرٍ إذا لم تَرِم [٣]

قال : فما رددت عليها ؟ قال : قول جرير لامرأته حيث قال :

ثقي بالله ليس له شريكٌ ومن عند الخليفة بالنجاح [٤]

قال له الواثق :وضعت القصعة،وأمر له بألف دينار،وأذِن له بالقُفول .

قال القاضي : معنى وضعت القصعة : أي كنت في المبالغة في السؤال كمن أومأ بقصعة ليتطعّم فيها خبزاً .

قال القاضي : وهذا البيت لجرير من قصيدته التي يقول فيها :

أتصحو ، أم فؤادُك غيرُ صاحِ عـشـيّةَ همَّ صـحـبُك بالرَّواح
تقول الغانياتُ : علاك شيبٌ أهذا الشـيبُ يمنعني مِزاحي [٥]

---

(١) في الأمثال لأبي عبيد ٤٢ ، ٣٢٢ ، وجمهرة الأمثال ٢٨٨/١ ، ومجمع الأمثال ٢٧٩/٢ ،

وفي هذه القصيدة البيتُ الذي زعم الأصمعي أنه أمدح بيت قالته العرب ، وهو :

أَلَستْم خيرَ مَن ركب المطايا   وأندى العالمين بطونَ راحِ (٦)

ورُوي عن عبد الملك أنه لما سمع هذا البيت - وهو الممدوح بهذه القصيدة - قام من سرير ملكه ، ثم قال : معاشرَ الناس ، من أراد أن يمدحنا فبمثل هذا البيت .

ثم ذكر جرير بعد ذلك قول زوجته التي أجابها عنه بالبيت الذي أنشده المازني ، فقال :

تشكّت أم حرزة ثم قالت :   رأيت الموردين ذوي لقاح
تُعَلّلُ - وهي ساغبةٌ - بنيها   بأنفاسٍ من الشّبِم القراحِ (٧)

ورُوي أن عبد الملك لما سمع هذين البيتين قال له : أيكفيها الهنيدة ؟ يعني مائة من الإبل . قال : ومن لها بها ! فأمر له بمائة من الإبل وبرعائِها ، وهي ثمانية أعبد ، ففي ذلك يقول جرير :

أعطَوا هُنيدة يحدوها ثمانية   مافي عطائهم مَنٌّ ولا سَرَفٌ (٨)

* * *

والمستقصى ١/٣٤١ أن سالم بن دارة هجا بعض بني فزارة فقتلوه ، فقيل : «محا السيف ماقال ابن

الخبر الخامس والعشرون

وبالإسناد [١] : أن سالم بن دارة - أحد بني عبد الله بن غطفان - هجا حصيب بن السَجيف - أحد بني فزارة ، فقال :

حُصيب بن السَّجيف أخو البلايا	على الجلسا ، وأثقل من حراء
ومن أُحُدٍ ولو وُزنا جميعاً	لأربى في الثقالة والشقاء
تصيح الأرض منه حين يمشي	وتلعنه مصابيح السَّماءَ
متى تُدْفعْ إلى قوم يقولوا	أجِرْ ياربّ من جهد البلاء

فلما بلغ ذلك حصيباً { حلف } ليضربنّه حتى يسلح[٢] ، فضربه أسواطاً فسلح ، فخلاّه ، فذهب ابن دارة ليغسل مابه ، وكان من حصيب ركوب ، فمرّ به يغسل ثيابه فقال : ياابن دارة ، كيف ترى ؟ قال ابن دارة : إن هذا ليغسله ، والذي قلتُ لايُغسل ، فأمر به ، فضُرب عنقه ، ثم قال : «محا السيف ماقال ابن دارة أجمعا » فذهب مثلاً .

قال القاضي : كلاهما غلط فيما زعم : أما قول ابن دارة : إن هذا

دارة أجمعا » ولم ترد الأبيات .

(٢) سلح : تبرَّز .

(٣) لم يرد البيت في قصيدة دعبل التي على الوزن والقافية ، وورد غير منسوب في ديوان المعاني ٨/١ ، ولابن ميادة في البيان ١/ ٢٢٢ .

ليغسله الماء ، فالماء إنّما يغسل القذر ، لا العار اللازم لسلحه من أسواط، بل لايزال ذكر ذلك باقياً . أما قول الحصيب : « محا السيف ماقال ابن دارة » فكيف يمحوه وقد سار في البلاد ، وانتشر في كل واد ، وهاهو إلى اليوم مأثور مذكور ، ولهذا قال بعض العرب - وهو دعْبل :

فإنْ أهلك فقد أبقيتُ بعدي قصائدَ تُعجب المُتَمثّلينا (٣)

وسمعت من بعض شيوخي أن العرب إنّما قُدّمت في الحكم على العجم، لأن العرب قدّمت حكمها بالمنطق ، والمنطق باقٍ أبداً ، والعجم قيّدت كلامها بالصنعة ، والصنعة فانية .

قال القاضي : وأما قول ابن دارة « تصيح الأرض منه حين يمشي » فإن العرب تجعل صفة الرجل بكونه ثقلاً على الأرض ذمّاً تارة ومدحاً تارة ، فمن الذمّ قول ابن دارة . وقد أكثر الشعراء من ذلك ، فمنه قول بعضهم :

نفسْتِ ياأرْضاً على أرضِ فبعضُها يشكو على بَعْض
تحمل منك الأرضُ ثقل الذي يحمله الحوتُ من الأرض
بعغضك في الدنيا على أهلها فرضٌ ، ولابدّ من الفرض

---

(٤) الشمردل شاعر عاصر جريراً والفرزدق . ينظر الأغاني ١٢/ ١٢٠ .
(٥) البيت من قصيدة من عيون قصائد الرثاء في الشعر العربي . ينظر الأمالي لليزيدي ٣٢

وأما المدح فمنه قول الشمردل بن شُريك[4] يرثي أخاه وائلاً ، فقال :

وحلّت به أثقالها الأرضُ وانتهى   بمثواه منها ، وهو عفٌّ شمائلُه[5]

وكانت العرب تقول : الفارس الشجاع ثقل على الأرض ، فإذا قُتل أو مات سقط بذلك عنها ثقل ، وقد زُعم أن معنى بيت الشمردل : إن الأرض حلّت بأخيه موتاها الذين هم ثقل عليها ، يريد الحلية التي هي الزينة ، والتفسير الذي قدّمناه قول جماعة يوثق بهم[6] .

* * *

والأغاني ١٢/ ١٢٠ ، برواية (مآكله) .

(٦) فسّر اليزيدي حلّت بـ : زينت .

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٥٤٧/٦ ومروج الذهب ١٧٦/٣ ، والأغاني ١٩٩/١٩ ، وشرح المقامات ٧٩/٣ .

الخبر السادس والعشرون

وبالإسناد[1] أنّ سليمان بن عبد الملك خرج ذات يوم ، وقد لبس من فاخر ثيابه ، وركب من أفره دوابّه ، وكانت له مرآة ينظر فيها إلى نفسه ودابّته إذا ركب ، فلما نظر إلى نفسه فيها على تلك الهيئة أعجب بها ، فأقبل على جارية له فقال لها : كيف ترَيْنني ؟ فقالت له :

أنت نعمَ المتاعُ لو كُنت تبقى ... غيرَ أن لابقاءَ للإنسان

أنت خِلوٌ من العيوب وممّا ... يكره الناس ، غير أنّك فان[2]

فانتهرها ، وقال : ويلك ، أما ترينني شاباً ملكاً صحيحاً .

وسمعنا بالإسناد عن حسين بن صالح أنّه قال : كنت بين يدي المأمون إذ دخل عليه أبو العتاهية ، فقال له المأمون : أنشدني أحسن شيء قلته في الزهد . فقال : ماعسيت أن أقول بعد أن سبقتني إليه جارية سليمان بن عبد الملك ، وأنشد البيتين اللذين ذكرناهما .

قال القاضي : وهذا تواضع من أبي العتاهية ، وله في الزهد مُلَح كثيرة ، وهي أحسن من بيتي الجارية ، منها قوله :

---

(٢) في الأغاني ٩/٩٩ أن هذه الأبيات لموسى شهوات.وهو موسى بن بشار،وينظر الأغاني١١٨/٣

(٣) الغفص : المفاجأة .   (٤) الديوان ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، والأغاني ١٣٩/٣ .

(٥) البيتان الأول والثاني فقط في الديوان ٤٢٩ ضمن قصيدة . والبيت الأول في الأغاني

كلٌّ على الدنيـا له حـرصُ | والحـادثات أناتُهـا غَفْصُ[3]
ليـد المنيّة في تلمّسـهـا | عن وجه كلّ شقيقةٍ فحصُ
وكـأنّ مَنْ وارَتْه حفـرتُه | لم يَبـدُ منه لناظر شـخص
يرجـو من الدنيـا زيادتها | وزيادة الدنيـا هي النقصُ[4]

ومنها قوله :

الناسُ في غفـلاتِهم | ويـدُ المـنـيّة تـطحـنُ
مـالي رأيتك تطمـئـ | ـنّ إلى الحيـاة وتركَنَ
وجمعت مـا لا ينبغي | وبنيت مـا لا يُسكَن
أظننت أنّ حـوادث الـ | أيّام لا تـتـلـوّن[5]

ومنها قوله :

ألا إنّنـا كـلّنـا بـائـدُ | وأيُّ بنـي آدمٍ خـالـدُ!
وبدؤهـم كـان من ربهـم | وكـلٌّ إلى ربّه عـائـد
فيا عجباً كيف يعصى الإلـ | ـهَ أمْ كيفَ يجحده الجاحد
ولـلّهِ في كلّ تحـريكة | وتسكينة - فاعلمَنْ - شاهد
وفـي كلّ شيءٍ لـه آيـةٌ | تـدلّ عـلى أنّه واحـدُ[6]

3/175 ، وذكر أبو الفرج أنه من خمسة أبيات . . ولم يذكرها .

(6) الديوان 122 ، والأغاني 3/143 .

(1) وهو سليمان بن مهران ، محدث مقرىء حافظ ، توفي سنة 148 ، ينظر أخباره ومصادرها في السير 6/226 .

وله في هذا الجنس مايكثر تعداده ، ويملّ ترداده .

قال : وفي رواية أُخرى أنّ سليمان بن عبد الملك استعاد جاريته هذه ماكانت قالت . فأقسمت بالله ما قالت شيئاً ، وتحقّق صدقها ، وأيقن أن ذلك مثل ضُرب لقرب أجله .

* * *

الخبر السابع والعشرون

وبالإسناد عن العباس بن الأحنف أنه قال :

بينما المنصور يخطب على منبره ذات يوم ، إذ جاءت ذبابة فسقطت على شفته فآذته أذى شديداً ، فنزل عن منبره ، ودخل إلى قصره ، وبعث إلى الأعمش[1] .

فلما آتاه قال : ياأعمش ، أخبرني ، لماذا خلق الله الذباب ؟ قال الأعمش : إنّ الله خلق الذباب ليذلّ به الجبارين . قال المنصور : ياأعمش ، إنّي كنت قاعداً على منبري ، إذ جاءت ذبابة فسقطت على شفتي فآذتني ، فطردتها فلم تذهب . فقال : موعظة لك ، فاستغفر الله .

وانصرف الأعمش ، وخرج المنصور من قصره [2] ، فجلس بفناء داره ، فجاءه سهم ، فوقع بين يديه ، فذُعر منه ذُعراً شديداً ، ثم أخذه وجعل يقلّبه، فإذا عليه مكتوب - بين ريشتين - بيتان من الشعر ، وهما :

أتطمعُ في الحياة إلى التنادي ... وتحسب أنّ مالك من معادِ

سَتُسألُ عن ذنوبِك والخطايا ... وتُسأل بعد ذاك عن العبادِ

---

(٢) الخبر التالي في مروج الذهب ٣/٢٨٧ .

(٣) في المروج « همذان منها رجل مظلوم في حبسك » .

(٤) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

ثم أداره ، فإذا خلف الريشة الثانية مكتوب :

أحسَنْتَ ظنَّكَ بالأيام إذْ حسُنت ... ولم تَخَفْ سوء مايأتى به القَدَرُ

وساعَدَتك الليالي فَاغْتَرَرْتَ بها ... وعندَ صفو الليالي يحدث الكَدَرُ

ثم أداره ، فإذا خلف الريشة الثانية مكتوب :

هي المقادير تجري في أعنّتها ... فاصبرْ ، فليس لها صبرٌ على حالِ

يوماً تُريك خسيسَ الناس ترفعُه ... فوقَ السماء، ويوماً تخفض العالي

ثم نظر فإذا على جانب السهم مكتوب : همذان (٣) .

فبعث إلى الأعمش ، فلما حضر اقرأه ماعلى السهم ، فقال الأعمش : لعلّ رجلاً من أهل همذان في بعض سجونك محبوس ظلماً . فقال لبعض خدمه : طُف السجون ، فانظر ماهنالك من أهل همذان ، فجعل الخادم يطوف بالسجون إلي أن جنّه الليل . فدخل إلى بيت فيه سراج ، وفيه شيخ يتلو القرآن ، ويردد قوله تعالي : { **وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون**}(٤) فقال له الخادم : من أنت ؟ فقال : من أهل همذان . ففكّ عنه الحديد ، وحمله إلى المنصور ، فلما دخل عليه قال له المنصور : من أنت ياشيخ ؟ قال : أنا رجل من أهل همذان . قال : فما قصّتُك ؟ قال : دخل

---

(٥) في المروج : أربعة أعوام .

(٦) البيتان في عيون الأخبار ٣١١/٢ ، والمروج ٣٠٧/٣ ، وشرح المقامات ٧٩/٣ ، والأول في

واليك البلد ولي ضيعة تساوي ألف ألف درهم ، فأراد أخذها مني ، فامتنعت عليه ، فكبّلني بالحديد ، وكتب بأني عاص ، وطُرحت في هذا المكان . فقال له المنصور : منذ كم ؟ فقال : منذ سنتين (٥) .

فأمر منصور بإطلاقه والإحسان إليه ، فسلّم إليه الخادم خُلعة وجائزة ثم ردّوه إلى المنصور ، فقال له : ياشيخ ، قد رددْنا إليك ضيعتك بخراجها ما عشْت وعشْنا ، وولّيْناك مدينتك همذان ، وحكّمْناك في الوالي لتعمل به ماشئت .

قال الشيخ : أما الضيعة فقد قبلتها بخراجها ، وأما الولاية فلا أصلح لها ، وأمّا واليك فقد عفوت عنه . فأمر له المنصور بثلاثين ألف درهم ، وانصرف إلى بلده ، ثم أنشأ المنصور يقول :

من يَصْحَبِ الدهرَ لايأمنْ تصرّفَه ... يوماً ، وللدهر إحلاء وإمرارُ
وكلُّ شيء وإن دامت سلامتُه ... إذا انتهى فله - لابدّ - أضرارُ

قال القاضي : قد أُوذن المنصور بقرب أجله مراراً ، وكان آخر ماروواه الأصمعي عن الربيع قال : كنت ذات يومٍ بين يديّ المنصور ، وقد اشتدّ مرضه ، فإذا ببيتين مكتوبين في القبلة :

تاريخ بغداد ١٠/٦٠ .

أبا جعفرٍ،حانت وفاتُك وانقضَتْ سِنوك ،وأمرُ الله - لاشكَّ- واقعُ
أبا جعفرٍ، هل كاهِنٌ أو منجّمٌ يردُّ قضاءَ الله ، أم أنت دافِعُ(٦)

فقال : قم بيني وبين القبلة ، فقمت فإذا الكتاب في القبلة ، فأيقن حينئذ بوفاته .

* * *

---

(١) البيتان في البين والتبيين ١٨٢/٣ ، وروضة العقلاء ، وأدب الدنيا ٣٣٦ دون نسبه وهما في شرح المقامات ٩٧/١ لابن هرمة ، وهما في ديوانه ١٢٨ .

الخبر الثامن والعشرون

وبالإسناد عن الحسن بن سهل أنه قال :

ذُكر للمأمون معتوه بالكوفة يتشيّع ، فأمر بإشخاصه ، فلما حضر بين يديه ، رقّ لضعفٍ رآه به ، فقال : هل أكلت شيئاً ؟ قال : لا ، فدعا بطعامٍ فقال : كُل ، فلم يأكل ، فقال : مالك لاتأكل ؟ قال : ليس معي ثمنه . قال : فإنّا لانطلبه منك . قال : فشُكْرُه ؟ قال : ولاشكره نريد . قال : ولا أجرَه تبتغي ؟ قال له : ويحك ، كُل ، فإنه طيب . قال : العافية أطيب منه قال : ماأظنّك تجد مثله . فأنشأ يقول :

وكم من أكلةٍ مَنَعَتْ أخاها ... بلذّةِ ساعةٍ أكلاتِ دَهرِ

وكم من طالبٍ يسعى لنفعٍ ... وفيه هلاكُه لو كان يدري[1]

قال له المأمون : ويحك ، عظني . فأنشأ يقول :

نظرتَ إلى الدنيا بعينٍ مريضةٍ ... وفتنةِ مغرور وتدبير جاهلِ

فقُلْتَ :هي الدنيا التي ليس بعدها ... ونافَسْتَ فيها في غرور وباطلِ

فضيّعت أحقاباً أمامَك جمّة ... بلذّات أيامٍ قصارٍ قلائلِ

---

(٢) الحفدة جمع حافد : الخادم .

(١) في أمالي القالي ١/٩٠ عن الأصمعي ، أنّه رأي امرأة تبكي عند قبر في البادية وتقول :

فبكى المأمون حتى اخضلّت لحيته بدموعه ، وولّى المجنون من بين يديه فقال المأمون : ادفعوا إليه ألف دينار ، فلما أُتي المجنون بالألف قال : قولوا له : اردُدْها على من أخذتها منه ، وانصرف .

قال القاضي : هؤلاء قوم ينقطعون عن الأمصار ، ويحلّون في الفيافي والقِفار ، وحشة من المخلوقين وأنساً بالخالق ، فإذا رآهم الناس منقطعين عنهم ، نافرين منهم ، سمّوهم المجانين ، غلطاً وعدواناً ، وإذا خاطبوهم سمعوا حكمة وبياناً .

وبالإسناد عن الفضل بن الربيع : أن الرشيد جاز يوماً في حَفَدته[٢] وجموعه وهو معجب بملكه- في بعض طرقات بغداد ، قال الفضل : وأنا بين يديه ، فنهض إليه بعض الموسوسين من مزبلة كان عليها ، وأنشد :

فعدّك قد ملكت الأرضَ طرّاً ... ودان لك العبادُ ، فكان ماذا ؟
ألستَ تصير في قبر ويحوي ... تراثَك كلَّه هذا وهذا

وأشار إلى المأمون والأمين ابني الرشيد ، وكانا وراءه ، فاغرَوْرقت عينا الرشيد بالدموع وقال : نحن - والله - الموسوسون لا هذا .

* * *

الخبر التاسع والعشرون

وبالإسناد عن الأصمعي قال[١] :

بينما أسماء بن خارجة[٢] ليلة ، وقد عراه الأرق ، إذ سمع نادبة تندب بصوت حزين ، وهي تقول :

فــمَن للمنابرِ والخــافــقــاتِ ... وللجــود بعــد زِمــام العَرَبْ

ومن للهــيــاج غــداةَ الطّعــان ... ومن يمنع البــيــضَ يوم الهَرَب

ومن للعُفــاة وحــمل الدّيات ... ومــن يُفْرِجِ الـكـرْب يـوم الـكـرَبْ

فقال أسماء : انظروا من مات في هذه الليلة من الأشراف ، فقد ازداد بَهري بهذه النادبة - لعنها الله. فمضى خادم وعاد إليه فقال : أيها الأمير ، مات الليلة مروان الحائك ، وتلك النادبة زوجته جعدة بنت عيلان تندبه.

فأمر منادياً فنادى : لايُندب إلا شريف.

فــمن للســؤال ومن للنوال ... ومـن للمــقــال ومـن للخُطبْ

ومن للحــمــاة ومن للكمــاة ... إذا مــا الكمــاةُ جــثَوا للركَب

(٢) أسماء بن خارجة، من أكابر الأشراف ، توفي سنة ٦٦ ، انظر المسريع ٣/٥٣٥ ... الكرب

فــقــد مــات عــزُّ بني آدم ... وقــد ظهــر النكد بهِ الطَّرَبْ

قال القاضي : كم حقير عندك ، عظيم ومصيب هو عند نفسه سليم ، ولذلك قال الشاعر :

أرى كلَّ إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيهِ

وماخير مَن يخفى عليه عيوبه ويبدو له العيبُ الذي لأخيهِ

وكذلك الإنسان عند من يحبّه . وقد قدّمنا ذكر ذلك فيما مضى .

ومن أطرف ماسمعناه بالإسناد عن أبي عثمان الجاحظ ، أنّه قال :

مررت بقبرٍ ، فإذا عليه مكتوب : من رأي مصرعي فلا يغترّ بالعيش بعدي ، فأنا الذي سُخّرت له الريح ، إن شاء حبسها وإن شاء أطلقها ، فالتفتُّ فإذا بإزائه قبر آخر مكتوب عليه : أنا أولى الاعتبار منه ، أنا الذي سَفَكْتُ دمَ مَن لايُحصى من الملوك والأشراف ، فلم أُطالب بقَوَد ، ولاأخذ أحدُ مني بثأر . فسألت عن القبرين ، فقيل لي : الأول قبر حدّاد ، والآخر قبر حجّام .

قال القاضي : يعني الحدّاد أنه كان متى شاء جلب الريح لناره بالمندف المنفوخ ، ومتى شاء ترك تحريكه فسكنت ريحه . ويعني الحجّام أنه فصَد وحجم من لايُحصى من الملوك والأشراف من غير خوف لعاقبة . وأرى أنهما قصدا - أو قُصد بهما - وجه التضحّك ، لأن أمرهما تصوّر لهما على غير صورته ، لأن ذلك صدق ، وإنما فيه إشكال على سامعه .

* * *

الخبر الثلاثون

وبالإسناد عن سعيد بن سودة العامري أنّه قال :

كنت عشيقاً لعقيلة من عقائل العرب ، أُزلّ لها الصعبة والذّلول ، لاأبقي من البلاد مطرحا أرجو به رِباً في متجر إلا نزَعَت نفسي إليه ، فانكفأت من الشام بمتجر وأثاث أن أدرك الموسم ودَهماء العرب[1] ، فدخلت تهامة في ليلة مُسْدِفة[2] ، فأقمت حتى تفرّى [3] عن قميص الليل ، فصرفت بصري ، فإذا بقباب شامية مع سعفات الجبال ، وإذا بجُزُر تنحر ، وأخرى تُساق ، .. الطهاة يقولون : اعجلوا ، اعجلوا ،وإذا أُنَيْسان ينادي : ياوفد الله ، الغداء ، وإذا رجل ينادي : ياوفد الله ، من تغدّى فليرحِ إلى العشاء ، فبهرني مارأيت ، فجئت أريد عميد القوم ، فإذا أنا بشيخ فقال : أمامك ، فرأيت شاباً كأن الشّعرى توقد من جبينه ، وكأن في خدّيه الأساريع[4] ، وعلى رأسه عمامة سوداء ، قد أُخرج من تحتها جَمّة ، وتحته كرسيّ مُذَهّب ، من دونه نُمْرُقة ، حوله مشايخ ، نواكس الأذقان ، مامنهم أحد ينبض بكلمة ، وكان قد نما إليّ عن خبر بالشام أن النبيّ الأميّ التّهاميّ

(١) الدهماء : الجماعة .
(٢) مسدقة : مظلمة .
(٣) تفرّى : تمزق .
(٤) الأساريع : دود بيض ، حمر الرؤوس ، تشبه بها أصابع النساء ، التاج - سرع.

هذا أوان توكُفّه[٥] ، فلما رأيته خلته هو ، فقلت : السلام عليك يارسول الله ، فقال : صه ، صه ، وكان شخص يليني[٦] . . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : أبو مقلة ، هاشم بن عبد مناف ، فجلست إليه ، فسمعته يقول :

يامعشر قريش ، الحكم شرف ، والصبر ظفر ، والجود سؤدَد ، والمعروف كنز ، والجهل سفه ، والعجز ذِلّة ، والحرب خدعة ، والظفر دُوَل ، والأيام عِبَر ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، واستشعروا الحِلم تحوزوا المودّة ، ودعوا التقوّل يجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس تعمروا دياركم ، وحاموا على الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا الناس يثقوا بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق ، { وإياكم والأخلاق } الدنيئة فإنّها تضع من الطَّرف .

فخرجت وأنا أقول : هذا والله المجد ، لامجد آل جفنة[٧] .

قال القاضي : كلمات هاشم هذه كلمات حكمة ، وقد تداول الناس ذلك في كلامهم ، فنظموه ونثروه ، وذلك أكثر من أن يحصى ، وكلمة منها هي نصف بيت صحيح وهي : المرء منسوب إلى فعله ، أدرج بعضهم هذا النصف فقال :

---

(٥) التوكف : الظهور . (٦) في الأصل : (وكان قد وليني) .

(٧) آل جفنة : ملوك من اليمن استوطنوا الشام ، ينظر نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ٢١٧ .

كلّ امرىء يصغي إلى شغله والمرء منسوب إلى فعله

ومَخْبَر المرءِ دليلٌ على ماشئت أن يُخبر عن أصله

واسم هاشم : عمرو ، وإنّما سُمي هاشماً لهشمه الثريد في الأزم لأضيافه ، وفي ذلك يقول الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريدَ لقومه ورجالُ مكةَ مُسْنتونَ عِجاف[8]

* * *

(٨) البيت في المحاسن ١٢١/١ دون نسبة ،وهو لعبد الله بن الزبعرى في أمالي المرتضى ٢٦٩/٢ ، وشرح النهج ٢٠٠/١٥ .

(١) الخبر في عيون الأخبار ١٢٨/٤ ، وينظر الموشى ٩٨ ، وشرح المقامات ١٧٠/٤ ، وذم الهوى

الخبر الحادي والثلاثون

وبالإسناد عن محمد بن قيس الأسدي قال [1] :

وجّهني عامل المدينة إلى يزيد بن عبد الملك أيام خلافته ، فخرجت ، فلما جزت المدينة بليلتين أو ثلاث[2] إذا امرأة قاعدة على قارعة الطريق ، وشاب رأسه في حجرها يتمايل ، كلّما سقط أعادته[3] ، فسلّمتُ ، فردَّتْ السلام ، ولم يردّ الشاب ، ثم قالت : ياعبد الله ، هل لك في أجر لامرزئة فيه ؟ قلت : سبحان الله ، ماأحبَّ الأجرَ إليّ وإن رُزئت . فقالت : هذا ابني وكان إلفاً لابنة عمّ له ، تربّيا جميعاً ، ثم حُجبت عنه ، فكان يأتي الخباء ثم يخطبها إلى أبيها ، ونحن نرى عيباً أن تزوّج المرأة برجل كان بها مغرماً ، فخطبها ابن عم لها ، فتزوّجته منذ ثلاث ، فصار ابني كما ترى ، لايأكل ولايشرب ولايعقل ، فلو نزلت إليه فوعظته ، فنزلت إليه ، فوعظْته ، فأقبل عليّ وهو يقول :

---

٤١٤ ، ونهاية الأرب ٢/١٨٥ .

(٢) في العيون : فلما قربت المدينة بليلتين أو ثلاث .

(٣) في المصادر (أسندته) .

(٤) في المصادر (لاتعود) .

ألا ، ماللحبيبة لم تزُرْني(٤) أصومٌ بالحبيبة ، أم صدود
مَرِضْتُ فعادَني أهلي جميعاً فمالكِ لم تُرَي فيمن يعودُ
فقدتُك بينهم فبكيتُ وَجداً وفقدُ الإلفِ ياسكني شديدُ
وماستبطأتُ غيرَكِ ، فاعلميه وحولي من ذوي رَحِمي عديدُ
فلو كُنْتِ السقيمة جئتُ أسعى إليك ، ولم ينهنهني الوعيد

ثم سكن عند آخر كلمة ،فقالت العجوز : مات والله - ثلاث مرات . فدخل عليّ أمر لايعلمه إلا الله ، فاغتممت ، وخفت أن يكون موتُه من كلامي ، فلّما رأت العجوز مابي ، قالت : هوّن عليك ، مات بأجله واستراح مما كان فيه ، وفد على ربّ رحيم ، فهل لك في استكمال الأجر ؟ هذه أبياتنا منك غير بعيدة ، فأتِهم فانْعَه إليهم ، واسألهم حضوره .

فركبت ، فأتيت أبياتاً هي على قدر ميل ، فنعيته إليهم ، وكنت قد حفظت الأبيات ، فجعل الرجل منهم إذا خبّرته خبره يسترجع . فبينما أنا أدور إذ خرجت امرأة من خباء ، تجرّ خمارها ناشرةً شعرها ، فقالت : ياأيها الناعي ، بفيك الحجر ، من تنعى ؟ فقلت : فلان ابن فلان ، فقالت : بالذي أرسل محمداً واصطفاه ، هل مات ؟ قلت : نعم ، قالت : فماذا قال قبل موته ؟ فأنشدتها الشعر ، فوالله ماتنهنهت أن قالت :

---

(٥) عداني : منعني . (٦) ويروى : (فكل الناس دورهم لحود) .

عداني أن أزورك ياحبيبي	معاشرُ كلُّهم واشٍ حسودُ[٥]
أشاعوا ماعَلِمْتَ من الدّواهي	وعابونا ، وما منهم رشيدُ
فأمّا إذ ثَوَيْتَ اليوم لحداً	فدُورُ الناسِ كلّهم اللُّحودُ[٦]
فلا كانت لي الدنيا فَواقاً	ولالهمُ ، ولاأثري العديد

ثم مضيت مع القوم ومعها حتى انتهينا إليه ، فغسلناه ، وكفنّاه ، وصلّيْنا عليه ، ودفنّاه . وأقبلت المرأة على قبره .

ومضيت حتى أتيت يزيد بن عبد الملك ، فأوصلت الكتاب إليه ، وسألني عن أمور الناس ، وعمّا رأيت في الطريق ، فقلت : رأيت - والله - عجباً ، وحدثته الحديث ، فاستوى جالساً ، ثم قال : لله أنت يامحمد بن قيس ، امض الساعة قبل أن تعرف جواب ماجئت له ، حتى تمرّ بأهل الفتى وبني عمه ، فتمضي بهم إلى عامل المدينة ، وتأمره أن يثبتهم في شرف العطايا ، وإن كان أصاب الفتاة ماأصابه فافعل ببني عمّها مافعلت ببني عمه ، ثم ارجع حتى تخبرني الخبر ، وتأخذ جواب ماقدِمْت له .

فممررت بموضع القبر ، فوجدت إلى جنبه قبراً ، فسألت ، فقالوا : أكبَّت على قبر الفتى ، فلم تذق طعاماً ولا شراباً حتى رُفعت عنه ميتة بعد ثلاث ، فدُفنت إلى جنبه .

---

(١) الخبر باختلاف قليل في الموشى ٩٥ ، وهو في ذم الهوى ٥٧٥ ، ونهاية الأرب ٢/١٩٥ ، وكلّهم

فجمعت بني عمّها ، وأتيت إلى أمير المدينة ، فأثبتُّهم جميعاً في شرف العطاء .

قال القاضي : قد تعاطى الوفاء في الهوى بدويّون وحضريّون ، وأنا مورد بعض ذلك عقيب هذا الخبر إن شاء الله .

* * *

الخبر الثاني والثلاثون

وبالإسناد : أن جميل بن معمر قال [1] :

انتجعت آل بثينة في أثرهم ، فضللت الطريق ليلاً ، فلاحت لي نار في حِقف جبل ، فقصدتها ، فإذا براعٍ قد ألجأ غنماً إلى حِقْف الجبل ، فقال لي : ياإنسان ، أضالٌّ أنت ؟ قلت : نعم . قال : انزل تُرِحْ ظهرك ونفسك ، فإذا أصبحت دَلَلْتُك الطريق ، فنزلت ، فقام إلى شاة فذبحها ، وإلي نار فأجّجها ، وجعل يقطع اللحم ويشويه ويطرحه بين يدي . فمازلت آكل حتى امتلأت . ثم عرض عليّ الخمر ، فقلت : ماشربتها قطّ . فقال : أتقول باللبن ؟ قلت : نعم . فقام إلى قدح كان معه ، فملأه لبناً ، وناولني فشربت حتى قنعت ، ثم قال لي : أتقول بالنوم ؟ فقلت : نعم ، فقام إلى إزار كان معه، فقطع به جانب الخباء ، فناولَنيه ، فاضطجعت .

فلما كان في جَنَفِ الليل ، انتبهت لحديث لم أسمع والله مثلَه ، فأرقت عليه عامة ليلي ، فلما كان في الغد ، طلبت الإذن فيه ، فأبى ، وقال : الضيافة ثلاث . فقلت له : لاأقدر على ذلك ، فحلف عليّ ، فلم يدعني .

عن جميل ، وقد رواه الجاحظ في المحاسن والأضداد ٥٨ . وحكى عن الطفيل بن عامر العمري قال : خرجت ذات يوم أريد الغارة . . . وذكر نحوه .

(٢) زاد في النهاية بيتين آخرين ، والقصة فيه أطول مما هي هنا .

فقلت : ممّن الفتى ؟ فقال : من بني عذرة ، وانتسب ، فإذا هو ابن عم لي ، فقلت : ماالذي حملك علي ماأرى ؟

قال : إنّي هويت ابنة عمي ، فخطبتها إلي أبيها ، فأبى أن يزوّجَنيها لقلّة ذات يدي ، وخطبها رجل من بني كلاب فزوّجه إيّاها ، فرضيت أن أكون راعياً له حتى تأتيني كل ليلة ، فأنظر إليها وتنظر إليّ . فلما كان في الوقت الذي كانت تأتي فيه ، لم يرها ، فقام وأنشأ يقول :

مابالُ ميّةَ لاتأتي كعادتها	أهاجَها طرَبٌ ، أم صدَّها شُغُلُ ؟
لو تعلمين الذي بي من فراقكمُ	لما اعتللتِ ، ولاطابَتْ لكِ العِلَلُ
أقسمت بالله لا أحبَبْتُ غيركمُ	حتى المماتِ،ومالي غيركم أمَلُ[٢]

ثم قال : ياأخا بني عذرة ، ماأظنّ أمر ابنة عمي صغيراً ، مكانك حتى أعود إليك ، وذهب حتى انتصف الليل ، ثم رجع إليّ ، وعلى يده شيءٌ محمول ، وإذا هو يبكي ويشهق ، فطرح ماكان يحمله بين يديّ ، وقال ياهذا ، هذه ابنة عمي ، أتتني في هذا الوقت ، فافترسها الأسد ، ثم قال : رويدك حتى أرجع . فمضى حتى كاد الصبح يسفر ، ويئست منه ، فإذا به قد أتى برأس الأسد ، وطرح به بين يديّ ، ثم قال : إذا متّ فارْدُد الغنم على صاحبها ، وادفنَنّا في قبر واحد ، واكتب على قبرنا :

---

(٣) البيتان في روضة العقلاء ٢٨٢ ، إضافة إلى المصادر السابقة .

كنّا على ظهرها ،والدهرْ ذو مَهَلٍ والدهر يجمعنا والدارُ والوطن

فـفرّق الدهرُ ذو التفريق ألْفتَنا فاليومَ يجمعُنا في بطنها كَفَنُ [٣]

ثم عمد إلى حبل كان معه ، فطرحه في حلقه ، ثم لم يزل يختنق به حتى مات [٤] . فقمت فدفنتهما في قبر واحد،ورددت الغنم على صاحبها ، فقال لي : مافعل الراعي ، فحدثته الحديث ، فقال : إنّا لله وإنا إليه راجعون ، لو علمت بهما لجمعت بينهما حيّين .

* * *

(٤) في الموشى وذم الهوى « ناشدته الله ألا يفعل ، فأبى » .

(١) العقد ٢٧٨/٣ باختلاف قليل . وفي الموشى ١٣١ قريب منه ، عن الهيثم بن عدي ، وذكر أن

الخبر الثالث والثلاثون

وبالإسناد عن الأصمعي أنه قال [١] :

أمرني الرشيد أن أمضي إلى بادية البصرة ، فآخذ من نُتَف كلامهم ، وطُرَف ماأجد من الحديث عندهم ، فرُحت إلى البصرة ، فنزلت بها على صديق لي ، ثم بكّرت أنا وهو إلى المقابر ، فلما وافيناها إذا بجارية بادٍ إلينا عطرُها قبل دنوّها ، وإذا عليها ثياب مصبوغة وحليّ ، وهي تبكي بأحرق مايكون ، فقلنا : ياجارية ، ماشأنك ؟ فأنشأت تقول :

فإن تسألاني فيمَ حُزني فإنني ... رهينةُ هذا القبر يافتيانِ
أهابكَ إجلالاً وإن كُنْتَ في الثرى ... أحاذرُ يوماً أن يَسُوْك مكاني [٢]
وإني لأستحييه والتُّربُ بينَنا ... كما كنت أستحييه وهو يراني

فقلنا لها : مارأينا تفاوتاً أبعد مابين زيّك وحزنك . فأنشأت تقول :

ياصاحب القبر يامن كان ينعم بي ... حَيّاً ، ويُكثر في الدنيا مؤاتاتي
أزور قبرك في حلّي وفي حُلَلي ... كأنني لَسْتُ من أهل المُصيبات [٣]
فمن رآني رأى عَبْري مُفجّعة ... مشهورة الزيّ تبكي بين أموات [٤]

المرأة من بني عامر بن صعصعة . (٢) أي : يسوءك . (٣) بعده في الموشى :

أتيت ماكنت في قربي تحبّ ، وما ... قد كان يُلهيك من ألوان لذاتي

وقريب منه في العقد .

(٤) السطر الأخير في الموشى : ..... طويلة الحزن في زوّار أموات

(٥) من هنا ليس في العقد ولا الموشى ، وعلّق الوشّاء - صاحب الموشى : ومثل هذا وأشباهه من

فقلنا لها[٥] : ما الرجل منك ؟ قالت: بعلي،وكان يحب أن يراني في مثل زيّي هذا ، فآليتُ ألاّ أغشى قبره إلا في مثل هذا الذي أنكرْتُماه عليّ

قال الأصمعي : فانصرفنا عنها ، وبحثت عن خبرها وخبر منزلها ، ثم أتيت الرشيد فأخبرته الخبر ،فقال : لابُدّ أن ترجع عودك حتى تتزوّجها لِي . ووجّه معي خادماً ومالاً كثيراً ، فرجعْت إلى قومها ،وخطبتها ، فأجابوني ، وتزوّجتها له ، وحملتها .

فلما صرنا إلى المدائن ، بعثت إليّ الخادم تقول : ياهذا ، لمن تزوّجتني؟ قلت : للرشيد . قالت : أو مابُعث زوجي ؟ وشهقت شهقة ، وفارقت الحياة ، فدفنتها ، وصرت إلى الرشيد ، وأخبرته الخبر ، فماذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها .

* * *

الوفاء قليل في النساء ، وهو من وفائهن عجيب .

(١) مار : أي أطعم . وفي الأصل (وعياله) ولعلّ الواو زائدة ، أو سقط كلمة قبلها .

(٢) مُوقر : أي محمّل .

الخبر الرابع والثلاثون

وبالإسناد : أن معاوية لما قدم المدينة منصرفاً من الحجّ ، بعث إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السلام ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير { رضي الله عنهما } وعبد الله بن صفوان بن أمية بهدايا من كساءٍ وطيب ، وبِصِلاتٍ من المال ، فقال لرسله : ليحفظ كلٌّ واحدٍ منكم مارأى وسمع .

فلما خرجوا من عنده ، قال لمن حوله : إن شئتم أخبرتكم بما يكون من القوم قبل أن تأتي الرسل . قالوا : أخبرنا .

قال : أما الحسن فلعله أن ينيل نساءه شيئاً من الطيب ، ويهب الباقي من حضره ، ولاينتظر غائباً ، وأين كحسن .

وأما الحسين فيبدأ بأيتام من قُتل مع أبيه بصفّين ، فإن بقي شيء نحر به الجزر ، وسقى به اللبن .

وأما عبد الله بن جعفر فيدعو خادمه فيقول : اقض ديني ، فإن بقى شيء فانفذ به غذائي ، فإن بقي شيء فابْتَعْ لي به من عَصَب اليمن وعطر العراق .

وأما عبد الله بن عمر فيبدأ بفقراء بني عديّ ، فإن بقي شيء ادّخره لنفسه ومار به عياله[1] .

وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولي وهو يسبّح فلايلتفت إليه ، ثمّ يعاوده الرسول ، فيقول لبعض غلمانه : خذوا من رسول معاوية مابعث به ، وصلَه اللهُ وجزاه خيراً ، لايلتفت إليها ، وهي أعظم في عينيه من أحد ، ثم ينصرف بها إلى أهله ، فيعرضها على عينيه ، ثم يقول : ارفعوا هذه ، لعلّي أعود بها على ابن هند يوماً .

وأما عبد الله بن صفوان فيقول : قليل من كثير ، ماكلُّ قريش وصل إليه هذا ، رُدّوها عليه ، فإنْ ردّها قبلناها .

فرجع رسله من عند القوم فأخبروه بنحوٍ مما قال . فقال : أنا ابن هند أعلم قريش بقريش .

قال القاضي : إنّما قال معاوية ماقال عن سابق خبرَة لاعن انقداح فكرة .

أما الحسن والحسين عليهما السلام فكان كرمهما زهداً في الدنيا ، وغنى بالآخرة ، لايخصّان به نبيهاً دون خامل ، ولامعروفاً دون منكر . وروي بالإسناد عن الحسين عليه السلام أنه خرج إلى ضيعة له ، فأضلته

(٣) الذي حضر صفين عبيد الله بن عمر . ينظر الاستيعاب ٢/٤٢٣ ، والإصابة ٣/٧٥ .

الطريق ليلاً ، فمرّ براعي غنم ، فنزل عنده ، فأحسن ضيافته ، فلما أصبح دلّه على الطريق ، فقال الحسين : إنّي أرِد إلى ضيعتي ثم أصير إلى المدينة فإذا كان وقت كذا وكذا فأتني بها . ومضى إلى ضيعته ، فشُغل بها عن الإتيان إلى المدينة في الوقت الذي ذكره للراعي . فجاء الراعي ، فصادف أخاه الحسن ، وظنّه إياه ، وقال : أنا الراعي الذي بتّ عنده ليلة أضللت الطريق وأنت تريد ضيعتك ، وأمرته أن يصير إليك في هذا الوقت . فعرف الحسن عليه السلام أنّه يريد الحسين ، فقال له : لمن أنت ياغلام ؟ قال : لفلان - رجل من أهل المدينة - قال : فكم غَنمُك ؟ قال : ثلاثمائة رأس . فأرسل الحسن إلى سيّده ، فأرغبه في الثمن ، وابتاع منه العبد والغنم ، ثم أعتقه ووهب له الغنم ، وقال : إنّ الذي بات عندك أخي ، وقد كافأتك عمّا صنعت معه .

وأما عبد الله بن جعفر فكان يُعدّ في وقته أسمح العرب ، وله في الجود آثار مشهورة ، نذكر منها خبراً يدلّ على بقيّتها :

رُوي بالإسناد أن عبد الله بن جعفر أقبل من الشام إلى المدينة ، فعطش في بعض المنازل ولم يجد ماء ، فقال لبعض غلمانه : انطلق نحو ذلك السواد لعلّك تجد عنده ماء . فمرّ الغلام يركض ، فإذا برجل معه حمار موقر[2] تبناً ، فقال له : أعندك ماء ؟ قال : نعم ، وسويق ولبن ، ومرّ

أما حديث المؤلف عن عبد اله وأنه لم يكن جواداً فليس صحيحاً ، فأخبار جوده مشهورة ، وإن كان

يحضُر كأنّه إعصار ، فجاء بإناء فيه ماء ، وإناء فيه لبن،وإناء فيه سويق ، فقال له الغلام : إلى من قصدت بهذا ؟ فقال : إليك . قال :فهل تعرفني ؟ قال : لاأعرفك ، إنما أقصد بفضل زادي المحتاج إليه . فأخذ الغلام جميع ذلك وقال : أنطلق . فقال : إلى أين ؟ قال : إلى عبد الله بن جعفر الطيّار في الجنة . قال : ياهذا ، ماأعرف الطيّار ولا المقصوص ، ولاأقصد بهذا إلى أهل الشرف ، إنّما أردت الكبد الحرّى مَن كانت وأين كانت ، فانطلق الغلام بالآنية إلى مولاه ، فلما جاءه بها قال :من أين لك هذا ؟ قال الغلام : اشرب بأبي أنت وأمي ، فإني { إن } أخبرتك الخبر اخترت أن تموت عطشاً ولاتشرب .

فشرب عبد الله حتى ارتوى . ثم قصّ عليه الغلام القصة ، فقال عبد الله : لقد تركنا هذا ومانحسن أن نقول ولانفعل . انطلق بنا إليه ، فانطلقوا ، فلما أتوه قال له عبد الله : ممّن الرجل ؟ قال : من بعض أنباط الشام . قال عبد الله : لأنت أشرف ممن ملك طاعتك . ياغلام ، انظر مافي يدك من مال فادفعه إليه . فقال الرجل : أنت لعمري ابن الطيّار في الجنة ، إذ جُدت لي بكل ماملكت ، ومافي ذلك من حاجة . قال عبد الله : والله لاأبرح من موضعي هذا أو تحمل كل قصعة معنا وفي رحالنا إليك ، فأعطاه نحوا من ثلاثمائة ألف درهم ، وأمر غلمانه بحملها إلى منزله ، فلما أخذها قال عبد الله : لو لم يأخذها لم يهنأ لي عيش أبداً .

وأما عبد الله بن عمر فكانت طريقته السكينة والعفاف ، ولم يكن مشهور الجود ، ولامنسوباً إلى بخل ، ولسكينته لم يحضرْ صفّين ، وإنما حضرها أخوه [3] .

وأما عبد الله بن الزبير فكان ذا دين وورع ، وفيه يقول الشاعر :

رأيت أبا بكر وربّك غالِبٌ على أمره يبغي الخلافة بالتمر [4]

وكان يُكنى أبا بكر وأبا خبيب ، وكان هو وأخوه مصعب مختَلفي الصفة [5] فعبد الله بخيل ، ومصعب أكرم العرب [6] .

* * *

جود كل امريء بقدر مايملك . ينظر أخباره ومصادرها في السير ٢٠٣/٣ .

(٤) عيون الأخبار ٣١/٢ ، والعقد ١٧٧/٦ ، ونثر الدرر ١٧٩/٣ .

(٥) ينظر أخبار عبد الله وأخيه ومصادرها في السير ٣٦٣/٣ ، ١٤٠/٤ .

(٦) ولم يذكر المؤلف شيئاً عن عبد الله بن صفوان ؛ فقد ولد في حياة الرسول ﷺ ، وكان من أشراف قريش ، وناصر ابن الزبير ، وقتل معه في الكعبة سنة ٧٣هـ ، ينظر السير ١٥٠/٤ ، والإصابة ٦٠/٣ .

(١) الخبر في المحاسن والمساوىء ٢٧٩/٢ ، والعقد ٢٨/١ ، وشرح المقامات ١٧٦/٢ . وفي الأصل (أن حسن بن قحطبة قال) . (٢) أي ثياب بالية .

(٣) وهو قاض فقيه علاّمة . توفي سنة ٢٤٢هـ . ينظر السير ٥/١٢ .

الخبر الخامس والثلاثون

وبالإسناد أن قحطبة بن حميد بن قحطبة قال [١] :

كنت واقفاً على رأس المأمون في يوم المظالم ، فكان آخر من دخل عليه امرأة عليها أسمال[١] ، فقالت : السلام عليك ياأمير المؤمنين . فرفع رأسه إلى يحيى بن أكثم [٣] ردَّ السلامَ عليها - لأن المأمون كان لايردّ على النساء ، فقال يحيى : وعليك السلام ، تكلّمي ياأمة الله ، فأنشأت تقول :

ياخيرَ مُنْتَصف يُهدى به الرُّشَدُ ... ويا إماماً به قد أشرق البَلَدُ
تشكو إليك-أمير الخلق-أرملة ... عدا عليها - فلم تقدر به أَسَدُ
فابتزّ مني ضياعي واستبدّ بها ... عنّي ، فضاع لديّ الأهلُ والولَدُ

فتأوّه المأمون . ثم أنشأ يقول :

في دون ماقلتِ عيل الصبرُ والجلد ... مني ، وأقرح منّي القلبُ والكَبدُ
هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي ... وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعدِ
المجلسُ السبت إن يُقض الجلوسُ لنا ... أنْصِفْك فيه وإلا المجلسُ الأحَدُ

---

(٤) في المصادر (الأحد) .
(١) هكذا قرأتها ، وقد تقرأ (التقية التقية) .
(٢) مشق الكتابة : مدّ حروفها .

فلما كان يوم السبت [٤] جلس من أجلها ، وقال : عليّ بالمرأة ، فلما دخلت عليه قال : تكلّمي . قالت : ياأمير المؤمنين ، خصمي على رأسك ، وأومأت إلى العباس ابنه ، فأمر بإجلاسه معها ، فجلس ، وناظرته فارتفع صوتها على صوته ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : ياأمة الله ، اخفضي صوتَك ، فإنّك في مجلس أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه ، وتناظرين ابن الأمير - أعزّه الله . فقال المأمون : دعها ، فإنّ الحقّ أنطقها والباطل أخرسه . ياأحمد ، اكتب إلى عاملنا بناحية ضيعتها ليردّها عليها ويهنّيها إياها ، وادفع إليها من مال العبّاس مااستعمل من ضيعتها ، وادفع لها من مالي عشرة آلاف درهم لتغيّر ماأرى من سوء حالها ، واجعل قضاء حوائجها في يومك هذا ، ففعل ذلك ، وانصرفت .

* * *

(٣) في الأصل (احتنبانا بعد الثرى ، واحتنبنا الاجرا ، ولم يستيما بالأمرا) ولم يتضح لي صوابها

الخبر السادس والثلاثون

وبالإسناد : أن عبد الملك بن مروان استعمل رجلين في بعض بلاده ، فجارا على أهلها وأهلكاهم،فسألوا رجلين أعرابيين في بلادهم أن يوصلا لهم الشكية إلى عبد الملك،وبذلوا لهما مائة ناقة، فمضيا نحوه ، فلما قدما عليه ،تقدّم أحدهما بين يديه فقال : أدام الله -أيها الأمير- نصرك ، وشدّ لك أزرك،وعصمَك وبارك لك فيما ولاّك،وأدام لك الشكر على ماآتاك.

أتاك فقراءُ مساكين محتاجون،يشكون إليك أمرَ عاملَيك فلانٍ وفلان، أهلكا الرعيّة ، وأظهرا البليّة ، فالتفت التفت[1]،تركا المساكين في البقاع ، والنساء مع المشايخ المخدعات الجياع ، هلكت الأتْوة ، وانقطعت الحَظوة ، وذهب الحمى ، وكفرا بخالق السما ، فلا إليك أدّيا ، ولاعليك أبقيا ، يعطيان القليل ، ويجبيان الجزيل ، قطعا بينهما أبناء السبيل ، إن تكلّما نطقا ، وإن كتبا مشقا [2] ، فالعريف نظير ، والخادم مشير .

ثم استأخر وتقدّم صاحبه فقال :

أعزّ الله الأمير ، وأمتع به ، أسكنانا غيرَ مساكننا ، أخرجانا من مواطننا، نحن بذمّة الله وذمّة الأمير ، { إنهما } ممّن أساء السيرة ، وأهلك

---

(١) صبر : لزم ، يعني أنه يَذكّر الله دائما .

العشيرة ، وعمل الجوائر ، وأظهر الدوائر ....[3] ، ظالمان يستعينان بالظلمة ، لايسوّدان السادة ، ولايقوّدان القادة ، بعلم ذي الغيب والشهادة إنهما لكما أقول وأقبح ممّا أقول ، وإن الله ليس بعَجول ، يمهل لأهل المُهل ثم يجعلهم إلى سَقَر ، ثم ينجي مَن صبر . ونحن - أعزّ الله الأمير - في بلدة وحرْزة مُبَرّدة مُجَرَّدة ، إن كثر عليها الغيث اصفرّت ، وإن قلّ عليها اغبرّت ، وإن كان بين ذلك اخضرّت ، فنحن منها كالراكب على القَتَب ، إن تقدّم انكبّ ، وإن تأخر وقع على الذنب ، انقطعت عن تهامة عشها ، وعن .... وعطبها ، وعن مشارق الأرض وغربها .

قال : فأرسل عبد الملك على المكان للعاملين ، فضرب أعناقهما ، وكتب لأهل الأرض أماناً ، لايليهم عامل أبداً .

* * *

---

(١) المحاسن والمساوىء ٢/١٢٢ .

(٢) لدعبل الخزاعي - ديوانه ٣١ ، وفيه مصادر .

الخبر السابع والثلاثون

وبالإسناد : أن عبد الله بن جعفر أرق ذات ليلة ، فقال لبعض غلمانه: اخرج فأدخِلْ إليّ أقرب من تجده بالباب ، فخرج الغلام ، فوجد أعرابياً متلفاً ملبساً . فقال : أجب الأمير ياأعرابي . فقال : الأميرَ أردْتُ وربّ الكعبة .

فلما دخل على عبد الله بن جعفر ، سلّم وقعد ، فقال له عبد الله بن جعفر : ياأخا العرب هل تبصر من الأدب شيئاً ؟ قال : نعم . قال : فمَن الرجل الأديب ؟ قال : المُقبل على شانه ، المكرم لجيرانه ، الذابّ عن إخوانه، المنصف لأعوانه ، الرادّ طرفه ، الحافظ فرجه ، الكاتم سرّه ، المتفقّد أمره . قال : فما المروءة ؟ قال : ترك الجدال ، وترك مُقاولة الجُهّال ، والإقلال من الضحك ، وترك العبث بالجليس ، وترك مماكسة الباعة ، وترك مشارطة الحجّام ، وأن تلقى الناس بوجه طلق وخلق جميل ، لاتستعمل النفاق ، ولاسوء الأخلاق .

قال : فما الأخوّة ؟ قال : تفقّد الأخ لأخيه كتفقّده لقرابته ، يبذل له ماله ، ويراعي أحواله ، قد أشركه بنفسه في عسره ويسره ، إن نزلت به

نازلة كانت عليه أظهر ، وبه أجدر ، وإن أتاه سرور كان به أغيط ، وعليه أحمد ، وإن غاب افتقده ، وإن حضر تعاهده ، ولايغيب عن موضع حضره ، ولاتغيّره الأقوال ، ولايميله تقلب الأحوال ، إن رأي خيراً نشره ، وإن رأي مكروهاً ستره ، حافظاً لولائه ، متمسكاً بحبل إخائه .

قال : صدقت وأحسنت . فما الحِلم ؟ قال : حلم الرجل عند ظفره ، وإغماضه عن عدوه ، وترك الجدال في وقت الاحتجاج . ثم أطرق إلى الأرض قليلاً ، ثم قال : بل غير هذا - أعزّ الله الأمير - أحلم . قال : ومن ذاك ؟ قال : الناظر في معاده ، والمجدّ في إعداده ، والمعدّ لزاده ، والمفكّر في أمسه وطول مكوثه في رَمسه ، ويوم خروجه من أهله وأنسه .

قال : صدقت وأحسنت . فمن العاقل ؟ قال : الذي يعقل مايأتي ومايذر ، ينتظر كلاماً يُعدُّ له جواباً بحجة واضحة ، للخُلف قاطعة ، لايخاف في المحافل الخجل ، ولايحضره الملل ، قد عقل أن يخرج من الأمر قبل أن يدخله . ثم أطرق إلى الأرض قليلاً ، ورفع رأسه ، ثم قال : بل غير هذا - أعزّ الله الأمير - أعقل { قال } : ومن ذاك ؟ قال : من عقل عن أمته أمره ، وعرف لله قدره ، وأخذ من حياته لمماته ، ومن دنياه لمهاده ، فصبَر [1] الله في قلبه يقيناً لاشك فيه ، وحقاً لايحيد عنه .

---

(٣) المحاسن ٢/١٢٢ . (٤) قول الإمام علي في المصون ١٤٨ ، والمحاسن ٢/١٢١ ، وهو في

لبعض الشعراء :

مـاإن دعـاني الهـوى لمعـصيـةٍ إلا عـــصـــاه الحـــيـــاءُ والكرمُ

ولا إلـى مُحْرَم مــــــددت يـداً ولامَشَتْ بــــــي لـــــــذلَة قَدَم

* * *

الخبر الثامن والثلاثون

وبالإسناد عن وهب بن منبّه أنه قال : سمعت بعض العلماء يقول :

ينشعب من الأدب الشرفُ وإن كان صاحبه دنيئاً ، والعزّ وإن كان صاحبه مهيناً ، والقرب وإن كان صاحبه قصيّاً ، والغِنى وإن كان { صاحبه } فقيراً ، والسلامة وإن كان { صاحبها } سقيماً .

وسمع حكيم رجلاً يقول : أنا غريب . فقال : الغريب من لاأدب له . وكان يقال : من قعد به حسبُه نهض به أدبُه [1] .

ويقال : الأدب أولى بالمرء من الحسب ، وأعدل شاهد على النسب .

وقال العتابي : في الأدب خلق من الحسب ، وفي الوفاء دَرك من البرّ، فوالِ بين هاتين الخلّتين ، وولّهما أخلاقك يجيراك من المهلكة ، وينقذاك من خمول الذكر . وأنشدني ابن الحروب :

العلمُ ينهض بالخسيس إلى العلا ... والجهل يقعد بالفتى المنسوبِ

فإذا الفتى نال العلوم بفهمه ... وأُعِينَ بالترغيب والتهذيب

جرت الأمورُ به فبرّزَ سابقاً ... في كلّ محضرِ مشهدٍ ومغيب[2]

سجع الحمام ٢٧٥ عن دستور معالم الحكم للقضاعي ٢٤ .

(٥) الثاني في المحاسن ٢/٢١ .   (٦) المصون ١٤٩ ، والمحاسن ١/٢ .

وكان يقال : رُبَّ حسب أضاعه سوء الأدب ، ومروءة أُحرزت بحسن التأدب . وأنشد :

عِيُّ الشريفِ يشينُ منصبَه   وابن الوضيعِ يزينه أدبُه [٣]

قال ابن المقفع : الأدب يجوّد الحظّ ، ويؤنس الوحشة ، وينفي الفاقة ، ويعرّف النكرة ، ويكفّ العدوّ ، ويكبّ الصديق .

ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال: كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لايحسنه ، ويفرح إذا نُسب إليه ، وكفى بالجهل خمولاً أنه يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نُسب إليه[٤] . فأخذ ذلك بعض الرواة فقال :

كفى شرفاً بالعلم دعواه جاهلٌ   ويفرح إنْ أمسى إلى العلم يُنسبُ

ويكفي خمولاً بالجهالة أنني   أراعُ متى أُنسبْ إليها وأغضبُ[٥]

قال بزرجمهر : ليت شعري ، أي شيء أدرك من فاته الأدب ، أم أي شيء فات من أدرك الأدب [٦] .

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : قيمة كل امريء مايحسن[٧]

---

(٧) المحاسن ٢/١٢١ .

(٨) المحاسن ٢/١٢١ دون نسبة ، وهما في الازدهار ٦٤ لابن طباطبا والتكملة منهما .

(٩) العقد ٢/٢١٦ ، والمحاسن ٢/١٢١ ، والازدهار ٥٣ .

(١٠) قريب من هذه المعاني في المصون ١٤٠ .

فرواه بعض المحدثين بالشعر ، فقال :

{ قــال عليٌّ بن أبي طالب } وهو اللبــيب الفطِنُ المُتْقِنُ
كلّ امــريء قــيــمــتُه عندنا وعندَ أهل العلم مــايُحــسن[8]

وأنشد لابن طباطبا في هذا المعنى :

حسودٌ مريضُ القلب يُخفي أنينه ويضحي كئيب البال عندي حزينَه
يلوم إذا مارُحت في العلم راغباً وأجــمع من عند الرواة فنونه
فــأعــرف أبكار الكلام وعُونه وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لايجلب الغنى ويحسن بالجهل الذميم فنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي فقيمة كلّ الناس مايُحسنونه[9]

وقال سابور الملك : يحتاج أدب الرجل أن يكون على قدر عقله ، فإنّه إن جاوزه أورثه العجب ، فزال بالأشياء عن مواضعها ، وكان مافيه السبب إلى هلاكه ، وإنْ كان عقله أكثر من أدبه ، ينزع العقل بكثرة زيادته نزوعاً .... صاحبها التمام ، وإن لم يكن بذي عقل ولا أدب كان جلداً في حكم الناس[10] .

---

(١١) صفرة : خالية . (١٢) روضة العقلاء ٢٣ .

(١) الخبر كما هو هنا في البداية والنهاية لابن كثير ٦٧/٥ عن البيهقي ... عن كميل بن زياد ، وهو باختصار في سيرة ابن هشام ٥٧٩/٢ ، والمغازي للواحدي ٩٨٨/٣ .

ولما قُتل برزجمهر وُجد في خزانته رقعة مكتوب فيها : أفضل ما أُوتيه المرء عقلٌ يعيش به ، فإذا حُرم ذلك فأدب يقرّبه إلى نيل هذا ، فإن حُرم ذلك فمال يغطّي عوراته ، فإن حُرم ذلك فجائحة تأتي عليه ، لاتبقي له نسلاً .

وقال آخر : من كان غذاؤه الأدب كان ثمرته الحكمة ، فاغذوا أولادكم بالأدب تُغنوهم به .

وكان يقال : ماورّثت الملوك أبناءها شيئاً هو أنفع من الأدب ، لأنّها إذا أورثَتْها الأدب اكتسب به الأموال ، وإذا أورثتها الأموال أتلفتها ، وبقيت صَفِرة[١١] من الأدب .

وقال آخر : من كثر أدبه دام شرفه وإن كان خسيساً ،وكانت الحاجة إليه وإن كان قليلاً ،وساد وإن كان وضيعاً ، وبعُد صيتُه وإن كان مجهولاً .

قال الشاعر :

ليس الفتى كلّ الفتى ... إلا الفتى في أدبه

وبعضُ أخلاق الفتى ... أولى به من نسَبه[١٢]

قيل لبعض الحكماء : متى يكون الأدب أضرّ ؟ قال : إذا كان العقل أنقص .

---

(٢) اللمياء : من في شفتها سمره . والعيطاء : طويلة العنق . شمّاء الأنف : مرتفعته مع حسن.

قال بزرجمهر : مثل الأدباء بلا أدب ، مثل الأرض الطيبة الخراب .

قال الشاعر :

وخيرُ مايجمع الفتى أدبٌ يزينه حين تعرض الخُطَبُ

لايعرفُ اللهَ حقَّ معرفةٍ مَن لم يكن عاقلاً ، له أدب

* * *

الخبر التاسع والثلاثون

وبالإسناد عن كميل بن زياد النخعي ، قال :

سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول :ياسبحان الله ، ماأزهدَ كثيراً من الناس في الخير ! عجباً لرجل يحبّه أخوه في الحاجة فلايرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كان لايرجو ثواباً ، ولايخشى عقاباً ، لكان ينبغي له أن يتبع مكارم الأخلاق ، فإنها تدلّ على سبيل النجاة ، فقام إليه رجل فقال : فداك أبي وأمي ياأمير المؤمنين ، أسمعت ذاك من رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، وماهو خير منه .

لما[1] أُتي بسبايا طيء ، وقفت جارية ظمياء ، لمياء ، عيطاء ، شَمّاء الأنف[2] ، معتدلة القامة ، مدوّرة الهامة ، درماء الكعبين ، خَدَلّجة[3] الساقين ، لفّاء الفخذين ، خميصة الخصرين[4] ، ضامرة الكشحين ، مصقولة المتنين ، فلما رأيتها عجبت بجمالها ، فقلت : لأطلبّن إلى رسول

وفي البداية والنهاية (لعساء ذلفاء) مكان لمياء عيطاء . واللعساء : من في شفتها سواد مستحسن ، والذلفاء : قصيرة الأنف مع استواء أرنبته .

(٣) خدلّجة : ممتلئة .   (٤) خميصة : ضامرة .

(٥) في البداية : حديث حسن المتن ، غريب الإسناد ، وهو عزيز المخرج .

(٦) لم يردا في ديوان ابن هرمة .

(٧) البيت في ديوان الحماسة ١/ ٤٧١ للتيمي ، وذكر التبريزي في شرحه ٣/ ٥ أنه عبد الله بن

الله ﷺ أن يجعلها في نصيبي عند القسمة . فلمّا تكلّمت نسيتُ جمالها بما سمعت من فصاحة منطقها .

قالت : يامحمد ، إن رأيت أن تخلّي سبيلي ، وتفكّ أسري ، لاتُشْمِت بي ، فافعل ؛ فإني ابنة سيّد قومي ، إنّ أبي كان يحمي الذمار ، ويفكّ العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العاري ، ويطعم الطعام ، ويُفْشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قصد لها قطّ ، أنا ابنة سيّد قومي ، أنا ابنة حاتم طيء الذي يُضرب به المثل في أندية الحيّين عدنان وقحطان ، فخلّ سبيلي ، فإنّ في صنعه كرماً وعقبى خير .

فقال النبي ﷺ : « هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه ، خلّوا عنها ، وأطلقوا لها السبيل تذهب حيث شاءت ، لايعرض لها أحدٌ من المسلمين ، فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق ، وإن الله يحبّها » فقام إليه أبو بردة بن نيار فقال : يارسول الله ، أيحبّ الله مكارم الأخلاق ؟ فقال : « ياأبا برده ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً الذي نفسي بيده ، لايُدخُل أحداً الجنّة بعد الإيمان إلا حسنُ الخلق ، ومكارم الأخلاق ، وكرم الفعال ، وبذل المعروف والصنيعة »(٥) .

قال القاضي : كفى بمكارم الأخلاق أنّها تُكسب في الحياة طيب الثناء وتكون ثناء بعد الفناء ، ومن أحسن ماقيل فيها قولُ ابن هرمة :

أيوب . وفي العقد ٣/ ٢٩١ ، نسب البيت لمسلم بن الوليد ، وأثبته عنه محقق الديوان ٣١٧ .

بثَّ الصنائعَ في البلاد فأصْبَحَتْ تُجـبَى إليـه مكارمُ الأخـلاقِ
وأقـام سـوقـاً للثناء ولم تـكن سـوقُ الثناء تُعـدُّ فـي الأسـواق[٦]

ومن أحسن ماقيل فيها بعد الوفاة قول التَّيمي :

ردّت صنائعُه إليه حياتَه فكأنّه من نشرها منشور[٧]

وقول آخر :

وإذا الفتى لقي الحِمامَ حَسِبْتَه لولا الثناءُ كأنّه لم يولدِ[٨]

* * *

(٨) وهو ليزيد الحارثي - ديوان الحماسة ٢/ ٣٧١ .

الخبر الأربعون

وبالإسناد عن المسيب بن واضح[1] أنّه قال :

كنت عند عبد الله بن المبارك ، إذ سألوه لرجل أن يقضي عنه سبعمائة درهم ديناً عليه ، فكتب معه إلى وكيله : إذا أتاك كتابي وقرأته ، فادفع إلى صاحب الكتاب سبعة آلاف درهم ، فمضى به الرجل وهو لايعلم ما فيه، فلما أتى الوكيل سلّم إليه الكتاب ، فقرأه ثم التفت إلى الرجل فقال : كيف كان أمرك مع عبد الله ؟ قال : سألوه أن يقضي عني سبعمائة درهم . فقال له : إني أصبت غلطاً ، فاقعد وعليك الكفاية من مالي ، حتى أبعث إلى عبد الله بن المبارك ، فأؤامره [2] فيك .

ثم كتب إلى عبد الله . أتاني كتابك ، وقرأته،وفهمت ماذكرت فيه ، ثم سألت مُوصله فذكر أنه كلّمك في سبعمائه درهم ، وفي كتابك سبعة آلاف درهم ، فإن يكن غلطاً فاكتب إليّ بحسب ذلك .

فلما وصل الكتاب إلى عبد الله كتب إلى الوكيل جواباً فيه : إذا أتاك الكتاب وقرأته فادفع إلى الرجل أربعة عشر ألف درهم .

---

(١) عبد الله بن المبارك إمام زاهد عالم مجاهد ، توفي سنة ١٨١هـ ، له ترجمة واسعة في تاريخ بغداد ١٥٢/١٠ ، والسير ٣٣٦/٨ . والمسيب بن واضح - راوي الخبر - إمام محدث عالم ، حدث عن ابن المبارك وغيره . توفي سنة ٢٤٦هـ . ينظر السير ٤٠٣/١١ ، والخبر باختصار في تاريخ بغداد ١٥٨/١٠ ، والسير ٣٤٢/٨ .

(٢) أؤامره : أشاوره .

فلما وصل الكتاب إلى الوكيل كتب إلى عبد الله : إن كان على هذا الفِعال فما أسرع ماتبيع ضيعتك .

فكتب إليه عبد الله جواباً : إن كنتَ وكيلي فأنْفذ ما أمرتك ، وإن كنت وكيلك فتعال إلى موضعي حتى أصير موضعك ، وأنْفِذ ماتأمرني به. سمعت سفيان يقول ، سمعت ليثاً يقول : سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ : « من فاجأ من أخيه المسلم فرحة على فرحة غفر الله له »[3] وأحببت أن أفاجئه فرحة على فرحة .

قال القاضي : مافعله ابن المبارك حقيقة الكرم ، لأنّه قيل : إنّ المنّة هي بما تبتدىء به قبل السؤال ، فأما العطيّة بعد السؤال فمكافأة للسائل على احتماله ذلّ السؤال ، واختياره المسئول لقصد آماله . وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

ماعتاضً طالبُ حاجةٍ بسؤاله عِوَضاً ، ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال قرنْتَه رجَح السؤالُ وخفَّ كلُّ نوالٍ[4]

ولأجل هذا حكى بعضُ الكرماء : إذا بدت لأحدكم حاجة فليضمنها

---

(٣) الحديث في ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٥ مع جزء من الخبر .

(٤) العقد ٣/ ٣٩ ، واللباب ٣٠٧ ،وشرح النهج ١٦/ ٧٤ دون نسبة ، وهما في الموشى ٥٨ لعلي بن ثابت الكاتب ،وهما في البهجة ١/ ١٦٨ ، ونسبهما المحقق لأبي العتاهية ، والأول في ديوانه٣٣١

رقعة ، فإني أكره أن أرى ذل السؤال[٥] .

وقد قال بعض الشعراء في العطاء قبل السؤال :

وإن أحقّ النّاسِ إنْ كُنْتَ مادحاً بمدحِك مَن أعطاك والعرضُ وافرُ[٦]

أي قبل السؤال . وقال آخر :

وفــتــى خــلا منه مــالِه ومن المروءة غــيــرُ خــالِ

أعـطـاك قــبـلَ ســؤالِه وكــفــاك مكروه الســؤال[٧]

ومن أعظم المدح بالعطية قول البحتري :

ولقد سألت سؤال مالم أعطه ولقيت من جدواك مالم أسأل[٨]

فهذه أعلى درجة من الجود ، ويليها الإعطاء عند أول سؤال ، وقد افتخر بذلك بعض الكرماء :

روي أن رجلاً من أهل الأدب أنحى عليه زمانه بالنوافر ، فقصد لبعض الرؤساء الأكابر ، وكتب إليه رقعة فيها :

---

(٥) في العقد ١/٣٢٨ أنّه لعلي رضي الله عنه ، وفي الأمل والمأمول ٢٧ ،وعيون الأخبار ٣/١٨٧ ، لمحمد بن مطرف .

(٦) البيت لأبي الأسود الدؤلي - ديوانه ٨٥ ، والعيون ٣/١٨٨ .

(٧) البيتان في البيان ٣/٣٥٥ لسلم الخاسر (توفي سنة ١٨٦هـ) ، لكن ابن قتيبة ذكر في عيون الأخبار ٣/١٨٨ أن معاوية كان يتمثل بهما ، وهما في أدب الدنيا والدين ٨٨ دون نسبه .

(٨) في ديوان البحتري ٣/١٨٧٣

وقد سألت فما أعطيت مرغبةً وكان حقيّ أن أعطى ولم أسَل

(٩) الأبيات لأبي الشيص - ديوانه ٥٣ ، والشعر والشعراء ٢/٨٤٤ ، والموشى ٢٣١ .

هذا كـــتـــابُ فـــتـى له هِمَمٌ ... ألقَتْ إليـك رجـــاءَهُ هـمـــمُه

غلّ الزمـــان يَدَيْ عـــزيمتـــه ... وطـواه عـن أكــــفـــائـه عَدَمُه

وتـواكَلَتْه ذوو قـــــرابـتـــــه ... وهوت بـه من حـــالـق قـــدمُه

أفـــضى إليك بســـره قلمٌ ... لـو كـان يعلمــه بكى قلمــه [9]

فلما قرأ الرقعة قال لخادمه : أحضِر ماعندك . فأحضر خمسمائة دينار ، فبعثها إليه ، وكتب على ظهر رقعته بقوله :

إنّي إذا اختــارني لحـاجـتـه ... مِثلُكَ أغـنيــــتـــه عن النّقب

أردّ وجـــهَ الفـــتى يجـــدّ به ... لم يبـتـــذله ضـــراعـــةُ الطلب

لو سـاعَدَتْ حُسن نيـتي جدتي ... فـيك لأصـبــحتُ أيسـرَ العـرب

مَن أمكَنَتْه صنيــعـــة فـأبى ... فـلا يكن إلا ضـائع النسب [10]

* * *

---

(١٠) في المخطوطة (فلايميل الامناع بالنسب) .

(١) الخبر في مكارم الأخلاق ١٣٨ ، وروضة العقلاء ٢٤٦ ، والجليس والأنيس ١/ ٢٧٥ ، وتاريخ

الخبر الحادي والأربعون

وبالإسناد عن حميد بن معيوف الحمصي عن أبيه أنّه قال [1] :

كنت فيمن شهد الحكم بن حنطب المخزومي بِمَنْبج[2] حين احتضر ، وكان قد لقي من الموت شدة ، فقال رجل من الحاضرين : اللهم هوّن عليه الموت ، فلقد كان .... ، ولقد كان .... ، وأثنى عليه . فأفاق الحكم من غشيته ، ثم قال : من المتكلم ؟ قال الرجل : أنا . قال : إن ملك الموت يقول لك : إنّي بكلّ سخيّ رفيقٌ ، ثم فاض كأنه ذُبالة[3] أُطفئت . فلما بلغ ابن هرمة قوله ، قال :

سالا عن المجد والمعروف أين هما ... فقلت : إنّهما ماتا مع الحكم

ماتا مع الحكم المُوفي بذمّته ... يومَ الحفاظ،إذا لم يُوفَ بالذمَم[4]

قال {القاضي}: روينا بالإسناد : أن أهل مَنْبج لم يكن فيهم فقير في زمان الحكم ، فسُئلوا عن ذلك ، فقالوا : لقد أُنزل الحكم بين أظهرنا ،

دمشق ٥/٢١٤ ، وفي تاريخ دمشق ترجمة للحكم بن عبد المطلب بن عبد الله ، ابن حنطب المخزومي، من أجواد قريش ، قدم منبج وسكنها مرابطاً إلى أن توفي .

(٢) منبج : بلد بين الشام وبلاد الروم ، قريبة من حلب ، معجم البلدان ٥/٢٠٥ .

(٣) الذبال : القتيلة .

(٤) ديوانه ٢٠٥ ، والمصادر السابقة . وفي النوادر للقالي٢٤١ البيت الأول مع بيت آخر للراجي .

(٥) في النوادر ٢٤١ ، والعقد ١/٣٠٢ : أن رجلاً من أهل منبج قال : قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فأغنانا ، قيل له : كيف أغناكم وهو مملق ؟ قال : علّمنا المكارم ، فعاد غنيّنا فقيرنا .

فعلّمنا الجود ، فعاد موسُرنا على مُعسِرنا ، فاستغنَينا (٥) .

قال القاضي : نظم هذا المعني أبو نواس :

سنّ للناس الندى فنَدُوا فكأنّ البخلَ لم يكنِ (٦)

* * *

(٦) ديوان أبي نواس ٤١٣ .

(١) ولد أبو الأسود أيام النبوة ، ومات سنة ٦٩ هـ ، حدّث عن عدد من الصحابة ، وهو الذي ينسب إليه أوليّة وضع النحو . ينظر أخباره ومصادرها في سير أعلام النبلاء ٤/ ٨١ .

الخبر الثاني والأربعون

وبالإسناد عن ابي عمرو بن العلاء أنه قال :

وقف أعرابي على أبي الأسود الدؤلي(١) وهو يأكل تمراً فقال : أنا شيخ هِمّ(٢) ، غابر ماضين ، وفاقد محتاجين ، حتى أكلني الدهر ، وأودى بي الفقر ، فأعِن ضعيفاً مسنّاً تجد خيراً ، وتكسب شكراً ، فناوله تمرة ، فضرب بها الشيخُ وجه أبي الأسود وقال : جعلها الله من حظّك عنده ، والحال أني كما ألجأني إليك ليبلوك بي بلاني (٣) بك . وولّى وهو يقول :

من شاء يلقى الذلّ في دهره معولّ إلا على صبره

فالتفت أبو الأسود إلى أصحابه معتذراً وقال : لو أطَعْنا السؤّال في أموالنا لصرنا إلى أسوأ حال منهم . فقال أحدهم : ألا تنفق من مالك وهو عريض ؟ فقال : الدهر أعرض منه . قال : أفترجو أن تعيش الدهر ؟ قال : ولاأتيقن أن أموت في أوله(٤) .

قال القاضي : شُحٌّ غلب على أبي الأسود مع صحبته لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ونظره زهده ، وسماعه تزهيده لشحّ هالع ، وقد قال رسول

---

(٢) الهمّ : الفاني . (٣) في الأصل (كما بلاني . .) .

(٤) ينظر عيون الأخبار ٣١/٢ ، والتذكرة الحمدونية ٣١٥/٢ .

(٥) سنن أبي داود - الجهاد ٢٦/٣ ، والمسند ٣٠٢/٢ ، ٣٢٠ ، والمصنف لابن أبي شيبة ٩٨/٩ .

(٦) الخميم : المادح المثني . والصفد : العطاء . وجاثاه : أجلسه بإزائه على ركبتيه .

الله ﷺ :« شرّ مافي الرجل شحّ هالع ، وجبن خالِع »(٥)

قال القاضي : من جمع بين هذين فالعدَم به أولى ، وهو من الذمّ أدنى، وفيه يقول الشاعر :

فتىً إنْ يَرْضَ لم ينفعك يوماً — وإن يغضبْ فإنّك لاتبالي

وأما جدال أبي الأسود عن البخل ، فإنّ حسن البخل عند البخلاء كحسن السخاء عند الأسخياء ، ولذلك قال بعض الشعراء :

أصون مالي بجهدي أن أغربّه — لابارك اللهُ بعد المال في الحسبِ

يصحّ مالي فيغنيني وينعتني — خيراً ، وأنفع لي من صحّة النَّجب

لاتغبِطنّ حسيباً ماله نَسَبٌ — لاخير في حسبٍ إلا مع النسب

لو لم يكن ليَ مالٌ لم يطأ أحدٌ — بابي،ولم يعرفوا مجدي ومجدَ أبي

ياقاتلَ اللهُ قوماً لاعقولَ لهم — يُفنون أموالهم في اللهو والطرب

اشدُدْ يديك بما تحوي وضنَّ به — لايجمع المالَ إلا كلُّ ذي أدَب

فإن أتاك خميم يبتغي صَفَداً — فجاثِه دونَ ماتحوي علي الركب(٦)

وقال آخر – وهو بمعنى قول أبي الأسود في ذاك :

---

(٧) وهو عمرو بن الجموح أو بشر بن البراء . والخبر في عدد من المصادر ، منها المعجم الكبير ٨١/١٩ ، والمستدرك ٢١٩/٣ ، وفتح الباري ١٧٨/٥ ، والازدهار ٣٠/٢٩ ، وفي حواشيه مصادر أخرى ، ومابين المعقوفتين من المصادر .

من لم يَصُن نفسَه ويكرمُها بحفظ مافي يديه من وَرِقِه
وأنفقَ المال مُسْرِفاً خَرِقاً غدا بطوقِ الهوان في عنقه

قال القاضي : هذا غلط من البخلاء شديد ، ولاسؤدد لأحد حتى يعاصيه جوده . وقال النبي ﷺ حين وفد عليه بنو سلمة : « من سيّدكم يابني سلمة ؟ قالوا : { الجدّ بن قيس على بخل فيه . قال : بل سيّدكم } الجعد الأبيض »[٧] نفى السؤدد عن البخيل ، وأثبته للكريم .

قال بعض الشعراء :

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المُفْضَى إليه المعمَّمُ
ولم يُولِهم خيراً أبوا أنْ يَسودَهم وهان عليهم زعمُه وهو أظلمُ

وقال آخر :

قال البخيل : أنا أسود عشيرتي بدراهمي وبكسوتي { ومراكبي
فأجابه أدنى العشيرة كلها نسباً إليه:في حَرِ أم} الكاذب [٨]

والصواب مع القائل :

أحتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتال

(٨) التكملة من الدر المنضود ق ٣٨ أ .
(٩) البيت دون نسبة في الفاضل ٣٤ ، والعيون ٣/١٨١ ، والعقد ٣/١٠٧ .
(١) نقل أبو الفرج خبر زياد مع عمر عن ابن أبي الدنيا . الأغاني ١٤/١٠٤ ، وهو في التذكرة الحمدونية ٢/٣٤٢ . وزياد الأعجم شاعر مشهور ، توفي حوالي سنة ١٠٠هـ ، من بني عبد القيس

وقال آخر :

لمّا رأتــنــيَ أوفــي المــالَ طــالــبَه ... ولاأبالي تِلاداً كـــان أو طَرَفـــا

َعدَّتْ سماحيَ تبذيراً،ولسْت أرى ... إعطائى المالَ تبــذيراً ولاسَرَفــا

ويكفي من هذا القائل :

أنت للمالِ إذا أمسَكْتَه ... فإذا أنْفَقْتَه فالمالُ لك (٩)

* * *

أو مولى لهم ، اختلف في اسم أبيه . ينظر الشعر والشعراء ١/ ٤٣٠ ، ومعجم الأدباء ١١/١٥٢ .

الخبر الثالث والأربعون

وبالإسناد[1] : أن زياداً الأعجم كان كثير الانقطاع إلى عمر بن عبيد الله بن معمر قبل ولايته ، فلما ولي فارسَ خرج زياد إليه ، وأنشده قصيدة قال فيها :

فمازلتُ أدعو الله في السرّ أنْ أرى ... أمورَ معدّ في يديك نظامُها

فقال عمر : قد كان ذلك والحمد لله . وقال زياد :

فلمّا أتاني ماولِيتَ تباشَرَتْ ... بناتي ، وقُلْن العام لاشكّ عامُها

فقال عمر : هو ذلك إن شاء الله . فقال زياد :

وإنك مثلُ الشمس لاستِرَ دونَها ... فكيف أبا حفصٍ عليك ظلامُها

فقال عمر : لاعليك . فقال زياد :

فلا أكُ كالمُجْرى إلي غير غايةٍ ... يُرجّي سماء لم يَنَلْه غمامُها

فقال عمر : ليس كذلك ، ثم أفاض على زياد ، وأعطاه ماتمنّى .

وعمر بن عبيد الله بن معمر القرشي ، من أجواد العرب وأمرائهم ، توفي سنة ٨٢هـ . ينظر تاريخ دمشق ٣٣٥/١٣ (والخبر ٧١) .

(٢) إسحق أديب لغوي ، له قصص ونوادر مع الخلفاء ، توفي سنة ٢٣٥هـ ، ينظر وفيات الأعيان٢٠٢/١ .

(٣) الأغاني ٧٧/٥ ، وتاريخ بغداد ١٠/١٤ - عن التنوخي ، والإنباء ٧٧ ، والوفيات ٢٠٣/١ .

قال القاضي : عادة الكرام تصديق المادح في مقاله تحقيقاً لظنّه ، ولو أجحف بأموالهم . فمن ذلك ماروي أن اسحق بن إبراهيم الموصلي(٢) وفد على الرشيد ، فأنشده :

وآمرةٍ بالبخلِ قُلْتُ لها اكففي فذلك شيء ما إليه سبيلُ
أرى الناس خُلاّنَ الجواد ،ولاأرى بخيلاً له في الأكرمين خليل
وإني رأيت البخل يُزريه أهله فأكرمْتُ نفسي أن يُقال : بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمْته إذا قال خيراً أن يُقال نبيلُ
فعالي فعال الأكرمين تجّملاً ومالي - كما قد تعلمين - قليل
وكيف أخاف الفقر أو أُحرمُ الغنى ورأيُ أمير المؤمنين جميل(٣)

فقال الرشيد : لاتخف إن شاء الله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال : للّه دَرُّك ياإسحق ، ماتزال تأتينا بأبيات ماأشدّ أصولَها ، وأحسن فصولها ، وأقلّ فضولها .

فقال الموصلي : ياأمير المؤمنين ، هذا خيرٌ مما جئتُ به ، فضحك الرشيد ، وأمر له بعشرة آلاف أخرى .

* * *

(١) عيون الأخبار ٣٩٧/١ ، وقريب منه في الفاضل ٨٩ ، والمصون ١٤٠ ، وتاريخ دمشق ٥٠٨/١٠ .

(٢) البيتان لعقيل بن عُلّفة المرّي - الحماسة ٥٧٣/١ ، وفيه مصادر .

الخبر الرابع والأربعون

وبالإسناد عن عمرو بن العاص أنّه كان يقول إذا رأي عبد الملك بن مروان[1] : سيكون لهذا الفتى شأن عظيم ، وسلطان جسيم . فقيل له : وماذاك : قال : لأني رأيته آخذاً بأربع ، وهي المناقب ، وتاركاً لأربع ، وهي المثالب . فقيل له : وماذاك ؟ قال :

رأيته يأخذ بأحسن الحديث إذا حَدّث ، وأجمل الاستماع إذا حُدّث ، وأيسر المؤنة إذا خُولف ، وأحسن البشر إذا لقي .

تاركاً لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، ومماراة السفيه ، ومصاحبة المأفون . وكان الأمر كما قال ، ونال عبد الملك مانال .

قال القاضي : تحت كلّ خصلة من هذه الثماني الخصال معنى محمود :

أما الأخذ بأحسن الحديث ، فقصد مايوافق من يحدّثه ، لأن ذلك أيسر للجليس ، وأجمل للأنيس ، وقد جاء في ذلك نثر ونظم : أما النثر فروي عن بعض السلف أنّه قال : لاتَلْقَ العالِمَ بالجهل ، ولا الجاهل بالعلم ، فإنّك إن فعلت ذلك آذيت جليسك .

---

(٣) في الأصل (طول غربة .. تشاكله) وصوب من المصادر .

(٤) البيان والتبين ١/ ٢٤٥ ،وعيون الأخبار ٣/ ٢٤ ،وبهجة المجالس ١/ ٥٤٠ ،وشرح النهج ١٨/ ١٠٨ .

ورُوينا عن بعض الصحابة أنه قال : يُثبت لك الودَّ في قلب أخيك أن تبدأه بالسلام ، وتوسّع له في المجلس ، وتدعوه بأحبّ الأسماء إليه . وكَفى بالمرء عيباً أن يكون فيه أحد ثلاث : أن يبدو له من أخيه مايخفى عليه من نفسه ، وأن يعيب شيئاً ثم يأتي بمثله ، وأن يؤذي جليسه بمحادثته بما لايعنيه .

وأما النظم فقال بعض الشعراء في ذلك :

وللدَّهر لبسات فكُنْ لابسًا له كملْبَسه يوماً أجدَّ وأخلقا

وكن أكيس الكَيْسى إذا مالقيتهم وإن كُنْتَ في الحمقى فكن أنت أحمقا[٢]

وقال آخر :

وأنزلني طول النّوى دارَ غُرْبةٍ متى شئت لاقيْتُ امرأً لا أشاكلهُ[٣]

أحامِقُه حتى يقالَ سجيّة ولو كان ذا عقلٍ لكنت أعاقله[٤]

وأما إجمال الاستماع فمنه أن يظهر للمحدّث إعجاباً بحديثه ، وإن لم يكن كذلك ، وأن يُقبل عليه ، ولايتشاغل عنه ، وأن يقضي على

---

(٥) هكذا في الأصل . (٦) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٧) سنن الترمذي – صفة القيامة ١٩٧/٧ ، وسنن ابن ماجه – الفتن ١٣٣٨/٢ ، وصحيح سنن ابن ماجه ٣٧٣/٣ .

(٨) البيت لبشار – ديوانه ١٥٠/١ ، وعيون الأخبار ٢٨٤/١ ، وجمهرة الأمثال ١٤١/١ .

ماسال[٥] من حديثه ، ولايشعره بأنّه مالّ . وإنّما حسُن ذلك لأن الإخلال به يضعف نفس المحدّث وينفّره من فعاله ، وليس ذلك بكرم خلق ، ويكفي في ذلك قول الله تعالى لنبيه ﷺ : { **ولو كُنْتَ فظّاً غليظ القلب لانْفَضّوا من حولك فاعفُ عنهم واستَغْفِرْ لهم** }[٦] وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المؤمن الذي يُعاشر الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لايعاشرهم »[٧] ومن ذلك قول الشاعر :

أعرِضْ عن العوراءِ إنْ أُسْمِعْتَها واقْعُدْ كأنّك غافِلٌ لم تسمع[٨]

وقال آخر :

قُل مابدا لك من زُورٍ ومن كَذبٍ حِلمي أصمٌّ وأذني غيرُ صمّاءِ

وقال آخر :

لن يُدركَ المجدُ أقواماً وإن عظُموا حتى يذلُّوا-وإن عزُّوا- لأقوام

ويُشتموا ، فترى الألوان مُسْفِرةً لا صفحَ ذُلّ ولكن صفح أحلام

"وأيسر المؤنة إذا خولفَ " ، فالإخلال بذلك يؤدّي إلى المِراء والمنازعة ، وسنوردُها فيما بعد .

---

(٩) ديوان زهير ١٤٢ . (١٠) البيتان من قصيدة للخريمي ،وقد نُسب في بعض المصادر لحاتم ، ينظر ديوان الخريمي ١٢ ، وديوان حاتم ٣٠٩ .
(١١) البيت لسابق البربري كما في بهجة المجالس ٥٣٨/١ .
(١٢) الكتاب ٢٧٩/١ ، وأخبار الزجاجي ٢١٩ دون نسبة ، وهو في الخزانة ٦٤/٣ ، للفضل بن

وأما قوله : « وأحسن البِشر إذا لقي » فبالبشر تتألّف النفوس ، وبضده ينفر الجليس الكريم في الإنعام إذا لم ينله مع الإكرام ، وقد أكثر الشعراء في ذلك . قال زهير :

إذا حيَّيْتَه يوماً تهلَّلَ وجهُه كأنّك تُعطيه الذي أنت سائِلُه[٩]

وقال آخر :

اسْمَحْ بنفسِك في اللقاء فإنّما أنْسُ القلوبِ بكل ثغرٍ ضاحكِ
واقضِ الحقوقَ الواجباتِ فإنما تركُ الحقوقِ مذلّة للتاركِ

وقال آخر :

أُضاحكُ ضيفي قبلَ إنزال رَحلِه ويخصُبُ عندي ، والمحلُّ جديبُ
وليس قِرى الأضياف أن تخصب القرى ولكنّما وجه الكريم خصيبُ[١٠]

وأما قوله : «تاركاً لمحادثة اللئيم ومصاحبة المأفون»،فهما متقاربان ، والمأفون : الأحمق ، كأنه أفن عقله : أي استخرج منه . وكفى في ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم - لعنه الله - ودخل عليه ابنه الحسن باكياً ، فقال : مايُبكيك يابني ؟ قال : كيف لاأبكي وأنت في آخر يوم من أيام الدنيا ، وأوّل يوم من أيام الآخرة ! قال : يابنيّ ، احفظ عنّي

عبد الرحمن القرشي .

(١٣) هكذا (فلم أرضاهما) دون حذف حرف العلة لضرورة عروضية ، وقد يصوب إلى (فلا أرضاهما) .

أربعاً وأربعاً ، لايضرّك ماعملت معهنّ ، قال : ياأبت وماهنّ ؟

قال : إنّ أغنى الغنى العقل ، وأفقر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكسب الحسب حسن الخلق .

قال : ياأبت ، هذه أربع ، فأعطني أربعاً .

قال : يابني ، إياك ومصاحبة الأحمق ، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك ، وإياك ومصاحبة الكذّاب ، فإنه يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب ، وإياك ومصاحبة الفاجر ، فإنه يبيعك بالتافه الحقير ، وإيّاك ومصاحبة البخيل ، فإنّه يقعد عنك أحوج ماتكون إليه .

وقد بالغ في ذلك القائل :

ولئن يعادي عاقلاً خير له   من أن يكون له صديقٌ أحمقُ(١١)

وأما قوله : « ومنازعة اللجوج ومماراة السفيه » فهما سواء ، ولايجدي ذلك جدا ،إنما هو تعب وضيق صدر من غير اكتساب شكر ولاأجر. قال بعضهم :

وإياكَ ، إياكَ المراء فإنه   إلى الشرّ دعّاء وللشرّ جالِبُ(١٢)

---

(١) ينظر خبر قدوم جعفر علي معاوية في مروج الذهب ٣/٣٦ ، وشرح النهج ١١/٢٥١ ، والسير ٣/١٠٠ .

(٢) الخبر في شرح النهج ١١/٢٥٢ عن المدائني باختلاف في بعض العبارات .

وقال آخر :

إذا أنتِ جاريْتَ السفيه كما جرى فأنت سفيه مثله ، غيرُ ذي حلم
فلاتُغْضِبَنْ عِرضَ السفيه ودارِه بحلمٍ ، وإن أعيا عليك فالبصَرْم
وغُمٌّ عليه سرٌّ أمرِك والقَه بمنزلةٍ بين العداوة والسِّلْمِ

وقال آخر :

أما المُزاحة والمِراءَ فدعْهما خلقان لاأرضاهما لصديقِ
إني بَلَوْتهما فلم أرضاهما لمجاورٍ جارٍ ولا لرفيق (١٣)

* * *

(٣) وهذه أيضاً من تطاول المؤلف على معاوية رضي الله عنه .
(٤) الحجا : العقل . والأولق : الجنون .

الخبر الخامس والأربعون

وبالإسناد(١) : أن عقيل بن أبي طالب وفد على أمير المؤمنين عليه السلام ، فأمر له بمائتي درهم،ثم وفد على معاوية فأمر له بمائة ألف درهم . قال : كيف رأيت عطيتنا من عطية عليّ ؟ فقال عقيل : على خير لي ولنفسه في دينه ، وأنت خير لي في دنياي .

ثم خرج(٢) ، فلقي جارية أعجبته ، فساوم فيها بأربعين ألف درهم ، ورجع إلى معاوية فسأله ثمنها ، فقال له معاوية : ولم تشتري بأربعين ألفاً؟ فقال له عقيل : لتلد غلاماً إذا كلّمته علا مفرقَك بالسيف . فضحك معاوية ، وأمر له بما سأل .

فولدت هذه الجارية لعقيل ابناً اسمه مُسلِم ، وصار رجلاً ، فابتاع منه معاوية أرضاً ، ونقده ثمنها ، فبلغ ذلك الحسين بن علي عليه السلام ، فقال : يامعاوية ، إنّا لا نجيز بيعَ مُسْلِم ، فارددْ علينا ضيعَتنا . فأرسل معاويةُ إلى مسلم أن اردُد علينا مالنا ، واقبض ضيعتك ؛ فإن حُسيناً أبى أن يُجيز لنا بيعتك . فقال مسلم : والله مادون أن أردد إلاّ أعلو مَفْرِقَك

(١) الخبر في كتب الأمثال ، في « تجوع الحرة ولاتأكل بثَدْييها » : الأمثال لأبي عبيد ١٩٦ ، والفاخر ١٠٩ ، والمحاسن والمساوىء ١٣٥ ، وجمهرة الأمثال ١/٢٦١ ، ومجمع الأمثال ١/١٢٢ ، والمستقصى ٢/٢٠ .

بالسيف . فضحك معاوية وقال : كان أبوك هدَّدنا بك قبل أن يشتري أمَّك ثم سوّغه الضيعة والمال . فبلغ ذلك الحسين فقال : غَلَبَنا معاوية حِلماً وجُوداً .

قال القاضي : لم تكن عطيّةُ عليٍّ بُخلاً ، ولكن عدلاً ، لأنّه لم يكن بيده إلا مال الله . ولم يكن لينفقه في غير صلاح الدين ، وسدّ فاقة المحتاجين . وأما معاوية فلم يكن يفعل في مال الله مثل ذلك ، بل يدفعُ به عن ملكه خوف التطاول إليه ، والوثوب عليه [٣] .

ومال أكثر الناس إلى السعة في الدنيا ، ولهذا ترك عقيل أخاه ولحق بمعاوية ، وقد أكثر الشعراء في ذلك ، فقال بعضهم :

والناسُ أعينُهم إلى سلب الغِنى لايسألون عن الحجا والأولقِ [٤]

وقال آخر :

إخـوان هذا الزمـان كلُّهم إخوان سوءٍ عليه قد غُلبوا
أخـوهم المستـحقُّ وصْلَهُمُ من أكلوا عنده ومن شرِبوا

وأمثال ذلك كثير .

* * *

(٢) الجحجاح : السيد . والمياح : الكريم المعطاء . (٣) الطمّاح : الشره .
(٤) يعتلجون : يتصارعون . (٥) هنا ينتهي الخبر في المصادر السابقة .

الخبر السادس والأربعون

وبالإسناد[1] : أن الحارث الأسدي أتى علقمة الطائي ، وكان حليفاً له ، فنظر إلى ابنة له يقال لها الزبّاء ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، فأعجب بها ، فقال لأبيها : أتيتك خاطباً ، وقد يُنكح الخاطب ، ويُدرِك الطالب ، ويُمنح الراغب ، وكان شيخاً ، فقال له علقمة : أنت امرؤ كريم ، أقم ننظرْ في أمرك .

ثم انكفأ إلى أمها فقال : إن الحارث الأسدي سيد قومه حسباً ومنصباً فلا يرجعَنّ إلا بحاجته ، فراودي ابنتك عن نفسها في أمره . فقالت لابنتها: أي بنية ، أيُّ الرجال أحب إليك الكهل الجحجاح ، الواصل الميّاح[2] ، أو الفتى الوضّاح ، الذّهول الطمّاح[3] الرضيّ النكاح ؟ قالت : بل الفتى الوضّاح . قالت الأم : الفتى يُغيرك ، والشيخ يَميرك . قالت البنت : ياأمتاه ،إن الفتاة تحب الفتى كحبّ الرّعاء أنيق الكلا . قالت الأم : يابنيّة ، إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت البنت : ياأمتاه ، أخشى الشيخ يدنّس ثيابي ، ويُبلي شبابي ، ويُشمت بي أترابي . فلم تزل بها أمُّها

---

(٦) الكلمة غير واضحة القراءة في الأصل . ومن أمثال العرب « تطلب أثراً بعد عين » يضرب لمن تبع أثر شيء بعد فوته . ينظر المجمع ١/١٢٧ .

(٧) اللجين : الفضّة .

(٨) البيت في الأغاني ١٢/١٦٨ لمحمد بن حازم الباهلي ، وهو في عيون الأخبار ٤/٤٧ ، والبهجة

حتى غلبتها على رأيها .

وتزوجها الحارث على خمسين ومائة من الإبل وخادم وألف درهم ، فبنى بها ، ثم رحل إلى قومه . فبينما هو جالس يوماً بفناء قومه وهي إلى جانبه ، إذ أقبل شباب إلى محلّ بني أسد يعتلجون[٤] ، فتنفّست الصُّعداء ثم أرْخَت عينيها بالبكاء ، فقال لها : مايبكيك ؟ قالت : مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ، قال الحارث : ثَكِلَتْك أمُّك ، « تجوع الحرّة ولاتأكل بثَدييها » أما - وأبيك - لربّ غارةٍ شهدتها ، وسبيةٍ اردفتها ، وخيلٍ قَدَعْتها ، الحقي بأهلك ، لاحاجة لي فيك ، وأنشأ يقول :

تهزّأَتْ أنْ رَأتْني لابساً كِبَراً ... وغايةُ الناس بينَ الموت والكِبَرِ

فإن بقيتِ لقيتِ الشيبَ راغمة ... وما تعرّفه الأيامُ من عِبَرِ

وإن يكن قد علا رأسي وغيَّره ... صَرْفُ الزمان بتغييرٍ من الشَّعَر

فقد أروح للذّات الفتى جَذِلاً ... وقد أصيبُ بها عيناً من البقر

عنّي إليك ، فإني لايوافقني ... عُورُ الكلام ولاشربُ على الكدَرِ[٥]

وقال أيضاً :

٢/ ٥٠ دون نسبة .

لاتَطْلُبَنْ أثـــراً بـــعـــينِ فـالشـيب إحـدى السَّوأتين[٦]
أبدى مــفــاتِحَ كلّ شَين ومــحــا مــحــاسنَ كلّ زَين
فــإذا رأتك الغــانيــا تُ رأيْن مــنــك غُراب بَين
ولقــد تكون بوصلهــ ـنّ وَقــربهنّ قــريرَ عين
أيام عــمَّك الســوا دُ وأنت سَهل العــارضين
حــتى إذا اخــترجَ البيــا ضُ وصرت بينَ غــمــامتين
ســوداءُ كــالحــةٍ وبيــ ضــيــاءً تَهلّل كــاللجين[٧]
ولَّيْن مــنــك نــوافراً وَقَصَرْن لحْظ الْمُقْلــتــين

قال القاضي : قد أكثر الشعراء من كراهية النساء الشيب ، إلا أنّا نورد مما لم يخلقه التدوال ، ومنه قول بعضهم :

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ وبالشباب شفيعاً أيها الرجل[٨]

وقال آخر :

أحلى الرجال من النساء مواقعاً من كان أشبههم بهنّ خُدودا[٩]

---

(٩) البيت لأبي تمام – ديوانه ١/ ٤١٠ ، وعيون الأخبار ٤/ ٤٤ ، والبهجة ٢/ ٥٢ .
(١٠) لم يرد في ديوان الإمام الشافعي .
(١١) البيتان لدعبل الخزاعي ، ديوانه ٥٤ ، والأغاني ١٨/ ٤٧ .
(١٢) كتب الشطر الأول (عدي بيتي ولايرعك شواهدي) وهو غير مستقيم .
(١٣) ديوان ابن مقبل ٣٦٨ ، في الأبيات المختلف في نسبها إليه ، وذكر المحقق المصادر ، والعُصْل جمع أعصل : المعوج القوي ، والموقحة : الشديدة .
(١٤) البيت ليس في ديوان الفرزدق ، وهو له في الشعر والشعراء ١/ ٤٩١ ، وعيون الأخبار ٤/ ٥٢

وبكى جماعة الشباب لذلك ، فقال الشافعي :

ابيضّ رأسيَ بعدَ حسنِ سوادهِ ودعا المشيبُ حليلتي لبُعادي
فاستحسنِ القرنَ الذي أنا منهُم وكفى بذاك دلالة لحصادي[10]

وقال آخر :

دَعْه إن لم تُعنِه يبكي الشبابا حَجَبَتْه الفتاةُ إذ قيل شابا
صار عمّاً لها وكان ابن عمٍّ ساء ماأحدث المشيبُ انتسابا

واعتذر قوم من شيبهم ، فقال بعضهم :

لقد عَجِبَتْ سلمى ، وذاك عجيبُ رأتْ بي شيباً ، عجَّلَتْه خُطوبُ
وماشيبتي من كبرةٍ غيرَ أنني بدهرٍ به رأسُ العظيم يشيبُ[11]

وقال اخر :

. . . . فالله يعلم إنني لصغير[12]
جار المشيبُ فما أتى في وقته والشيب يعدل تاره ويجور

ودون نسبة في شرح المقامات ٢٦/٣ . (١٥) ديوان ابي تمام ١١٠/١ . والقتير : ابتداء الشيب .
(١٦) في الأصل (وكراهية ذوات الشيبة لذوات الشيب) .
(١٧) البيت في المحاسن والاضداد ١٣١ ، وعيون الأخبار ٤٥/٤ ، ونشر الدر ٥٧/٤ ، والبهجة

وقال ابن مقبل :

ماشِبْت من كبرٍ ولكّني امرؤٌ ... عالَجْتُ قَرْعَ نوائبِ الدهر

فرأيتها عُصْلاً موقّحة ... عزّتْ ، فما تُسْطاع بالكسر

فلذاك صِرْتُ مع الشبيبة نازلاً ... في غير منزلتي من العمر[١٣]

وقال الفرزدق :

تفاريق شيب في السواد لوامعٌ ... وماخيرُ ليلٍ ليس فيه نجومُ [١٤]

ولأبي تمام :

ولايؤرّقْكِ إيماضُ القتير به ... فإن ذاك ابتسامُ الرأي والأدب [١٥]

قال القاضي : وكراهية ذوات الشبيبة { لذوات الشيب ككراهية ذوي الشبيبة } لذوات الشيب[١٦] ، تساوَوا في ذلك حتى لاتميز لأحد الفريقين على الآخر . وقد نظم ذلك بعض الشعراء فقال :

أرى شيبَ الرجال من الغواني ... بموقع شيبهن من الرجالِ[١٧]

٥٢/٤ دون نسبة .

(١٨) عيون الأخبار ٤٤/٤ ، والكامل ١٨٢/١ ، والعقد ٤٥٧/٣ ، والبهجة ٥٠/٢ .

(١٩) ديوان أبي الأسود ١٤٥ . والسحق : البالي . واليماني : العصب المنسوب إلى اليمن .

(١) في الأصل (ابن عبد الملك) وفي سائر المواضع (عبد الملك) .

(٢) لم يرد البيت في الأصل . (٣) الوِقْر : الحمل .

(١) مرت ترجمته ص ١٣٠ .

وقد أكثر الشعراء في ذم العجائز ، فمن ذلك قول بعضهم :

عـجـوزٌ تَرَجَّى أن تكونَ صـبـيّةً   وقـد لحـد اللّحـيـان واحْدَوْدَب الظهـرُ
وتغدو إلى العطار تُصلح شأنَها   وهل يُصلحُ العطّارُ ماأفسد الدهرُ(١٨)

واعتذر أبو الأسود من حبّ عجوز ، فقال :

أبى القلبُ إلا أمّ عـمـرو وحبّهـا   عـجوزا ، ومن يُحببْ عجـوزاً يُفَنَّدِ
كسَحق اليماني قد تقادم عهدُهُ   ورقعتُه ماشئت في العين واليد(١٩)

وقال شيخ عجوز :

قـالَتْ وقـد راعَهـا مـشـيـبي   كنتَ ابن عمّ فـصِرْت عـمّا
فـقُلتْ : لاتعـجـبي لهـذا   قـد كنتِ بنتـاً فـصـرتِ أمّا

قال القاضي : وأما قول الحارث في الحديث الذي قدّمْناه : « تجوع الحرّة ولاتأكل بثدييها » فمعناه : لو كنتِ حرةً لصبرت على ماتكرهين ، فإن الحرّة إذا جاعت صبرت على الجوع ، ولم تأكل بثدييْها : أي تستخف بنفسها في أخذ الأجرة على الرضاعة .

* * *

---

(٢) العتابي - كلثوم بن عمرو : شاعر بليغ مجيد ، توفي سنة ٢٢٠هـ ، ينظر الشعر والشعراء ٨٦٣/٢ ، والأغاني ٤/١٢ ، وتاريخ بغداد ٤٨٨/١٢ .
وقد ورد جزء من الخبر في مروج الذهب ٤٢٦/٣ ، والأغاني ٧/١٢ .
(١) في الموشى ٦٧ أن عبد الملك بغض بعض عماله .. وذكر الخبر قريباً مما هنا .

الخبر السابع والأربعون

وبالإسناد : أن عبد الملك[1] بن مروان كانت له ناقة يعجب بها ، ويشرب لبنها ، فخرج في بعض أيامه ليتنزّه ، وأخرجها معه ، وأمر من يحلبها بين يديه . فبينا هي تحلب ، إذ أقبل أعرابي فقام ينظر إليها ، فقال له عبد الملك : مالي أراك قائماً ، أعجبتك الراحلة ؟ قال : أجل . قال له : فقل بيتاً من الشعر وخذها . فأنشأ الأعرابي يقول :

.... [2]

قال عبد الملك : خذها ياأعرابي . فقال : ووِقرها[3] ياابن الكرام بُرّ، فأمر له بوقرها . فقال : وجبّة ، إني أخاف القَرّ . فأمر له بجبة . فقال : وألف دينار خيار حُمر . فأمر له بألف . فقال : ومثلها كيما يكون جرّاً . فأمر له بناقة أخرى موقّرةُ برّاً ، وجبّه ثانية ، وألف دينار . فأخذ الكلّ وانصرف .

قال القاضي : الطمع في الأعراب كثير ، وفيه معاياة عنهم جمّة ، ومن أطرفها ما روي عن الأصمعي أنه قال : خرجت يوماً إلى البادية ،

---

(٢) المقدّمة : نوع من الامتشاط .

(٣) اللبنة : رقعة تزاد في الثوب لتوسعته .

(٤) في الموشى ٦٧ لأبي عبد الله الواسطي ، وهما في زهر الأداب ٢/٧٢٦ لنفطويه .

ومعي لوح لأكتب فيه ماأسمع من نادرة ، فإذا أنا بأعرابي ينشد بيتين ، فعدوت إليه ، واستخرجت اللوح من كُمّي وقلت : أكتبني البيتين ، فقال : أنسيتهما ، فعلمت طمع الأعرابي ، ففتحت من ثوبي خمسة دراهم وسلمتها إليه ، وقلت : خذها وتذكّر البيتين ، فأخذها وقال : ذكرتها وربِّ الكعبة ، اكتب :

يامن تبدَّلَ بي ، وخان مودّتي ... مللاً ، وحال ، وكنت فيه أحْوَل
كم من عتابٍ لو رأيتك خالياً ... بيني وبينك نشرُه لم يُطْوَل

* * *

الخبر الثامن والأربعون

وبالإسناد عن يحيى بن أكثم[1] قال :

كنت يوماً عند المأمون ، فلما خرجت من عنده ، وصرت إلى الدهليز ، قام إليّ رجل وقال : أيها القاضي ، استأذِنْ لي أمير المؤمنين . فقلت له : ويحك ، لقد أخطأ حَزْرُك فيّ ، فما أنا بحاجب فأستأذن لك ، ولاتعوّدت سرعة رجوعي إلى أمير المؤمنين بعد خروجي عنه . فقال : يايحيى ، النعَم محروسة بالبرّ ، مهنأة بالشكر ، محفوظة بالإحسان ، فإن تلقيت إحسان الله إليك بإحسانك إلى خلقه كان حرّياً أن يتممّها ويديمها ، وإلا كان قادراً قاهراً أن ينزعها منك ، ثم لايردّها إليك . قال يحيى : فلما سمعت كلامه ثنيت رجلي عن ركابي،ثم نزلت فقلت له : ومن أنت ؟ قال : العتابي[2] .

فدخلت على المأمون ، فقال : يايحيى ، ماردّك على قرب عهدك ؟ قلت : كلام سمعته من رجل ببابك . فقال : اروه يايحيى ، فأعدت عليه الكلام ، فرأيت دموعه تنحدر على لحيته ، ثم قال لخادم بين يديه { أدخله ، فلما دخل قال له المأمون } هات الكلام الذي قلته ليحيى. فأعاده العتابي ، فلما استتمه أنشأ يقول :

(٥) الأبيات لنفطويه في تاريخ بغداد ٦/١٦١ ، وإنباه الرواة ١/١٧٧ ، في ترجمته .
(٦) الحديث في سنن الترمذي - الرضاع ٤/١٥٢ ، والفتن ٦/٣٣٣ ، وقال : حسن صحيح .
(٧) ديوان أبي نواس ٧٢٥ .

تخـيـرّ قـريبـاً من فـعـالك إنما قـرينُ الفتى في كلّ ماكان يفعل

ولابُدّ قــــبـل الـموت مما تـعُدُّه ليــوم يناديك المنادي فـتــســأل

فإنْ كُنْتَ مشغولاً بشيء فلاتكنْ بغـيـر الذي يرضى به اللهُ تُشـغلْ

ألا إنما الإنســان ضــيفٌ لأهله يُقــيم قليــلاً عندهم ثم يرحلُ

فبكى المأمون بكاء شديداً ، ثم قال لخادمه : عليّ بالنقّاشين . فجيء بهم ، فـقـال : انقـشـوا هذا الكلام وهذه الأبيـات على وجـوه الأسـرّة لـتكون نصب عيني ، ففعلوا ذلك . وكان العتابي بعد ذلك أوّل داخل على المأمون وآخر خارج من عنده ، ولم يُرَ المأمون منذ سمع كلامه على شيء يُكره منه حتى لحق بالله .

قـال القـاضي : كلمـات العـتّابي هذه مـأخـوذة من مـعنى كـلام أمـيـر المؤمنين عليّ عليـه السـلام ، وهو قـوله « أيهـا الناس ، أفـشـوا المكارم ، وسارعوا إلى المغانم ، واشتروا بالجود حمداً ، ولاتكسبوا بالبخل ذماً . أيها الناس ، إنّ من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، فمن قام للّه فيها بحقها أوجبها للتمام،ومن كفر واجب حقّها عرّضها للزاول والفناء » .

* * *

الخبر التاسع والأربعون

وبالإسناد[1] : أن عبد الملك بن مروان غضب على وزيره خالد بن جعفر ، فقيّده وحبسه في خزانه إلى جانب مقصورة جاريته روضة ، فبينما هي ذات يوم مُشرفة على مشكاة لها إذ بصُرت به ، وهو يرسُف في قيده ، فأعجبها مارأته من نضارة وجهه ، فكتبت إليه على يد جاريتها خماسية بهذين البيتين :

أيها الزاني بعينيـ ـه وفي الطرف حتوفُ

دونك الوصل فقد أمـ ـكنك الظّبْيُ الألوفُ

فقرأ الكتاب وأجابها :

أنْ تَريْني زاني العيـ ـنين فالفرجُ عفيفُ

ليس إلا النَّظر السا حر والشعْرُ الظريفُ

فلما كان في اليوم الثاني كتبت إليه :

قـــــد وَصَلْناك علـى أن | تَصِل الـظبـيَ الألـوفـــــا
فـــتـــأبّيْت ، فـــلا زِلـْ | ـتَ لقـــيْدَيكَ حليـــفـــا

فردّ هو عليها أيضاً :

مـــــــــــاتـأبَّيـت لأنّي | كُنْتُ من ذاك عـــيــوفـــا
غــــيـــــر أني خُنتُ ربّاً | كـــان بي براً لطيـــفـــا

فأمسكت عن مكاتبته .

ثم إن عـبـد الملك دخل عليـهـا ذات يوم ليكتـحل ، فـقـدّمت إلَيـه المقدّمة[٢] ، وكـانت الرقـاع فـيـهـا ، فـعـرف خط الـوزير ، فـأخـرج الرّقـاع ، فجعلها في لَبِنته[٣] ، وخرج إلى مجلسه ، ثم أمر بخالد بن جعفر ، فـجيء به وهو يرسف في قـيـده ، فلما مـثل بين يديه قـال : السـلام عليك ياأميـر المؤمنين . فقال : وعليك السلام ياابن جعفر ، ماحملك على مكاتبة جاريتي من غيـر إذن مني ؟ قـال خـالد : ياأمـيـر المؤمنين ، لـيس العـجل من فـعل النبيل ، ولا الغضب من النصَف ، فاقصص الآثار تطلع على الأخبار ، انظر البدء ممن هو ، والجواب عمّن هو .

فـبـعث عـبـد الملك إلى روضـة ، فـجـيء بهـا وهي ترفُل في حليّهـا ،

فسلّمت عليه وقالت : البدء مني والجواب منه . فأنشأ عبد الملك يقول :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكونَ عن الحرام عفيفا
وإذا تنزّه عن محارم ربّه فهناك يدعوه الأنام ظريفا[٤]

ثم قال : ياخالد ، خذ بيد جاريتك ، بارك الله لك فيها ، فأخذها وانصرف .

قال القاضي : قد ذهب إلى طريقة خالد هذه جماعة من الشعراء ، وهي القناعة من الحبيب بالنظر والحديث دون ماعدا ذلك ، ومنه قول نفطويه حيث يقول :

كم قد خلوتُ بمن أهوى فيمنعُني منه الحياء ، وخوفُ الله،والحذَرُ
وكم ظفرت بمن أهوى فيُقنعني منه الفكاهة والتحديثُ والنظر
أهوى الملاحَ ،وأهوى أن أجالسَهم وليس لي في حرامٍ منهمُ وَطَرٌ
كذلك الحبُّ لا إتيانُ فاحشة لاخيرَ في لذّةٍ من بعدها سَقَرُ[٥]

قال القاضي : ليس هذا عفافاً ، لأن المحادثة والنظر إلى من لاسبيل إليه حُوب ، والعفاف اجتناب الحوب ، مع أن النظر داعية إلى الفاحشة ، فالصبر قبله ممكن ، وبعده متعذّر ، فلهذا قال النبي ﷺ : « لايخلون

رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان »[٦] .

قال أبو نواس :

وطرفي الذي قاد الفؤاد إلى الهوى

ألا إنّ طرفي - ماعلمت - مَشُومُ [٧]

* * *

الخبر الخمسون

وبالإسناد عن دعبل بن علي الخزاعي[1] ، أنه قال :

حججت أنا وأخي ، فلما قضينا الحجّ قصدنا مصر لزيارة المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي[2] ومعي كتب وشفاعات إليه ، وصحبَنا في الطريق أحمد السرّاج[3] ، فلم يزل يحفُّ بنا ويخدمنا حتى حسن موقعه عندنا ، وسُرِرْنا به ، وهو لايُظهر أنّه يُحسن قول الشعر ، فلمّا قربنا من مصر قلت لأخي : هذا الرجل قد وجب علينا حقُّه ، ولزمتنا حرمته ، فلو قلنا له شعراً ينشده المطّلب رجونا له نفعاً ، فعرضنا عليه ذلك ، فسُرَّ به قلبُه ، فقلْنا له قصيدة ، فلمّا صِرنا إلى مصر دَخَلْنا على المطّلب ، وأوصلنا إليه ، وأنشدنا أشعارنا ، ثم قلنا له : صحِبنا رجلٌ من أهل الظرف والأدب ومعه شعر ، ندخل به ؟ فأذِن له ، فأمر بإدخاله ، فدخل عليه ، فلما مثل بين يديه ، ترك قصيدتنا ، وأنشد :

لم آتِ مطّلِباً إلا بمُطّلَبٍ وهمةٍ بلغَت بي غاية النَّسَبِ

---

(١) دعبل شاعر مشهور ، متشيّع ، هجّاء ، مات سنة ٢٤٦هـ . ينظر : الشعر والشعراء ٨٤٩/٢ ، والأغاني ٣١/١٨ ، وتاريخ بغداد ٣٨٢/٨ ، وأخوه رزين بن علي . والخبر في الأغاني ٤٩/١٨ ، وينظر طبقات الشعراء ٣٠١ .

(٢) كان والياً للمأمون على مصر سنة ١٩٨هـ . ينظر الولاة وكتاب القضاة للكندي ١٥٢.

(٣) هكذا في المخطوطة والأغاني . وفي طبقات الشعراء أن الذي رافق دعبلاً أحمد بن الحجاج . وفي الفهرست ١٨٨ : أحمد بن الحجاج : أحد الشعراء المماليك المقلّين .

أفـــردْتُه برجـــائي أن تشـــارِكَه   فيٌّ الوســائلُ ، أو ألقــاه يالكُتُب

رحلت عيسي إلى البيت الحرام على   ماكـان من تعبٍ فـيـهـا ومن نَصَب

حتى إذا ماقضتْ نُسْكي ثنيتُ لها   عِطفَ الزّمـام ، فـأمّت سيـدَ العَرَب

ألقي بهـــا وبوجـــهي كلَّ هاجـرةٍ   تـكـادُ تَلْفَحُ بـين الجـلـد والـعَصَب

حـتـى أتَتْك وقـد ذابت مـفـاصِلُهـا   من طول مـــاتعَبٍ لاقَتْ ومن نَصَب

يا بُعْد مـاأكَلَتْ من غـيـر مـا عـدةٍ   وقـربَ مـاحَصلت من جـودِ مطَّلب

إني اسـتـجـرْت بإسـتـارين مُسْتَلِمـاً   ركنين : مُطلّبـــاً والركنَ ذا الحُجُب

فـــأنت للعـــاجل المرجـــوّ آجله   وذاك للآجل المرجـــو والعـــقب

هذا ثنائي ، وهذي مـصـرُ سـانحـة   وأنت أنت وقـد ناديت من كَثَب[٤]

فـمـا تمالك عـبـد المطلب أن قـال : لبّيك لبّيك ، ثم استـدنى الرجل ، وضمه إليه ، وأجلسه معه ، فما فارقه أيام حياته .

قـال القـاضي : قـوله « لم آت مطّلبـاً إلا بمطّلب » معنى حسن ، وقد تداوله الشعراء ، فمنه قول بعض العرب :

ياجودَ معنٍ ناد معناً بحاجتي   فمالي إلي معنٍ سؤالُ رسولِ[٥]

---

(٤) الأبيات في طبقات ابن المعتز ، والأغاني ، وديوان دعبل ٣٤٠ .

(٥) سبق ص ٥٣ .

ومنه قول أبي تمام :

من غير ماسبب ماض ، كفى سبباً   للحُرّ أنْ يعتفي حراً بلا سبب[٦]

ومنه قولي :

وكلٌّ ذي كرمٍ أعطى فعن سببٍ   إلا عليّا ، فأعطانا بلا سَبَبِ

* * *

(٦) ديوان أبي تمام ١/١١٥ ، ويعتفي : يطلب .

الخبر الحادي والخمسون

وبالإسناد عن الأصمعي أنه قال [1] :

دخلْت على الرشيد ، وعلى رأسه جارية مارأيت أحسن منها ولاأملح ، لها ذُؤابتان تضربان خصرها ، وقَصّة جعدة ، وهلال بين عينيها ، فقال : ياأصمعي ، ماتقول في هذه ، فقلت :

كنانيّة الأطراف ، سعديّة الحشا   هلاليّة العينين ، طائية الفم

لها حُكْمُ لقمانٍ،وصورة يوسفٍ   ونعمةُ داودٍ ، وعفَّة مريمِ

---

(١) الخبر كما هو هنا في العقد ٤٠٢/٦ . وروي بصور مختلفة في المصادر .
ففي عيون الأخبار ٢٧/٤ : قال أعرابي يصف امرأة :

خزاعية الأطراف ، مرّية الحشا   فزارية العينين ، طائية الفم

وفي الأغاني ١٦٧/٣ : كان أبو العتاهية ينشد لنفسه :

مرّت اليوم شاطره   بضّة الجسم ساحره

إن دنيا هي التي   مرّت اليوم سافره

سرقوا نصف اسمها   هي دنيا وآخره

ثم ذكر أبو الفرج أن الأبيات لأبي عيينة المهلبي . ولكن جامع ديوان أبي العتاهية ذكرها فيه ٢٢١ .
وفي أخبار أبي نواس ١٦٦ ذكر المؤلف له - ولم يضما إلى ديوانه المطبوع :

إن دنيا هي التي   على مهجة النفس قادرة

طلقوا نصف اسمها   هي دنيا وآخره

(١) المحاسن والمساوىء ١٩٤/٢ ، ووفيات الأعيان ٤٧٨/٣

فضحك الرشيد وقال :تدري مااسمها ؟ قلت : لا . قال : اسمها دنيا .

فقلت :

إنّ دنيـــا هي التي　　تســحــرُ العينَ ســافِره

ظلمـوها من اسـمـهـا　　هـي دنـيـــا وآخِره

فطرح عليّ رداء كان على ظهره ، فاشتراه منّي خالد بأربعة آلاف دينار ، اشتريت بها مائتي جِرْبة نخل .

قال القاضي : صفة الأصمعي هذه صفة الحضريّين العارفين بفنون الحسن ، وتفرّقها في القبائل ، وقد تصف الأعراب مع جهلهم بما قدّمناه ، فيملحون . رُوي أن أعرابياً نظر إلى امرأة بارعة الجمال ، فأنشأ يقول :

أوحشيّة العينين ، أين لك الأهلُ　　أبالحَزْن حَلُّوا ، أم مــحلُّهمُ السَّهْلُ

وأيّةُ أرضٍ أخـرجـتْك ، فـإنني　　أراك من الفِردَوس ،إن نُسب الأصلُ

فقفي خبّرينا : ماطَعِمْت وماالذي　　شَرِبْت ومن أين استـقلّ بك الرّحْلُ

لأنّ عـــلامـات الجنان مَبــينةٌ　　عليك ، وإن الشكلَ يُشبهُه الشَّكْلُ

أم البدرُ أنساك المنيرُ ، فإن يكُنْ　　لبــدر الدُّجى نَسْل ، فـأنت له نَسْلُ

* * *

الخبر الثاني والخمسون

وبالإسناد عن أحمد بن يوسف ، قال [1] :

دخلْت على المأمون ، وفي يده كتاب عمرو بن مسعدة[2] ، وهو يصوب في صحن الدار ويصعد ، ويقرأه ، ففعل ذلك مِراراً ، ثم التفت إليّ وقال : أحسبك مُنكِراً لِما رأيت . قلت : نعم . قال : رأيت كلاماً نظير ماأخبرني به أبي الرشيد . قلت : وماهو ؟ قال : البلاغة : القرب [3] من البغية ، والبعد [3] من حشو الكلام ، والدّلالة بالقليل على الكثير ، فلم أتوهّم أن الكلام يَنْسَبِك على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب .

فقال أحمد بن يوسف : كان في الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومن قِبَلي من أجناده وقوّاده في الطاعة والانقياد ، على أحسن ماتكون عليه طاعة جند ، تأخَّرتْ أرزاقُهم ، واختلَّتْ أحوالُهم ، والسلام [4].

---

(٢) عمرو بن مُسعدة أحد وزراء المأمون ، بليغ جزل العبارة ، توفي سنة ٢١٧هـ . ينظر وفيات الأعيان ٣/٤٧٥ .

(٣) في المحاسن والوفيات (التقرب . التبعد) .

(٤) في المحاسن : فأمر بإعطائهم لثمانية أشهر . وفي الوفيات لسبعة .

(٥) في الأصل (لمحمد) وصوابه ماأثبت . ينظر البيان ١/٩٦ ، وعيون الأخبار ٢/١٧٢ ،

قال القاضي : في هذا الكلام معنيان : أحدهما الإيجاز ، والثاني حسن الكناية عن الشكاية ، وكلاهما محمودان في مثل هذا الموضع ·

أما الإيجاز فمحمود في طلب الحوائج وماجرى مجراه ، وهو من البلاغة ·

وروي أن معاوية قال لصحارٍ [٥] العبدي : ماتعدّون البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز · قال معاوية : وما الإيجاز ؟ قال : ألا تخطيء ولاتبطيء ·

قال القاضي : ويكفي عن هذا قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : خير الكلام ماقلّ ودلّ ، ولم يَطُل فيملّ · وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

الزم الصَّمْتَ كثيراً   وإذا قُلْتَ فقصِّرْ
إن إكثارك في القوْ   لِ ، وإن جوَّدت تُضْجِرْ

ومن أحسن الإيجاز وأبلغه قول الله تعالى : { **ولكم في القِصاص حياة** } [٦] ناب هذا القدر اليسير مناب قولك : إذا عَلم من يَقتل أنه يُقتل قِصاصاً بمن قتله ارتدع عن القتل ، فكان في ذلك حياة للنفس ·

والألفاظ الموجزة الفصيحة أكثر من أن تُحصى ، إلا أنّي أستحسن

والموفقيات ٣٨٤ ، والعقد ٤/٣١ · وصحار بن العباس العبدي ، له صحبة ، مشهور الفصاحة ، ينظر الإصابة ٢/١٧٠ ·
(٦) سورة البقرة ١٧٩ ·
(٧) في الأصل (أنه قال دخل · ·) ·

مـــاروويّ عن بعض الأدباء : أنّه دخل [٧] على بعض الأمـراء ، فاستقبله بعض غلمانه فقال : إنّه وُلد للأمير ولد ، ومات له ولد ، فهنّه وعزّه . فسار كما هو حتى سلّم على الأمير ، ثم قال : سرّك اللهُ فيما ساءك ، ولاساءك بما سرّك ، وألهمك الشكرَ على ماأعطاك ، والصبر فيما ابتلاك .

فهذا قد أوجز وأبلغ .

وقد تعاطى أبو نواس مثل ذلك في شعر ، لم يوجز ، قال :

تعزَّ أبا العباس عن خير هالكٍ بأفضل حيّ كان ، أو هو كائنِ

حوادثُ أيامٍ تدور صروفُها لهن مساوٍ مَرّةً ومحاسنُ

وفي الحي بالميْت الذي غُيّبَ الثرى فلا أنت مغبون،ولاأنت غابنِ [٨]

قال القاضي : فأما في تحريض على حرب أو صلح بين فريقين متحاربين فالإسهاب أحمد من الإيجاز ، لأنه قل مايؤثّر الإيجاز ، حتى قيل : ما البلاغة ؟ فقال : سدّ الكلام معانيه وإن قصر ، وحسن تأليفه وإن طال . وأما حُسن الكناية عن المقصود فأبقى لماء وجه السائل ، وأدلّ على كرم المسئول ، وفي ذلك قال أبو تمام :

لن يَهزَّ التصريح للمجد والسـ ـؤدَدِ مَنْ لم يهزَّه التصريحُ[٩]

(٨) قاله معزّيا بالرشيد ، ومهنئاً بالأمين . ديوان أبي نواس ٥٨١ ، والعمدة ١٥٦/٢ .

(٩) ديوان أبي تمام ٢٩١/٢ .

(١٠) المحاسن ٣٤٩/١ .

ويُحكى في مثل ذلك أن عبد الله بن طاهر كتب إلى عبيد الله بن سليمان ماأحسن ما احتال في شكوى حاله ، وأمر بقضاء حوائجه .

ومن ألطف هذا الفنّ أن الفرزدق دخل على سُكينة بنت الحسين ، فسلّم عليها من خلف سترٍ ، ونظر إلى جوارٍ لها ، فأُعجب بواحدة منهن ،فلما ودّع قال : يامولاتي ، إذا مامِتُّ فادفنيني في ثياب هذه الجارية ، فوهبتها له ، وانصرف (١٠) .

* * *

---

(١) ذكرت كتب الأمثال في الحديث عن « إياك أعني واسمعي ياجارة » أن سهيل بن مالك الفزاري

الخبر الثالث والخمسون

وبالإسناد[1] أن عمار بن هاشم ضاف عاتكة ابنة لأم الطائية ، فألطفته وأنزلته ، فلما كان عند النوم أمرت أن يُفرش له عندها في خبائها إكراماً ، فلما مضى هزيع من الليل حدّث نفسه أن إكرامها له كان لحاجتها إليه ، فمدّ يده إلى دِثارها[2] فأخذ به ، فانتبهت وقالت : ماشأنك ؟ فاستحيى وقال : قرِرْت[3] ، فأمَرَت جواريها فَزِدْنه دِثاراً ، فمكث هنيهة ، ثم حدّث نفسه بمعاودتها لجذب دِثارها مرة أخرى . فقالت له : مالك ، فخجل ، فقال : قررت ، فزادته دثاراً .

فلما أصبح أمرت له بغسل ، وأمرت جواريها أن يغسلن رأسه ، فلما رأى إكرامها له ظنّ أنه عجز في أمرها ، فندم أن لايكون أقدم عليها ، ثم قال : إذا فاتني ذلك فسأعرض لها بأبيات ، فإن كنت في حاجتها علمت ذلك . فلما تغدّى وفرغ من غدائه أنشأ يقول :

ضاف أخت حارثة بن لأم . وذكرت القصة على نحو يختلف عما هو هنا . ينظر الفاخر ١٥٨ ، والأمثال لأبي عبيد ٦٥ ، وجمهرة الأمثال ٢٩/١ ، (وفيه سيار بن مالك) ، ومجمع الأمثال ٤٩/١ ، والمستقصى ٤٥٠/١ .

(٢) الدثار : الغطاء .　　(٣) قرِرت : بردت .

(٤) الهركولة : الضخمة ، الحسنة الجسم ، البخارة : الرائحة . والأبيات ٤ . ٥ . ٦، لم ترد في المصادر .　　(٥) ديوان المتنبي ١١١/١ .

ياخيرَ أهلِ البدو والحضاره

ماذا ترَينَ في فتى فَزاره

أصبح يهوى حرَّةً مِعطاره

سفر الوشاح يملأ الإزاره

هِركولة كريمة البِخاره(٤)

ينفَحُ منها الملا كلّ داره

إياك أعني واسمعي ياجاره

فقالت له : أفّ لك ، ماقمت مقامَ كريم ، ولانطقت نطق حكيم ، فأقِمْ ماأقمْتَ مكرماً ، واشخص إذا شخصت مذمّماً ، فلن تنال مني مأثماً.

قال القاضي : كان من عادة نساء العرب أن يُطمعن بلين الكلام وكثرة الإكرام ، والمساعدة إلي الحرام ، وهنّ مع ذلك نقيّاتُ الجيوب ، بعيدات من الحُوب ، غير مسعفاتٍ بالمطلوب . وقد أحسن أبو الطيب في وصف ذلك ، فقال :

بيضاءَ ، تُطمعُ فيما تحت مِئزرِها وعزّ ذلك مطلوباً إذا طُلبا(٥)

(٧) البيت الأول في العقد ٣/٢ ، وربيع الأبرار ٤٧/٤ .

(١) في الفرج ٢٠٧/١ ، ووجدت في كتاب أبي الفرج الحنطي المخزومي الكاتب : أن محمد . . .

وروي في مثل هذا : أن الحسين بن عليّ عليه السلام ترقّى بعض سكك المدينة ، فإذا هو بجارية حسناء واقفة على باب ، بيدها مسبحة ، وهي تفتك بالجائي والذاهب ، فقال : ياهذه ، أَنُسْكُ ناسِكةٍ ، وفَتْكُ فاتكة ، أما تتّقين الله ؟ فأنشأت تقول :

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللّهوِ منّي والبطالةِ جانبُ
وما أبالي في زماني بريبةٍ ... إذا كنتْ للرّحمنِ ربي أُراقبُ [7]

فاستغفر لها وانصرف .

* * *

حجّ سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

الخبر الرابع والخمسون

وبالإسناد عن محمد بن عبد الحميد الحسمي أنه قال [١] :

حَجَجْتُ ، فلما صرت في بعض المنازل راجعاً ، غَشِيَنا فقراءُ البادية[٢] يستميحون[٣] ، فوقَفْتُ منهم على جارية تسأل بوجهٍ كأنه القمرُ حين استدار ، أو قرنُ الشمس حين استنار ، فردَدْت طرفي عنها ، واستعذت بالله من الفتنة بها ،فلم تزل تذهب بين الناس وتعود ، حتى وَقَفَت بين يديّ ، فقلت لها : أما تستحيين أن تبدي هذا الوجه في مثل هذا الموضع بين الخلائق ؟ فلطمت وجهها وأنشأت تقول :

لم أبدِه حتّى تقضّت حيلتي	فبذلْتُه وهو الأعزّ الأكرمُ
ولقد يعزّ عليّ ، إلاّ أنّه	دهرٌ يجور - كما تراه - ويظلم
قد صُنْتُه وحَجَبْتُه حتى إذا	لم يبق لي طَمعٌ ومات الهيثم
أبرزْته من خدرِه مقهورةً	اللهُ يشهد لي بذاك ويعلم
كشف الزمانُ حجابنا في بلدةٍ	قلّ الصديقُ بها وعزّ الدرهمُ

(٢) في الفرج (فقراء المدينة) . (٣) يستميحون : يطلبون ويستجدون .
(٤) في الفرج (المهنأة) . (٥) وهي رحبة مالك بن طوق ، بين الرقه وبغداد على شاطيء الفرات.
(٦) التخت : الخزانة .

قال محمد بن عبد الحميد : فأعجبني مارأيت من جمالها وفصاحتها ، فبررتها ، وقُلْت : ماسمك : قالت : المهاة [٤] ابنة الهيثم الشيباني ، كان أبي جاراً لبني فزارة ، فاعتلّ ، وأنْفَذَ مالَه ، وتوفي وتركني فقيرة ، فاحتجْت إلى التكفّف .

قال : فانصرفت ، ورحَلْنا ، فلما صِرنا إلى الرحبة [٥] دخلت على مالك بن طوق مُسلّماً ، فسألني عن طريقي،وعمّا رأيت فيه من الأعاجيب ، فحدثته بحديث المرأة ، فاستظرفه ، فكتب الأبيات مني ، وانصرفت إلى منزلي بالشام .

فلما كان بعد مدّة أتاني رسوله يستزيرني ، فصرت إليه ، فلما اجتمعت به كنت في بعض الأيام جالساً بحضرته فإذا خادمان معهما أكياس مختومة ، وتخوت[٦] ثياب مشدودة ، فوضعاها إلى ناحيتي ،فقلت لمالك : ماهذا ؟ فقال : هذا حقّ دلالتك على المهاة ابنة الهيثم ، التي أظفرني الله بها بيُمنك بما كانت أمنيتي تقصر عنه ، وقد أنفَذَت إليك هذا من مالها ، ولك من مالي ضعفه . فقلت : وكيف خبرُها ؟ قال : لما انصرفتَ بعثْتُ إلى البادية رُسُلاً أثق بعقولهم وأمانتهم ، يسألون عنها ، فسألوا عنها حتى ظفروا بها ، وحملوها ووليّها إليّ ، فلما قدمت عليّ رأيت منها مازداد به

---

(١) الخبر في ترجمة عمرو بن سعيد في تاريخ دمشق ٤٥٣/١٣ ، وينظر أخبار عمرو في المروج ١٠٢/٣ .

ماكان زرعه في نفسي حديثُك عنها ، فتزوّجتها من وليّها ، وجعلته أحد قوّادي. وأفضت عليها من دنياي على حسب تمكّنها من قلبي ، فسألتْني يوماً عن سبب طلبي لها ، فخبّرتها بخبرك ، وكتبْتُ إليك أستزيرك لأعرفّك بهذا ، فلما عَرَفَت وصولك أنفذت لك هذا ، وقد أمرت أنا لك بعشرين ألف درهم ، وعشرة تخوَت ثياب .

* * *

الخبر الخامس والخمسون

وبالإسناد عن عبد الملك بن عمير،عن أبيه ،عن سعيد بن العاص(١) :

لما حضرته الوفاة ، جمع بنيه فقال : أيُّكم يكفُل دَيني ؟ فسكتوا . فقال : مالكم { لا } تكلّمون ؟ فقال ابنه عمرو الأشدق - وكان عظيم الشّدقين : وكم دَينك ؟ قال : ثمانون ألف دينار . قال : وفيم استدنتها ياأبتِ ؟ قال : في كريم سددت فاقته ، ولئيم فديت عرضي منه ، قال : هي عليٌّ ياأبت .

قال سعيد : مضت خَلّة وبقيت خلّتان . قال عمرو : ماهما ياأبت ؟ قال سعيد : إخواني ، إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا معروفي . قال عمرو : أفعل ياأبت .

قال سعيد : مضت خلّتان وبقيت خلّة . قال عمرو : وماهي ؟ قال : بناتي ، لاتزوجهن إلا من الأكْفاء ولو تقلو حبَّ الشعير(٢) . قال عمرو : أفعل ياأبت .

قال سعيد : أما والله لئن قلت لك : لقد عرفته في حماليق وجهك

---

(٢) في تاريخ دمشق (تعلق الخبز الشعر) .

(٣) الحماسة ٦٠٣/١ وفيه مصادر .

(٤) ينظر جامع الأصول لابن الأثير ٤٦٣/٦ ومابعدها .

وأنت في مهدك . قال سعيد : ماشتمت رجلاً منذ كنت رجلاً ، ولاكلّفت من يرتجيني أن يسألني ، لهو آمن عليّ مني عليه إذ قصدني لحاجته .

قال القاضي : وكان جماعة من الكرام في الجاهلية يستدينون عند نفاد النقود في إحياء سبل الجود ، قال المقنّع الكندي :

يعاتبني في الدَّين قومي ، وإنّما ديوني في أشياءَ تُكْسِبُهم حَمْدا
أسدُّ به ماقد أخلُّوا وضَيّعوا ثغور حقوق ماأطاقوا لها سَدّا
وفي جفنةٍ مايُغلق البابُ دونها مكلّلة شحماً مُدَفّقةً ثَرْدا [٣]

وبموجب الشرع كان الجود بجميع المال وحليبِ الناقة للنفس والعيال من التبذير الذي نهى الله عنه ، لاسيما من يحمل نفسه على السؤال عند عدم المال ، وقد كره النبي ﷺ ذلك من قوم ، وقبله من آخرين[٤] . وكان معنى كراهيته علمه أنهم لايصبرون على الفقر ، ومعنى قبوله علمه منهم حسن الصبر . ومثل ذلك قول النبي ﷺ في المنع من الوصيّةِ بجميع المال : « لئِنْ تدعْ ورثتَك أغنياء خيرٌ من أنْ تدعَهم فقراء يتكفّفون الناس »[٥] .

وعوتب بعضهم على إفنائه كلّ ماله ، فقال :

---

(٥) البخاري - الوصايا ٢. ٣-٥ / ٣٦٣-٣٦٩ .
(٦) سنن ابن ماجه - الصدقات ٢/٨٠٦ ، وصحيح سنن ابن ماجه ٢/٥٣ ، والمستدرك ٢/٢٦. ٢٧
(٧) البخاري - الحوالة ٣-٤/٤٦٧ ، والكفالة ٣، ٥-٤ /٤٧٤. ٤٧٧ .

وقالوا : ادَّخِرْ بعضَ الذي قد كسِبْتَه لعَقْبِك . إنّ الحَزم أدنى إلى الرّشَدْ
فقلت: سأمضيه ليبقى ذخيرة وأجعل ربي الذَخر للأهل والولَدْ

فأما الاستدانة في الجود فلا أرى لها وجهاً في الشرع يُرتضى ، مع قول النبي ﷺ : « نفسُ المؤمن مرتهنة بدينه حتى يقضى»[٦] وامتناعه من الصلاة على الميت إذا كان عليه دين[٧] ، فالدين إذن في اللازم شين ، فكيف يرجى به مالايلزم دين .

* * *

---

(١) ورد الخبر في عدد كبير من المصادر ، بعضها أورده كاملاً ، وبعضها ذكره مختصراً . ينظر : الأمثال لأبي عبيد ٧٣ ، والفاخر ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٦٥/٤ ، والأغاني ٩٤/١٤ ، ٢٥/١٦ ،

الخبر السادس والخمسون

وبالإسناد عن الكلبي [١]:

{ أن } النعمان بن المنذر كان مُكرِماً للربيع بن زياد ومُطاعِماً ، فجرى بين لبيد بن ربيعة وبين الربيع بن زياد نِفار ، فأتى لبيد إلى النعمان والربيعُ جالس يتغدّى معه ، فأنشأ يقول :

مــهــلاً أبيْتَ اللعنَ ، لاتأكُلْ مَعَهْ
إنّ استَه مـن بَرَصٍ مُلَمَّعـه
وإنّه يُدخِلُ فـيـهـا إصـبـعـه
يدخُلهـا حـتى يواري أشْجَعَه
كـأنّه يطلبُ شـيـئـاً ضَيّعـه
يارُبّ هيـجـا هي خـيـر من دَعَه
نـحـن بـنـو أمّ الـبـنـين الأربعـه
ونحن خيـرُ بني عـامـر بن صـعـصَعَه
المُطْعِمـون الجـفـنة المدَعْدَعَه

وكانت العرب تطيّر من البرص ، فلما سمع النعمان ذلك أمسك عن

ومجمع الأمثال ١٠٢/٢ ، خزانة الأدب ١٠/٤ ، وديوان لبيد ٣٤٠-٣٤٣ .

(٢) سمويل : طائر ، أو بلدة كثيرة الطير . اللسان - سمل ، وأورد الأبيات .

(١) وكيع من قواد المسلمين ، مال إلى سليمان بن عبد الملك ضد قتيبة وقتله . ينظر الكامل لابن

الطعام ، فقال الربيع : أبيت اللعنَ ، إن لبيداً كاذب ، وابعث من يفتش ذلك مني ، فأنشأ النعمان يقول :

شرِّدْ برَحْلِك عنّي حيث شئت ولا تُكْثِرْ عليّ ، ودَعْ عنك الأباطيلا

قد قِيل ماقِيل إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارُك عن شيء إذا قيلا

قال الربيع للنعمان : ماأعجبك من رجلٍ قد وضعتُ يدي على فرج أمّه ليلةً إلى الصباح · فقال لبيد : ماأخلقك بذلك ، ومثلُك فجر بنسائه · ثم ارتحل الربيع بن زياد ، فكتب إلى النعمان جواباً ، فقال :

لئنْ رَحَلْتُ فإنّي واجد سَعَةً ما مثلُها سَعَةٌ عرضاً ولا طولا

بحيث لو وُزِنت لخمٌ بأجمعها لم يعدلوا ريشةً من ريش سَمويلا[٢]

* * *

الأثير ٥/١٤ ومابعدها ، وفهارس الطبري ١٠/٤٤٩ · (٢) ينظر البهجة ١/٤٥٥ ·

الخبر السابع والخمسون

وبالإسناد : أن خارجاً خرج على قتيبة بن مسلم بخراسان ، فقيل لقتيبة : لو وجّهت إليه وكيع بن أبي سُود[1] لكفاك أمره . فقال قتيبة : وكيع رجل عظيم الكِبر ، ومن عظم كبره أعجب برأيه ، ومن أعجب برأيه لم يشاور كَفيًّا ، ولم يؤات نصيحاً ، ومن تفرّد بالنظر لم يُكمل الصواب ، ولم يزل المتفرد ، من . . . بعيداً ، ومن الخذلان قريباً ، والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لاتخطيء ، والفرقة لا تصيب[2] ، ومن تكبّر على عدوّه حقّره ، ومن حقّره تهاون بأمره ، ومن تهاون بأمره قلّ احتراسه ، ومن قلّ احتراسه أصيبت مقاتله ، ومارأيت عظيم كبر قطّ حارب إلا كان مكبوتاً ، ولا والله لاينجح ذو الحرب حتى يكون في أمر عدوّه أسمع من حصان [3] ، وأبصر من عقاب[4] ، وأروغ من ثعلب[5] ، وأحذر من عقعق [6] ، وأشدّ إقداماً من أسد[7] ، وأوثب من نمِر[8] ، وأحقد من جمل[9] ، وأغدر من ذئب[10] ، وأسخى من

(٣) هذا وماسيأتي من أمثال العرب . ففي الدرّة الفاخرة ٢٢٦/١ « أسمع من فرس » .

(٤) الدرّة ٧٧/١ . (٥) المصدر السابق ٤٤١/٢ . (٦) المصدر نفسه ١٤٦/١ والعقعق : طائر

(٧) الدرة ٢٣٦/١ . (٨) في الدرة ٢١٥/٢ ، والمجمع ٣٨١/٢ « أوثب من فهد » .

(٩) الدرة ١٤٣/١ ، ٤٤٦/٢ . (١٠) الدرة ٣٢١/١ ، والمجمع ٦٧/٢ .

(١١) الدرة ١٢٨/١ ، ٢٢٨ . وقد فُسرت اللافظة على أنها العنز ، أو الحمامة ، أو الديك ، أو الرحى ، أو البحر . (١٢) الدرة ٢٣٦/٢ . (١٣) المصدر السابق ١٢١/١ .

لافظة[١١] ، وأشح من ضب[١٢] ، وأجمع من ذرّة[١٣] ، وأحرص من كلب[١٤] .

فإن النفس إنما تسمح على قدر الحاجة ، وتنخفض على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتجمع على قدر السبب ، وقد قيل : ليس لمعجبٍ رأي ، ولالمستكبرٍ صديقٌ ، ومن أحبَّ أن يُحَبَّ تحبّب .

قال القاضي : جميع كلام قتيبة هذا مأخوذ من كلام الحكمة .

فأما المشاورة فكفى بها قول الله تعالى لنبيّه المتغنّي بوحيه { **وشاوِرهم في الأمْر** } [١٥] .

وبقول أمير المؤمنين عليه السلام : من أُعجب برأيه ضلّ ، ومن استغنى بعمله زلّ ، ومن تكبّر على الناس ذلّ [١٦] .

وقد أكثر الشعراء من ذلك ، فقال بعضهم :

خليليّ ليس الرأى في صدرِ واحدٍ أسيراً ، فإن الرأيَ ماتريانِ[١٧]

وقال آخر :

---

(١٤) المصدر نفسه ١/١٦١ . (١٥) سورة آل عمران ١٥٩ .
(١٦) سجع الحمام ٣٨٩ ، عن دستور معالم الحكم للقضاعي ٢٧ .
(١٧) البيت في الأمالي للقالي ١/٤٤ دون نسبة ، ونسبه في السمط ١/١٨٤ لعطارد بن قران ، وهو في البهجة ١/٤٥٣ .
(١٨) لباب الاداب ٧٥ دون نسبة ، وفي البهجة ١/٤٥٦ قال : وأظنها لمنصور الفقيه .
(١٩) العيون ١/٣٢ ، والبهجة ١/٤٥٢ .
(٢٠) وهو لعمر بن أبي ربيعة - من قوله - ديوانه ٣٢٠ :

إذا الأمـــــرُ أشكـل إنفـــــاذُه ولم تر منه طريقــاً فـســيـحــا

فــشـــاور بأمـــرك في سِتـــره أخـاك الأريبَ اللبيـب النصيـحـا

فــربّمـــتــا فـــرّج الناصـــحـــون وأبدَوا مـن الرأي رأياً صـحـيـحـا

ولايلبث المسـتـشـيـر الرجـالَ إذا هو شـاور أن يسـتـريحـا[18]

قال القاضي : إنما ينبغي أن يُستشار من جمع أمرين : عقلاً راجحاً ، وقلباً ناصحاً ، قال بعضهم :

وأنفع من شاورت من كان ناصحاً شـفـيـقـاً فـأبصـر بعـدها من تشـاوِرُ

وليس بشـافـيك الشـفـيقُ ورأيُه غـريبٌ،ولاذو الرأي والصدرُ واغِرُ[19]

وقال آخر :

لاتشـاور من لـيس يُصـفـيك وداً إنّه غـــيــرُ ســالك بك قـــصـــدا

واسـتـشرِ في الأمـور كلَّ لبـيبٍ ليس يألوك في النصـيحـة جُهـدا

وأما قول الشاعر :

مستحكم الرأى ، مُسْتَغْنٍ بوحدته عن الرجال ، بريب الَّدهْر مضطلعُ

فلم يقصد بذلك ذمّ المشورة ، وإنما قصد به المبالغة في المدح بكمال

ليت هنداً أنجزتنا ماتَعِدْ وشفت أنفسنا مما نجـدْ

واستبـدّت مـرة واحـدة إنما العاجز من لايستبدّ

التدبير ، وتجريب الأمور .

وأما قول الآخر :

. . . .   إنما العاجزُ منْ لايستبِدّ [٢٠]

فمعناه عندي: أن العاجز لايستبدّ بالإقدام . . . [٢١] ، دون الإقدام على رأي لم يظاهره حازم عليه ، وإذا وجدنا له معنى يرضي فهو أولى من جعله خطأ محضاً .

* * *

(٢١) في المخطوطة (بالإقدام عن ظهير بيضاف) .

(١) في أكثر المصادر أن هذه الحادثة - كما هي هنا - بين المعتصم وتميم بن جميل ، وهو خارجي من بني تغلب بن وائل،العقد ٢/١٥٨ ،وزهر الآداب ٢/١٥٨ ،والعمدة ١/١٩٤ ،وثمرات الأوراق ٢/١٥٨ وفي العفو والاعتذار ٢/٥٦٣ أنها بين الرشيد وتميم . وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٠٣ أن

الخبر الثامن والخمسون

وبالإسناد عن أحمد بن أبي دؤاد أنه قال [1] :

مارأيت رجلاً قطّ عاين الموت فما أذهله ولاشغله عن مراده حتى بلغه وخلّصه الله من القتل ، إلا تميم بن جميل ، رأيته بين يدي المعتصم ، وقد بسط النطع ، وانتضى السيف ، وكان رجلاً وسيماً جسيماً ، فأحبّ المعتصمُ أن يستنطقه ليعرف أين منظره من مخبره ، فقال له تكلّم ، فقال :

أما إذا أذنت لي ، فالحمدُ لله { **الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خَلْقَ الإنسان من طين ، ثم جعل نَسله من سُلالةٍ من ماء مهين** } [2] .

جبر اللهُ بك صدع الدين ، ولمَّ بك شَعْثَ المسلمين ، إن الذنوب لتُخْرِس الألسنة ، وتخلع الرّيق ، وأيم الله ، لقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظنّ - ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك [3] ، وأنشأ يقول :

تميماً خرج على المتوكل ، وذكر البيت الأخير فقط . وفي معجم البلدان رحبة مالك بن طوق ٣/ ٣٥ أنها بين الرشيد ومالك بن طوق . ولكن القيرواني في الزهر ذكر أن مالك بن طوق هو الذي قبض على تميم وحمله إلى المعتصم. وقد ورد الخبر كما هو هنا في كتابي الفرج ٢٨٣/١ ، والمستجاد ٨١ .
وأحمد بن دؤاد القاضي - راوي الخبر - له مع المعتصم أخبار مأثورة . ينظر الوفيات ٨١/١ .

(٢) اقتباس من القرآن الكريم : سورة السجدة ٧ ، ٨ .

(٣) زاد في المستجاد : « وأنت إلى العفو أقرب ، وهو بك أشبه » .

(٤) في الفرج : « وعقد له سقي الفرات » .

(١) الخبر في الأغاني ٥/ ٩٤ ، ٨/ ١٦٧ .
وإسحق أديب لغوي ، له مجالس مشهورة مع الخلفاء - توفي سنة ٢٣٥هـ . ينظر تاريخ بغداد

أرى الموتَ بينَ السيف والنِّطْع كامِناً يُلاحِظني من حــيثُ مــا أتلفّتُ
وأكــثــرُ ظني أنّك اليــومَ قــاتلي وأيّ امــرىء مما قــضى اللهُ يفلت
وأي امــرىء ، يُدلي بعــذرٍ وحــجّةٍ وسيفُ المنايا بين عينيه مُصْلَتُ؟
ومــاجَزَعي من أن أمــوت ، وإنني لأعْلَمُ أنّ المـوت شيء مــــؤقّتُ
ولكنّ خلفي صبــيــةً قــد تركْتُهم وأكــبــادُهم من حَسْرةٍ تتــفــتّتُ
كـــأنّي أراهم حين أنعى إليـــهم وقد خَمَشوا تلك الوجوه وصوّتوا
فإنْ عِشْتُ عاشوا خافضين بنعمةٍ أذود الرّدى عنهم ،وإن مِتّ مُوّتوا
وكم قـــائلٍ : لايُبــعــد اللهُ داره وآخــــر جــــذلانٌ يُسَرُّ وَيشْمَت
يعــزّ على الأوس بن تغلب مــوقفٌ يُهَزُّ عليّ السيفُ فيه فأسكتُ

فاستعبر المعتصم وقال : ياتميم ، قد عفوت عنك ، ووهبتك للصبية ، وخلَع عليه ، وولاه للموضع الذي كان سبب عقوبته (٤) .

* * *

٣٣٨/٦ ، وفيات الأعيان ٢٠٢/١ .

الخبر التاسع والخمسون

وبالإسناد عن إسحق بن إبراهيم الموصلي أنه قال [1] :

سافر الرشيد نحو الرقة ، فقعد ذات يوم في بعض بساتينها ، فذكر بغداد وطيبها ، وتدفق مياهها ، واجتماع آلات النيروز بها ، فقال : ياإسحق ، هل تقدر أن تغنيني بشعرٍ تذكر فيه بغداد وشوقَنا إليها · قلت : نعم ، وغنَّيْتُه :

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ ... فكيف إذا ماازددْتَ عنها غداً بعدا

لعمرُك مافارقْتُ بغدادَ عن قلىً ... لو آنّا وجدْنا عن فراقٍ لها بُدّا

إذا ذُكِرت بغدادُ نفسي تقطّعت ... من الحزن،أو كادت تموتُ بها وَجدا

كفى حَزَناً أنْ رُحْتُ لم أستطِع لها ... وداعاً ، ولم أُحْدِث بساكنها عهدا

قال إسحق : فطرب الرشيد ، وحرّك رأسه ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ·

قال القاضي : بغداد عند أهلها لايعدِلُها سواها في طيبها وكثرة مشتهاها ، فمن ذلك ماقدّمناه ، ومنها ماحكي أن المعتضد سافر من بغداد

---

(٢) سنجار : مدينة في نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام · معجم البلدان ٢٦٣/٣ ·

(٣) العطوي ، محمد بن عبد الرحمن · شاعر عباسي ، توفي حوالي سنة ٢٥٠هـ · ينظر الأغاني ٥٨/٢٠ ، وتاريخ بغداد ١٣٧/٣ ، ومقدمة ديوانه ·

إلى سِنْجار[2] ، فكتب إليه العطوي [3] :

يامن أقـامَ على قُرى سِنجـار	واختـارَها داراً بأكـرمِ دارِ
أتركْتَ بغـدادَ التي لنسيـمـهـا	أرُجٌ من الأنـوارِ والأشـجـار
هي جنّة الدنـيا ، فكيف تركتَها	وسكَنْتَ داراً غـيـرَ ذاتِ قـرار ؟
انظر بقلبك ، لابعينك ، هل ترى	كـرجـالـهـا في سـائر الأمـصـار
من ذا تصـادفـه هناك وعنده	نُتفٌ من الأشـعـار والأخـبـار ؟
ممزوجـة بخـلائقٍ أدبيـة	في رقّة الماء النَّمـيـر الجـاري
ولئن أقـمت وبعْتَنا وجـوارَنا	بحـديث عـهـدٍ أو قـريب مـزار
فأنا أقول بفرطِ حرّ في الحشا	ولهـيبِ نـارٍ غـيـر ذات شَرار
لِمَ تسـتـحلُّ دمي وتعلم أنّه	من يستحلُّ دمَ امرىء في النار[4]

ومن ذلك قول رجل كتب إلى خليل له ترحّل عن بغداد ، فقال :

(٤) ديوان العطوي (شعراء بصريون) ٣١ ، ٣٢ ، وأخبار الزجاجي ٥١ .
(٥) الكرخ : محلة ببغداد ، ينظر معجم البلدان ٤٤٨/٤ .
(٦) في تاريخ بغداد ٥٢/١ : وأنشدنا التنوخي قال : أنشدنا أبو سعد ، محمد بن خلف الهمَداني لنفسه .. وذكر الأبيات .

فـــدىً لك يابغـــدادُ كلُّ مـــدينة من الأرض حـــتى خطّتي ودياريا
لقد طفْتُ في شرق البلاد وغربها وسَيّرت خـيلي بينَهـا وركـابيـا
فلم أر مثل الكرخ في الأرض منزلاً ولم أر فـيهـا مثـل دجلةَ واديا[5]
ولامـثلَ أهليـهـا أرقّ شـمـائلاً وأعذب ألفاظاً وأحلى معانيا[6]

واعتذر فقير من ترحّله عن بغداد ، فقال :

وكم قـائلٍ لو كـان حبُّكَ صادقـاً لبـغدادَ ، لم ترحل فكان جوابيـا
يقـيم الرجـال الأغنيـاء بأرضـهم وترمي النوى بالمقترين المرامِيا[7]

* * *

(٧) وهذان البيتان في تاريخ بغداد ١/٥٢ ، متصلان بما قبلهما على أنهما من قصيدة واحدة ، والثاني منهما مع بيت آخر في ديوان الحماسة ١/٥٦٦ لإياس بن القائف ، وفيه مصادر .

الخبر الستون

وبالإسناد أن عمرو بن معديكرب قال : والله لو خُلّيت بظعينة وحدي في مياه معدّ ماخفت أغلب عليها مالم يلقَني حُرّاها وعبداها . والحرّان عامرُ بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث . والعبدان عنترة بن شداد ، والسُّليك ابن السُّلَكة [1] ، وكلُّهم قد لَقيت فرزقني الله الظفر بهم[2] :

فأما عامر فشديد الطعنة ، عليُّ الصوت . وأما عتيبة فأول الخيل إذا غارت ، وآخرها إذا آبت [3]،وأما عنترة فقليل الكبوة ، شديد الجَلَب[4] ، وأما سليك فملء اليد رَجُلاً [5] وأبغضهم إليّ أن ألقى عامراً[6] .

قال له رجل : فما تقول في العباس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه ماقال في نفسه :

---

(١) الخبر كما هو هنا في الأغاني ٢٨/١٤ ، وجزء منه في مقدمة ابن الأنباري لشرح ديوان عامر ١٠ ، وفي اللباب ١٨١ أن الحرّين دريد بن الصمة ، وربيعة بن مكدّم .

(٢) هذا ليس في المصادر .

(٣) في الأصل (برعت) وماأثبت من الأغاني .

(٤) وهذه أيضاً من الأغاني ، وفي الأصل (النسوة . . . الكلب) .

(٥) في الأغاني (وأما سُليك بعيد الغارة كالكلب الضاري) .

(٦) وهذه ليست في الأغاني .

(٧) في الديوان ١٢٤ البيت الأول فقط ، لأنه اعتمد على الأغاني التي لم يرد فيه غيره . أما في

إذا مات عمرو قلْت للخيل أوطئي — زبيداً فقد أودى بنجدته عمرو
فأما وعمرو في زُبيدٍ فلاأرى — لكم غزوَهم فارضوا بما دفع الدهر
أيسمع قومي ماأقول فإنني — شفيقٌ عليهم ، أمْ باذانهمْ وَقّرُ
فليت زُبيداً {زِيد} فيهم كضعفهم — وليت أبا ثور يجيش به البحر[7]

قال القاضي : عتيبة بن الحارث كان عظيماً في شجاعته ، وفيه يقول الشاعر :

إنْ يقتلوك فقد ثَلَلْتَ عروشَهم — بعتيبة بن الحارث بن شهاب
بأحبَهم فقدا إلى أعدائه — وأشدّهم فقداً على الأصحاب[8]

وأما عامر بن الطفيل فكان عظيماً في شجاعته ، وهو الذي جَرَت بينه وبين علقمة[9] { منافرة } فنصره الأعشى على علقمة ، مع فسقه وعفة علقمة ، فقال الأعشى :

علقمَ ، لالَسْتَ إلى عامر — الناقضِ الأوتارَ والواتر
سُدْت بني الأحوصِ لم تَعْدُهم — وعامرٌ سادَ بني عامر[10]

اللباب فالأبيات عدا الثالث .

(٨) الحماسة ١/٤٠٦ ، وينظر شرح التبريزي ٢/٣٣٢ ، وسمط اللآلي ٢/٧٠٦ .

(٩) وهو علقمة بن علاثة . ينظر الخبر في ديوان عامر ١٠ .

(١٠) ديوان الأعشى ٧٧ .

(١١) ديوان أبي تمام ٢/٣٨٨ .

وفي ذلك يقوم أبو تمام :

إن كان بالورع ابتنى القومُ العُلا ... أو بالتُّقى صار الشريفُ شريفا

فعلام قُدّم في هوازنَ عامرٌ ... وأميط علقمةٌ وكان عفيفا[11]

وعامر هو الذي تعرّض لرسول الله ﷺ فدعا عليه ، فأصابته الغدّة التي تصيب الإبل - عند امرأة سلولية ، وهو القائل عند ذلك : « غدّة كغدّة البعير ، وموت في بيت سلولية » فذهب مثلاً [12] .

وأما عنترة فرُزق من الشهرة في البأس والشجاعة مالم يُرزقه من هو أشجع منه ، وكانت فيه نزاهة مع عبوديّته ، ولذلك قال :

يُخبِرْك مَن شهد الوقيعة أنّني ... أغشى الوغى وأعِفّ عند المَغْنَمِ[13]

وأما سليك بن السُّلكة فكان فتّاكاً متلصّصاً[14] ، ويصف نفسه بذلك ، فمنه قوله :

---

(١٢) ينظر ديوان عامر ١٠ ، والكامل ٢/٣٢٤ ، وجمهرة الأمثال ٢/٨ ، ومجمع الأمثال ٢/٥٧

(١٣) ديوان عنترة ٢٠٩ .

(١٤) ينظر أخباره في الشعر والشعراء ١/٣٦٥ ،والأغاني ١٨/١٣٥ .

(١٥) الأغاني ١٨/١٣٧ .

وعـــاشـيـــةٍ راحت بطاناً ذَعَرْتُهـــا   بضـــرب قـــتـيل بينهـــا يتـــسـيّفُ

فـــبـــات لـهـــا أهلٌ خِلاءٌ فناؤهم   ومـــرَّت بهم طيـــرٌ فلم يتـــعـــيَّفـــوا

ومـــانِلْتـــهـــا حـــتى تَصَعْلَكْت حِقْبَـةً   وكِدْت بأســـبـــاب المنيّة أعـــرفُ

وحتى رأيت الجوعَ بالضيف ضرّني   إذا قُمت يغشاني ظِلالٌ فأسْدف(١٥)

* * *

(١) الخبر في حاشية على شرح بانت سعاد للبغدادي ١/٥٢٦ .

الخبر الحادي والستون

وبالإسناد عن الأصمعي قال[1] :

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ، فعارضني في الطريق أعرابيّ ، فحكّ مَحْمِلُه مِحملي [2] فشتمته وعلوته ، فلما قدمت مكّة رأيته في الطواف متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهمّ إن غفرت لي فاغفرِ لمن شتمني وضربني · فقلت له : شتَمْناك وضربْناك فتدعو لنا في هذا الموضع؟ فضحك ، ثم قال :

لايغضب الحرُّ على سفلةٍ	فالحرُّ لايُغضبه النَّذْلُ
وربّ وَغْدٍ مضّني فعله	قلت له : زدِ ، فلك الفَضل
كلامُه عندي كهجرانه	فإنْ تعدّى فله النعل

قال القاضي : كان الأصمعي لايبالي أن يُشتم إذا حصلت فائدة ، ويَروي شتمه ولا يكتمه · ومن ذلك [3] روايته أنّه مرّ برجل يكنس كنيفاً[4] وهو يقول :

---

(٢) المحمل : الهودج ·

(٣) الخبر التالي في شرح المقامات ٣/٣٥ ، وقريب منه في ثمرات الأوراق ١/٣٣ ·

(٤) الكنيف : مكان قضاء الحاجة ·

(١) في الأصل (الحارث بن سعد بن ربيعة المخزومي) والصواب أنه (الحارث بن خالد بن العاص

وإيـاك والسُّكْنَى بـدار مــــذلَّةٍ تُعدُّ مسيءَ القوم ، إن كنت مُحْسنا
ونفسَك أكرِمْها ،وإن ضاق مسكن عليك لها ، فـاطلب لنفسك مَسْكنا

قال الأصمعي : فقلت له : والله مابقي من الهوان شيء إلا وقد أهنت نفسك به فكيف تأمر بإكرام النفس ولاتكرمها ؟ فقال : والله لكنسُ ألف كنيف أكرم من الوقوف بباب سفلة مثلك . فانصرف مُسرعاً خوفاً مما أغلظ من ذلك .

* * *

الخبر الثاني والستون

وبالإسناد : أن الحارث بن . . . المخزومي[1] ، وفد على عبد الملك بن مروان يطلب صلته ويتعرّض لمعروفه ، فأقام ببابه قريباً من سنة لايؤذن له ، ثم انصرف ولم يعلم عبد الملك بانصرافه ، بعد أن عمل أبياتاً وكتبها في رقعة ، ودفعها إلى خادم من خدم عبد الملك ، وقال : أظهرها بعد عشرة أيام . ففعل الخادم ذلك ، وهي :

أتيتك إذ عيني عليها غشاوةٌ | فلما انْجَلَتْ قطّعت نفسي ألومها
عطفْتُ عليك النفس حتى كأنما | بكفَّيْك بؤساها معاً ونعيمُها
وما بي إذا أقصيتني من ضَراعةٍ | ولا افتَقَرْت نفسي إلى من يُهينها
صِلِ الحَبْلَ يحمِلْ ماسواه فإنما | يعفّي على غثٍّ الأمور سمينُها[2]

فلما وقف عبد الملك على هذه الأبيات فزع لها ، وخرِع منها وأنفذ في أثره جائزة جزيلة ، وقال للرسول : اتبعه ، فإذا دخل المدينة واستقرَّ على فراشه ، فسلّم إليه المال .

فلما وصل الرسول بالمال إلى الحارث قبله ، وشكر وعذر ، وأنشأ يقول :

ابن هشام المخزومي) . ينظر الأغاني ، والعقد ١/٢٨٣ ، ومقدمة ديوانه .

(٢) أورد في الديوان ١٠١ عن الأغاني وغيره الأبيات الثلاثة الأولى فقط .

(٣) هذان البيتان لم يراد في المصادر ولا في الديوان . (٤) ينظر القوافي ١٣٩ .

ولو أنّ رزق العبد في رأس صخرةٍ من الصمّ في طَوْدٍ من الشّم صاقبِ
إذن لأتاها العبدُ حتى ينالَه وإن كان مضياعاً لها غير طالب[٣]

قال القاضي : أبيات الحارث بالنون مع الميم - في أبياته الأولى - كذلك ، غير أنّه من عيوب الشعر يسمّى الإكفاء[٤] ، وقد أوضحته على حقيقته مع نظرائه في كتابي الملقّب بـ « نقد الشعر » .

أما بيتاه الأخيران فقد أكثر الناس في هذا المعنى ؛ منه قول عروة :

إني عَلِمْت وماالإسراف من خلقي أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيُعنّيني تَطلُّبُه ولو قَعَدْتُ أتاني لايُعَنّيني[٥]

وهذا كله مأخوذ من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

لو كان في صخرةٍ صمّاء راسية في البحر ملمومة مُلْسٍ نواحيها
رزقٌ لعبد يراه اللهُ لانفَلَقتْ حتى يُؤدّى إليه كلُّ مافيها
أو كان فوق الطباق السبع مسلكها يسهّل الله في المرقى لراقيها
حتى ينالَ الذي في اللوح خُطّ له إما أتتْه ، وإمّا كان آتيها[٦]

* * *

(٥) ديوان عروة ٣٨٥ ، والمحاسن والمساوىء ٤٦٢/١ ، وينظر البهجة ١٤٢/١ .
(٦) في البهجة ١٣٨/١ : ومما يروى لعليّ - وفيه نظر . وأورد الأبيات . وهي لم ترد في ديوان الإمام بطبعتيه .
(١) الخبر كاملاً في الموفقيات ٥٦٣ ، باختلاف ألفاظ يسيرة .

الخبر الثالث والستون

وبالإسناد [1]: أنّه اجتمع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان [2] ، فتمازحا ساعة ، وتذاكرا الشعر وأيّام العرب ، حتى أفضى بهما الحديث إلى أن قال الوليد ابن يزيد : هل لك في المنافرة والمفاخرة في مجلسنا هذا ، وكلام يحسن أن يُروى ، ويعذب أن يُحكى . قال له عبد الله : فخري فخرك ، وذكري ذكرك ، وما لأحدٍ منا على صاحبه فضل ، ولست آمن أن يُخرجنا ذلك إلى مالانحبّه . قال الوليد : ناشدتك الله أن يعرض هذا في نفسك ، وإنّه غير كائن . قال عبد الله : فذاك إليك إذا أمِنت نفسك ، فأما نفسي فأتخوّفها عليك .

فبدأ الوليد ، فقال مفتخراً :

أنا ابن يزيد ، السيد العميد ، من أناف ففاق ، وحسن شرفه وراق ، وكرم أصله وطرفه ، وسهل رأيه وكنفه [3] ، واشتدّ من الضيم أنفه ، وهو الذي فشت منافعه ، وعمّت صنائعه ، وتتابعت وقائعه ، كانت إليه تعمد

---

(٢) ينظر أخبار عبد الله في تاريخ الطبري ٣٠٢/٧ ، ٣٧١ ، وأخبار الوليد في السير ٣٧٠/٥ .
(٣) في الموفقيات : (بابه وكتفه) والكنف : الجانب .
(٤) يفري : يصلح . (٥) المخايل : السحاب المدّر للمطر . وودق : أمطر .

الوفود ، وبسياسته تُراض الجنود ، وبأمره تعهد العهود .

ثم لعبد الملك الذي {كان} إذا سابق سبق ، وإذا نطق صدق ، ويفري[٤] ، إذا خلق ، وتُجبى مخايله إذا وَدق[٥] ، ويرتق إذا فتق ، وكانت الجيوش تُهزم باسمه ، وتقلّ العلوم في علمه ، ويعدل في قسمه وحكمه ، ويعرف فضل أبيه وأمه . هو الذي قارع على الملك ففلج ، وأرتج[٦] باب الباطل فارتتج ، ولاق به الملك فابتهج .

ثم لمروان ، فقيه قريش[٧] ، وتالي القرآن ، سما للملك ، فذلّل صعبه ، ولمّ من كل أمر شعبه ، ونفّس عن كلّ مكروب كربه ، وأيّد اللهُ بالنصر حزبه ، وورّث الإمامة والخلافة عَقِبَه ، كان يُستظلّ بظلّه ، ويفي بعهده وإلّه ، ويُجبى إليه المال من حِلّه ، ويضعه في أهله ، ويعرف هديه في سُبله .

ثم للحَكَم ، الماجد العَلَم ، كان لاتُخمد نارُه ، ولاتُذَمّ آثارُه ، ولاتؤمن أضغانه ، ولايقدّر شانه .

ثم لأبي العاص ، الكريم المحلّ والعراص ، كان يُصدر عن رأيه ، ويوثق بوفائه ، ويعاش بحبائه ، ويومن بغنائه .

---

(٦) أرتج : أغلق . (٧) كان مروان يعرف بفقيه قريش . ينظر السير ٤٧٦/٣ .

(٨) طنّب الخيمة : شدّها بالأطناب ، وهي الحبال .

ثم لأميّة،الذي ولي كلّ عليّة،ولد الكرام فأنجب،وعالى بالحمد فأرغب، وزوق عليه المجد وطنّب[8] ، وأورى زنده فأثقب ، وبذل ماله فأنهب .

ثم لعبد شمس ، كاشف كلّ لَبْس ، لباب قريش إذا وصلوا ، وحليمهم إذا جهلوا ، وحَيلهم[9] إذا زُلزلوا ، وزعيمهم إذا احتفلوا ، وربيعهم إذا مَحَلوا .

وأفتخر بفتى الفتيان يزيد بن معاوية ، سمح السمحاء ، ولبيب الألبّاء ، استكمل الجود والشجاعة ، وجمع الأصالة والبراعة ، وَلِدَتْه القُروم من قضاعة .

ثم بقريع الزمان ، معاوية بن أبي سفيان ، من أثمر في المكارم جوهره وتمّ عند المفاخر مفخره ، وطاب بين الناس خبره ، وزها به سريرُه ومنبره ، طُبعت على الحِلم سجيّته ، وكملت أخلاقه ومروءته ، فاستوت علانيته وسريرته ، من طلب فأدرك بثأره ، وشمّر للحرب بأنصاره .

ثم بصخر ، مَعدِن النبل والفخر ، مَفزَع قومه إذا رهبوا ، وغياثهم إذا جَدَبوا ، ومِدْرَهُهم[10] إذا خطبوا ، وفارسُهم إذا ركبوا ،وميسّر كلّ عسيرة ، وفارس كلّ كبيرة .

---

(٩) الحيل : القوة .

(١٠) المدره : الشجاع .

(١١) في الموفقيات (.. الجاهلية) والشأو : الأمد والغاية .   (١٢) العقوات : المحلات .

ثم بحرب ، منفّس كلّ شديدة وكرب ، قائد قومه في الحقائق ، وعصمتهم من البوائق ، وحاميهم في المضايق ، يعلو على المنازع في خصامه ، ويثبت قدمه في مقامه ، ويؤثَر أمثالُ كلامه ، ويزدحم الناسُ على طعامه ، ويُتحدّث في المواسم بأيّامه .

ولما فرغ الوليد من ذلك ، قال لعبد الله : تكلّم . فقال عبد الله بن معاوية {بن عبد الله} بن جعفر بن أبي طالب :

أنا ابن البدور الزاهرة ، والبحور الزاخرة ، والغيوث الماطرة ، والليوث الهاصرة ، الذين بعد في الإسلام شأوهم[11] ، وأناف على كلّ بناءٍ بناؤهم ، وكان خير الآباء آباؤهم . أنا ابن الفروع الزكيّة ، والمصابيح المضيّة ، والأئمة الرضيّة ، الهداة المهديّة ، ضربوا بأسيافهم على التقى ، وأقاموا للناس معالم الهدى ، واستنقذوهم من الضلالة والرّدى ، ودوّخوا صناديد العدى .

أخرجنا الله من أكرم طبقة ، واصطفانا من الجواهر المكنونة ، واختصنا بالوحي والدينونة ، وجعلنا أهل السنن المسنونة ، ينزل وحي الله في أبياتنا ويمليه رسول الله على آبائنا وأمهاتنا ، وتحلّ الملائكة بعقواتنا[12] ، فلنا كلُّ فضل معقود ، وسناء محمود ، ونحن زين كل مشهد ومشهود ، وغرّة كلّ طارفٍ وتليد .

---

(١٣) اليعسوب : ذكر النحل ، ويقال لكل سيد .

ومنّا خيرة الله المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبى ، المؤثَر بسدرة المنتهى .

ومنا حمزة ، أسدُ الله وأسدُ رسوله ،وحامي المسلمين،وآفة المشركين ، وسيد شهداء المسلمين . كان في الجاهلية يعسوباً[١٣] ، ولماله وَهوباً ، وفي الإسلام سبّاقاً خطيباً ، وعلى الأعداء سلطاناً صليباً [١٤] .

ومنّا عليّ ، ذو السوابق السابقة [١٥] ، والمناقب الفائقة ، أقدم قريش سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأرجحهم حِلماً ، وأكرمهم بعد رسول الله ﷺ نفساً ، وأفضلهم ولداً وعُرساً ،وخيرهم مَحْتِداً وجنساً ، أصدق العرب باساً ، وأشدّهم للحرب مراساً .

ومنّا العباس ، المفضّل بسريرته ، المستمرّ بمريرته[١٦] ، المتحبّب إلى عشيرته ، كهفُ قريش إذا استكهفوا ، ورَأْفُهم إذا استرأفوا ، وعدلهم إذا استضعفوا .

ومنّا ابنه عبد الله ، خير الأخيار ، وابن السادة الأبرار ، العالم بكلّ مشكلة ، والقائم بكلّ مُعْضِلة .

ثم أنا ابن معاوية ، الوارث لكلّ فضيلة ، والمعطي لكل جزيلة .

---

(١٤) الصليب : الشديد . (١٥) في الموفقيات (الباسقة) .
(١٦) المريرة : العزيمة . واستمرّت مريرته : استحكم وقوي
(١٧) أنجد : ارتفع .

ثم لعبد الله ، المشتري الحمد بنواله ، المُؤثر على نفسه بماله ، من أنجد[17] ذكره وغار ، وغمر جودُه البحار ، وعَمّ عطاؤه الأمصار ، سلك سبيل المروءة ، وأخذ بأخلاق النبوة ، فتقبل شرف الأبوة .

ثم لجعفر الطيّار في الجنان ، الصارع الأقران ، المظهر البرهان ، القائم بطاعة الرحمن ، أشبه الناس بمحمد ﷺ خَلْقاً ، وأقربهم بنبيّه خُلُقاً ، وأسبقهم في الإسلام سبقاً ، وأحقّهم بكلّ شيء حقّاً .

ثم لأبي طالب ، مِدْره قريش إذا حشدوا ، ورئيسهم إذا حفدوا ، وعميدهم إذا اعتمدوا ، وفارج كربهم إذا جَهِدُوا ، وَلِد الكرامَ وولدوه ، وأشبه أباه وأشبهه بنوه .

ثم لعبد المطلب ، الواري الزناد ، الرفيع العماد ، المرغم الأعاد ، الناطق بالسّداد ، محتفِر زمزم خير الحفائر ، وعزّة عشيرته خير العشائر ، وأولاهم بالمناقب والمفاخر ، جمع قريشاً بعدما تفرّقوا ، وقادَهم حين استوسقوا[18] وكفاهم الذي منه أشفقوا ، وبذّهم حين نطق ونطقوا .

ثم لهاشم ، المُطعم في الأشتية والأصياف ، ومُحِلّ الوفود والأضياف ، ومَلْجأ الهاربين ، وعزّ الأحلاف ، والسابق إلى غاية الأشراف ، أطعم قريشاً حين أسْنَتَتْ[19] ،وكفاها المُلِمّة حين أضْلَعَت[20] ، وجاد بماله {حين أمسكت}

---

(١٨) استوسقوا : اجتمعوا . (١٩) أسنتت : أجدبت (٢٠) أضلعت : اشتد دينها .
(٢١) الأسناخ : الأصول . (٢٢) البذاخ : المفاخرة . (٢٣) في الأصل (تم الجزء الأول) .

وطال بناءَهُا حين ابتنت .

فأنا خير العالمين أشياخاً ، وأكرمهم أرومة وأسناخاً [٢١] ، وأعزّهم سبقاً وبِذاخاً[٢٢] ، وأخصّهم محلّة ومناخاً ، عليهم تنَزّل الأنباء ، ولهم دانت الأحياء ، وبفضلهم أقرّت الأملاء .

وأنا ابن أعلام الأعلام ، وابن سادة الإسلام ، معدنِ النبوّة والأحكام ، وأكرم { الأسلاف } أسلافنا ،وأطهر الأطراف أطرافُنا ،وأعزّ الأحلاف أحلافنا ، يضمحلُّ الفخر عندنا ، ويُنسى كلُّ ذكرٍ ذكرُنا ، ويصغُر كلُّ قدرٍ مع قدرنا .

فلما أكمل عبد الله هذا الكلام افترق هو والوليد من مجلسهما ، وعجب الحاضرون منهما ، وورود ذلك عنهما[٢٣] .

* * *

(١) كتب في الأصل قبل هذا (الجزء الثاني من كتاب جواهر الأخبار) .

الخبر الرابع والستون [1]

وبالإسناد [2] : أن علي بن أبي طالب صلّى الله عليه لما صفّ الناس للقتال يوم الجمل ؛ برز بين الصفّين ، ونادى الزبير {رضي الله عنه} ، فأجابه وخرج إليه ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبَه حتى اختلفت أعناق خيولهما ، ثم قال عليّ : نشدتك الله يازبير ، أتعرف يوم مرّ النبي ﷺ بي وبك ونحن نتناجى ،فضرب على منكبك وقال : « أما والله لتقاتلنّه وأنت له ظالم » ، فقال الزبير ، اللهم نعم ، إني كنت أُنسيت ، والله لا اقاتلنك أبداً . قال علي : اللهم اشهد عليه .

وانصرف الزبير حتى أتى عائشة وطلحة ، ونزل عن فرسه ، وأخذ حلّته لينصرف ، فقالت عائشة وطلحة : لِمَ تنصرف ؟ فقال : والله لاأقاتل عليّاً ، لقد ذكّرني قولاً لرسول الله ﷺ كنت قد نسيته . قالت له عائشة : ياأبا عبد الله ، فررت من سيوف آل أبي طالب ، إنها والله لطوال حِداد ، يحملها فتية أنجاد . وقال له طلحة : انْتَفخ والله سَحْرُك [3] . وقال له ابنه عبد الله : رأيت - والله - الموت عند ابن أبي طالب فامتلأت

---

(٢) روي خبر لقاء عليّ والزبير رضي الله عنهما يوم الجمل بروايات مختلفة ، بين مفصّل ومختصر: الإمامة والسياسة ٧٢/١ ، وتاريخ اليعقوبي ١٥٨/٢ ، ومروج الذهب ٣٦٢/٢ ، والفتوح لابن أعثم ٣٠٩/٢ ، والعقد ٣٢٢/٤ ، وتاريخ الطبري ٥٣٤/٤ ، وشرح نهج البلاغة ٢٣٣/١ .

(٣) يقال : انتفخ سَحْره للجبان . التاج - سحر .

(٤) من معاني اللكع : اللئيم ، والأحمق .

رُعباً وجبناً .

فغضب الزبير من تعييرهم إياه . وكان حديداً ، واستمرّ ابنه على تعييره وتأنيبه ، قال له : ويحك ، إني قد حلفت لعلي أني لاأقاتله . قال له ابنه : فكفّر عن يمينك . قال الزبير : غلامي مكحول حرّ كفّارة ليميني .

ثم دعا بفرسه الأشقر ، فركبه ، ثم حمل على القوم فخطبهم ، ثم كرّ الحملة ثلاث مرات ، وهو لايطعن ولايضرب ، ثم قال لابنه : أيفعل الجبان هكذا يالُكَع(٤) ، إنّما ردّني مالو عَلِمْتَه لكُسر ظهرُك ، ثم قال : قُم بأمر الناس .

فلما كثرت القتلى ، وخبّصت الدماء ، نادى عليّ : يازبير ، البراز ، فمضى الزبير يركض فرسه وهو يقول : أستغفر الله وأتوب إلى الله .

فلقيه(٥) الحُباب عمّ الفرزدق ، فقال له الزبير : أنا في ذمّتك وجوارك ، فإنها بلاد قومك ، قال له الحباب : نعم . وانطلق إلى عمرو بن جرموز وهو بوادي السباع فقال له : هذا الرجل ضيفي ، فأنْزله في بيتك الليلة حتى أتبصّر له منزلاً ، ولم يُعلمه من هو .

فربط الزبير فرسه بالشجرة ، وقال له : أتفرش له في البيت أم في العراء ؟ قال : لا في البيت . ففرش له ، حتى إذا جنّ الليل أنشأ الزبير

---

(٥) الرواية من هنا مختلفة تماماً في المصادر .
(١) الغزيرة : العين الكثيرة الدمع .   (٢) أضبع : أسرع .

يقول :

تَرْكُ الأمورِ التي يُخشى عواقبُها بالمرءِ أجملُ في الدنيا وفي الدينِ

نادى عليّ بأمرٍ لسْتُ أجهلُه قد كان -عَمْرُ أبيك -الأمرَ مُذْ حين

فقلت : حسبك من عذلي أبا حسن بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

فاخترت عاراً على نارٍ مؤجّجةٍ أنّى يقوم لها خلقٌ من الطين

اليومَ أرجع من غيّي إلى رشدي ومن مغالظة البغضا إلى اللين

فلما سمع ابن جرموز مقالته عرف أنه الزبير ، فتركه حتى إذا صار قائماً يصلّي طعنه من جُربان درعه ، فقتله ، وأتى بسيفه ورأسه إلى عِليّ ابن أبي طالب صلى الله عليه ، فلما استؤذن له على عليّ قال للخادم : ائذن له وبشّرْه بالنار . فلما دخل عليه وضع رأس الزبير وسيفه بين يديه فقال له : أقتلته بعد الرجعة والإيمان ؟ والله لو كان مجوسياً ماحلّ لك قتله دون الإعذار إليه ، أما والله لو خاصمك إليّ أولياؤه لدفعتك إليهم ، ولكن لاسبيل إلى القضاء بين الناس بغير خصومهم . ثم بكى عليّ طويلاً ، ثم قال له : ويحك ، لقد جئتني بسيف طال ماذبّ به الزبير عن وجه رسول الله ﷺ ، إنّا للّه وإنّا إليه راجعون .

ثم خرج عمرو وهو يقول : أفّ منكم أهل هذا البيت ، إن قاتلْناكم ففي النار ، وإنْ قاتلْنا معكم ففي النار ، وأنشأ يقول :

أتيتُ عليّاً برأس الزبير ... وقد كُنت أرجو به الزُّلفَةِ

فبشّرَ بالنار قبل العيان ... فبئس بشارة ذي التُّحْفةِ

فلما سمعت الذي قال لي ... رَجَعْت إلى حجّني زحفةِ

فقلت له : إن قتل الزبير ... لولا رضاك من الكُلفةِ

وربِّ المحليّن والُمحرمين ... ينكّسهم في ربا الجُحْفَةِ

لسيّان عندي قتلُ الزبير ... وضَرْطة عَنزٍ بذي النعفةِ

* * *

الخبر الخامس والستون

وبالإسناد عن الكلبي : أن معاوية بن أبي سفيان جلس للناس مجلساً عاماً ، فلّما اطمأنّ المجلس بأهله ، دخل عليه فتى جميل الوجه ، مديد القامة ، ذو غزيرتين [1] ، فانبهر منه معاوية وقال : ممّن أنت يافتى ؟ فقال الفتى : من رؤساء السُّلوف ، وحماة الصفوف ، ومكرمي الضيوف ، ومعطي الألوف . قال معاوية : من هم ؟ قال : أرباب القباب ، والأعطاف الرهاب ، والعيدان الصلاب ، والعطايا الرّغاب . فغضب معاوية وقال : من هم للّه أبوك ؟ قال الفتى : أطول الناس أرماحاً ، وأحسنهم فصاحاً ، وأبذلهم سماحاً ، وأضبعهم[2] جماحاً ، بنو عبد المدان ، مُقْصِعو الأقران ، ومنازلو الفرسان .

قال معاوية : إنّك لتفتخر هذا اليوم بأعراب أجلاف ، على ذوائب قريش ، وصُيابات [3] القبائل ، وثناؤك مائل ، ونسبك خامل ، وشرفك ناحل .

قال الفتى : مهلاً يامعاوية ، ربّ سيد من قومي ، مهيب الجلال ، جمّ النوال ، شديد المحال ، واري الزناد ، عالي العماد ، عظيم الرماد ، عطاؤه

---

(٣) الصُيابة : الخيار .

(٤) محتقب : جامع . (٥) الصَفد : العطاء ، أو الوثاق . (٦) اللّدد : شدة الخصومة .

جزل ، وقوله فَصل ، وأخذُه قهر ، ونواله غمر ، وربّ ملك - يامعاوية - بالتاج معتصب ، وللملك مُحْتقِب[4] ، وللأمم مُسْتَلِب ، قد أتيناه على صَفَدِه[5] ، وقوّمناه من لَدَده[6] ، حتى قِلي[7] من شدّة كمده ، وذلك يامعاوية أن قومك معتصمون بالأمصار ، ملتمظمون على الأوثار[8] ، ويتخطّفون تخطّف الوِبار[9] .

قال معاوية : ياهذا ، إنّي أخاف جهلك يُلقيك في صدور المهالك ، ويرديك في هوى الوَرْطة ، حتى تنشب في ملاحجها[10] ، وتَتِدُ هذه في أغوياتها[11] ، وتتضحضح في أهوائها[12] ، ولولا فضلُ أناة ، وعواطف حِلم لسطوت بك سطوة تكون لمن طمّ به جهله بعدك نكالاً .

قال الفتى : دون ذلك - والله لو رمته - رجال أُنُف . . . [13] ورماحُ زُغْف[14] ، وسيوف جُذْف ، وإن الأسنة المشرعة في صدرك بصفين لفي العوامل[15] غير نواصل ، والسيوف التي أنستك الحيا حتى . . . [16] لفي الغمد ، مَنْوطة بالنجُد ، وإنا وإياك لكما قال الأول :

---

(٧) قلي : انقطع . (٨) أي يتنعمون على الفراش الوطيء .
(٩) من معاني الوبار ؛ جمع وَبْرة : دابة كالسنور . (١٠) الملاحج : المضائق .
(١١) الأغويات : المهالك . (١٢) أي تنزل في أعماقها .
(١٣) في الأصل (وجبل أحنف) وقد تكون (وخَيْل حُنف) .
(١٤) الدروع الزُّغف : اللينة ، الواسعة المحكمة . (١٥) عامل الرمح : نصله .
(١٦) في الأصل (حتى حثيت البحا) وحتى الشيء : أحكمه .
(١٧) البيت للمتلمس - ديوانه ١٢٢ ، وديوان الحماسة ٣٣٢/١ . والمنجنون : الدولاب .
(١٨) في الأصل بياض .

هلمُّوا إلينا قد أثابت غُروسها وكرّت إليها المنجنون تكَدّسُ [17]

ثم أنشأ يقول :

أتوعدني معاوية بن صخر رُويداً يامعاويَ عن وعيدي

فإنّك و .... كالمنادي زئير الأسد من بلدٍ بعيد[18]

وإنك لو قدعت صفات قومي نَبَتْ وأبيك عن قرع الحديد

فلا يَنْظُرْك مُلْكٌ ياابنَ حرب وأقْصِرْ عن مناواة الأسودِ

* * *

---

(١) الخبر في ديوان المعاني ١/٧٧ ، ومابين المعقوفتين منه .

(٢) البيت لجرير - ديوانه ٢/٨٢٣ .

الخبر السادس والستون

وبالإسناد[1] : أن أعرابياً دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ممّن الرجل ؟ فقال : من الذين يقول فيهم الشاعر :

إذا غَضِبَتْ عليَّ بنو تميمٍ { حَسِبْتَ الناسَ كلّهمُ غِضابا[2]

قال : فمن أيهم ؟ قال : من الذين يقول فيهم الشاعر :

يزيدُ بنو سعدٍ على عدد الحصى وأثقلُ من وزن الجبال حلومُها

قال : فمن أيهم ؟ قال : من الذين يقول فيهم الشاعر :

ثياب بني عوف طهارى نقيّة } وأوجههم عند الهزاهز غُرّانِ [3]

قال عبد الملك : فمن أيهم ؟ قال الأعرابي : من الذين يقول فيهم الشاعر :

فلا وأبيك ماظلمت قريعٌ بأن يبنوا المكارمَ حيث شاءوا[4]

قال عبد الملك : فمن أيهم : قال الأعرابي : من الذين يقول فيهم الشاعر :

---

(٣) البيت لامرىء القيس - ديوانه ٨٣ .

(٤) وهو للحطيئة - ديوانه ١٠٢ ، والعمدة ١/١٢٩ .

(٥) للحطيئة أيضاً - ديوانه ١٢٨ .

(١) ذكر المسعودي في المروج ٣/٢٧٢ حوارا طويلاً بين الرجل والمرأة ، تكرر خمساً وأربعين مرة ،

سِيري أمام ، فإنّا الأكثرون حصىً والأكرمون - إذا ماينُسبون- أبا

قوم هم الأنف ، والأذنابُ غيرهمُ ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا(٥)

قال عبد الملك : اقعد ، لاأمّ لك ، فلقد خفت أن تفخر عليّ .

قال القاضي : يعني بالبيتين الأخيرين أنّه من بني أنف الناقة ، قبيلة من قبائل بني تميم ، وطريق هذا والذي قبله في إعجابهما بقبيلتهما - طريق كثير من الناس ، شهدت بذلك أشعارهم ، وتواترت به أخبارهم ، والحقّ في غير ذلك ، وهو أن يرى الناقص نقصه عمّن هو أزيد منه . وخفّته عمّن هو أرجح منه . ومامن قبيلة وإن شرفت إلا وقد رُميت بالثّلب وفرقت ، وأنا أذكر عقيب هذا الحديث خبراً يشمل على ذلك كلّه .

* * *

كلما انتسب إلى قبيلة قالت له : أفتعرف القائل فيكم ؟ وجزء كبير من الشعر الوارد هنا موجود في

الخبر السابع والستون

وبالإسناد [1] : أن رجلاً من العرب مرّ بحيّ من بني عامر ، معه شيء من المتاع ، فنزل بهم ، وأقبل لايحطّ شيئاً من متاعه إلا تمثّل بهذا البيت:

لعمرُك ماتبلى سرابيلُ عامرٍ من اللؤم مادامت عليها جلودُها [2]

فخرجت جارية من الحيّ ، فحادثتْه مليّاً ، وألانت له الكلام حتى طمع فيها وأنس إليها ،ثم قالت له :ممّن أنت من العرب؟فإني أحبّ أن أعرف نسبك . قال لها : أنا رجل من بني تميم . قالت : أفتعرف القائل فيكم :

تميمٌ بطُرْق اللؤم أهدى من القطا ولو سَلَكَتْ سُبْلَ المكارمِ ضَلّتِ
ولو أنّ برغوثاً على ظهر قملة يكرّ على أحيا تميم لولّت
ذَبحْنا فسمَّيْنا فتمَّ ذبيحُنا وما ذَبَحتْ يوماً تميم فسمّت [3]

فقال لها : والله ماأنا منهم . قالت : سبحان الله ، ماأقبح الكذبَ ، فممن أنت ؟ قال من بني عجل . قالت : أفتعرف القائل فيكم :

المروج ، ولكن بعضاً من الأشعار التي ذكرت هنا ليست في المروج .

(٢) البيت لأوس بن معراء . الأغاني ٤/١٣٢ ، والعمدة ٢/١٧٥ .

(٣) الأبيات من قصيدة للطرماح بن حكيم يهجو تميماً والفرزدق . ينظر الأبيات في الديوان ٥٩، ٦٣، ٦٥ .

(٤) القلس : حبل السفينة . (٥) صلّ الشيء : أنتن .

(٦) البيتان ليسا في المروج ، والكلمتان في أول الشطر غير واضحتين .

أرى الناسَ يُعطون الجـزيلَ ولاأرى عطايا بني عـجلٍ تضـرُّ وتنفعُ

إذا مـات عـجليٌّ بأرضٍ فـإنما يُخطّ له فـيـهـا ذِراعٌ وإصـبعُ

قال : ياهذه ، لست منهم . قالت : فما أكذبك ، فممّن أنت ؟ قال : من الأزد . قالت : أفتعرف القائل فيكم :

إذا أزدية ولدت غـلامـاً فـبـشّرْها بملاح مُجـيـد

يمدّ القَلْس مـعـتـمـداً عليـه كـأن عَجاجَه زُبَرُ الحديد (٤)

قال لها : والله ماأنا منهم . قالت : فممّن أنت ؟ قال : أنا من بني عبد القيس . قالت : أفتعرف القائل فيكم :

وإنّ عـبـد القـيس هم أذلاّ إذا تعـشّوا بصـلاً وخـلاّ

ومـالحـاً مـعـتـقـاً قـد صـلاّ باتوا يسُلُّون النسـاء سَلاّ(٥)

قال : ياهذه ، مـاأنا منهم ، أنا رجلٌ من طيء . قـالت : أفـتـعـرف القائل فيكم :

علـى كـلّ طـائـي من الـلـوم حلّة ..... وارتدى وتَعَمّمـا(٦)

لكلّ أناسٍ حـرمـةٌ يتّقـونهـا ولايتّقي الطائيُّ للّه مَحْرَمـا

(٧) البيتان للأخطل - ديوانه ٢/٦٣٦ .

(٨) بياض في الأصل ولم يرد البيتان في المروج .

قال : ياهذه ، ماأنا منهم · قالت : سبحان الله ، كم تكذب ، فممّن أنت ؟ قال : من بني لقيط · قالت : أفتعرف القائل فيكم :

ألا لعن الإله بني لقيطِ　　　بقية عصبةٍ من قومِ لوطِ

قال : ياهذه ، ماأنا منهم ، قالت : فممّن أنت ؟ قال من بني فزارة · قالت : أفتعرف القائل فيكم :

قوم إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ　　　قالوا لأمهمُ : بولي على النار[٧]

قال : ماأنا من هؤلاء · قالت : فممّن أنت ؟ قال : من بني مرّة · قالت أفتعرف القائل فيكم :

إذا مرّيّة ولدت غلاماً　　　فبشّرها بلؤمٍ مُستَفادِ

قال : لست منهم ، أنا من بني يشكر · قالت : أفتعرف القائل فيكم:

إذا يشكريٌّ مسَّ ثوبَك ثوبُه　　　فلا تذكرنّ الله حتى تطهّرا

قال : ياهذه ، لست منهم ، أنا من بني كلاب · قالت : أفتعرف القائل فيكم :

---

(٩) البيتان في ديوان الحماسة ٢١٦/٢ ، وينظر فيه مصادرهما ونسبتهما · والرتاج : الباب المغلق

ألست كُلَيـبـيّاً إذا سـيم خطّةً   يقـرّ كـإقـرار الحليلة للبَعْل

وكلّ كليـبيّ صـحـيـفـةُ وجـهـه   أذلّ لأقـدام الرجـال من النّعْل

قـال : ياهذه ، لست منهم ، أنا من بني عـذرة . قـالت : أفـتـعـرف القائل فيكم :

وعذرة شرٌّ مركبٍ المطايا   وأنذلُهمْ ومن ركب السُّفينا

قـال لهـا : والله مـاأنا منهم ، بل أنا من بني . . . [8]. قـالت : أفتعرف القائل فيكم :

قـومٌ إذا أكلوا أخـفَوا كـلامَهمُ   واستوثقوا من رتاج الباب والدار

لايقـبِسُ الجـار منهم فـضل نارهم   ولاتُكَفّ يدٌ عن حرمة الجـارِ[9]

قـال : يا هذه ، لست من هؤلاء ، أنا من قـيس عـيلان . قـالت : أفتعرف القائل فيكم :

لحي الله قـيساً قـيس عَيلان ، إنّهـا   أضـاعـت ثغـورَ المسلمين وولّت

فـشـاوِلْ بقـيسٍ في الطعـان ولاتكن   أخاها ،إذا ماالمشرفـية سلّت [10]

وعليه باب صغير .

(١٠) البيتان لعبد الرحمن بن الحكم ، ديوان الحماسة ٢/ ٢٠٠ . وشاول : دافع .

(١١) وهو للأخطل . ديوانه ٢/٤٨٣ ، وروايته (بالمكارم والعلى) .

(١٢) البيتان لأبي العطاء السندي . الشعر والشعراء ٢/ ٧٧٠ ، وسمط اللآلي ١/٦٠٣ ، والخزانة

قال : يا هذه ، لست منهم ، أنا رجل من ثقيف ، قالت : { أفتعرف القائل فيكم } :

أشرُّ الناس ماولدت ثقيفٌ ... وما ولدت سبيلهم الضلالُ

فإن أقبحت أو أحسنت فيهم ... فلا تغرر ، فذاك هو المحال

قال : ياهذه ، أنا رجل من الأنصار ، قالت : أفتعرف القائل فيكم :

ذهبت قريشٌ بالمكارم كلّها ... واللؤمِ تحتَ عمائم الأنصارِ (١١)

قال : ياهذه لست منهم ، أنا من بني هاشم . قالت : أفتعرف القائل فيكم :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم

فقد قام سعرُ التمرِ صاعاً بدرهمِ

فإن قلتمُ : رهطُ النبيّ ، صَدَقْتُم

كذاك النصارى رهط عيسى بن مريم(١٢)

قال : ياهذه لست منهم ، قالت : ثكلتك أمّك ، فممّن أنت ؟ قال : من بني أمية . قالت : أفتعرف القائل فيكم :

٥٤٥/٩ .

(١٣) آخر الشطر غير واضح في المخطوطة ، وفي المروج :

. . . . وهذا عدو الله إبليس فاقتلوا

وفي الحاشية أن في نسخة :

وهـي بأمـيّة بُنيانُـها   فهـان علـى الـله فقدانُها

قال : لست منهم ، أنا من الفرس . قالت : أتعرف القائل فيكم :

الفرس ، والفرس اللئام الرضَّعُ   لا قُدّستْ أرواحُهم مامُتّعوا

قال : ياهذه ، لست من ولد آدم . قالت : فمن نسل من أنت ؟ قال : من نسل الشيطان . فضحكت وقالت :

ألا ياعبادَ الله هذا عدوكم   ونسل لإبليس . . . (١٣)

قال : ياهذه ، أنا العائذ بالله ، ثم بك . قالت : فاحذر أن تنزل بقومٍ فتهجوهم حتى تعرف من هم ، ثم تركته وانصرفت .

* * *

. . . .   عدو نبي الله إبليس ينهق

(١) في الأصل (علي) وماأثبت الصواب . وينظر ترجمة محمد في الوفيات ٩٢/٥ ، وترجمة أبي العباس الكوفي - ثعلب ، ومصادرها في الوفيات ١٠٢/١ .

(٢) توفي داود بن نصير سنة ١٦٢هـ أو بعدها . ينظر أخباره في حلية الأولياء ٣٣٥/٧ ، وتاريخ

الخبر الثامن والستون

وبالإسناد : أن أبا العباس الكوفي كان ينادم محمد بن عبد الله[1] ابن طاهر بالريّ ، فلما كان في يوم من الأيام قال له : صف لي الطعام والشراب والطيب والنساء والخيل .

قال أبو العباس : أفتحبّ أن يكون ذلك منظوماً أم منثوراً . قال محمد : بل منثوراً .

قال أبو العباس : أطيب الطعام مالقي الجوع ، ووافق الشهوة .

قال محمد : فما أطيب الشراب ؟ قال أبو العباس : مدامٌ تُبرد بها غليلك ، وتُعاطي بها خليلك .

قال محمد : فأيّ السماع أطيب ؟ قال أبو العباس : أوتار أربعة ، وجارية متربّعة ، غناؤها عجيب ، وضربها مصيب .

قال محمد : فأيّ الطّيب أطيب ؟ قال أبو العباس : ريح بدن تحبّه ، وقرب ولد تربُّه .

قال محمد : فأيّ النساء أشهى ؟ قال أبو العباس : من تخرج من

بغداد ٣٤٧/٨ ، والسير ٤٢٢/٧ .

(٣) الحريش : الخشن . وهي في الأصل هكذا بإضافة الملح إلى الحريش !.

عندها كارهاً ، وترجع إليها والهاً .

قال محمد : فأيّ الخيل أفره ؟ قال أبو العباس : الأشدق الأعنق ، الذي إن طُلب سبق ، وإن طَلب لحِق .

قال محمد : أحسنت ، أعطه ياغلام مائة دينار . قال أبو العباس : وأين تقع مني مائة ؟ قال محمد : أعطه ياغلام مائتي دينار وزده خلعة .

قال القاضي : أطيب الطعام مالقي الجوع ووافق الشهوة ، ولم يأت بنفيس الأطعمة ولذيذ الأغذية المنعمة ، لأن الشبعان قد يرفض ذلك ولايلوي عليه . والجائع ماسدّ جوعته فهو أشره إليه ، ولذيذ عنده ولديه ، فكان ماسلكه أبلغ مما تركه ،ومما يشهد بذلك ماسمعناه عن الثقة أنه دخل على داود الطائي[٢] - وكان زاهداً - فوجده يأكل قرص شعير وملح حريش[٣] فقال له : ماهذا ؟ قال : نعم الغريم الجوع ، يرضيه ماأعطيته . قال له : كيف تشتهي هذا ؟ قال : أتركه حتى أشتهيه . يريد : أترك الأكل حتى أجوع فاشتهي هذا .

* * *

(١) الخبر بروايات وصور مختلفة في : أمالي الزجاجي ١٦١ ، وأخباره ١٧٧ ، والمروج ١٧/٤ ، والعقد ١٦٧/٦ ، وعقلاء المجانين ١٦٦ ، وذم الهوى ٥٣٤ ، ونهاية الأرب ١٩٠/٢ .
(٢) المسورة : المخدّة .

الخبر التاسع والستون

وبالإسناد عن أبي العباس المبرد ، أنه قال [1] :

دخلت يوماً أنا وأبو عثمان الجاحظ " المارستان " ، فجعلنا ننظر إلى المجانين ، بين كهل وغلام ، إذ بُهرنا بشابٍ حسن الوجه ، جميل الصورة ، عليه سيما الملوك ، جالس على حصير سامان ، مستند إلى مِسْوَرة(٢) وعدة مخادّ من ديباج وغيره ، مشدود بسلسلة إلى سارية ، فدنونا منه ، فسلّمنا عليه ، فردّ السلام ، ثم أمرَ بالجلوس ، فجلسنا إلى جانبه ، وسألناه عن حاله ، فأسبل ذراعيه ، وأنشأ يقول بصوت حزين :

اللـه أعلـمُ أنـني كَمِدِ ... لاأستطيع أبُثُّ ماأجدُ
بين الجـوانح جَمـرة تَقِدُ ... تنفي الكرى ، ويزورني السَّهَدُ
أترى المحبّين الأولى سلفوا ... وجدوا من الأحباب ماأجِدُ

فاستحسنّا ذلك ، وسألْناه الزيادة ، فأنشأ يقول :

---

(٣) سلح : تغوّط .
(٤) السجف : الشق بين السترين .
(٥) العنم : شجر له ثمرة حمراء ، تشبه به الأصابع المخضوبة .

ياوحشةً لحبيب كان يؤنسني | قد باعد النومَ عن عيني تباعُدُه
ماإن تراني يوما بعدَه فَرِحاً | وكيف يفرح صَبٌّ غابَ واجِده
وقد بقيت فريداً ليس لي أحدٌ | كأنّني كنت أعمى ضلّ قائده

فأعجبنا به إعجاباً شديداً ، وسألناه الزيادة ، فأدار يده من حيث لانعلم ، فسلح[3] فيها ، ورمانا بذلك ، فتبادر إليه قوم " المارستان " فنزعوا عنه تلك الثياب ، وألبسوه ثياباً نظافاً ، فانصرفنا عنه ، ثم عدنا إليه في الغد متنكّرين ، فسألناه عن خبره ، فأطرق مليّاً ، ثم رفع رأسه ، وأنشأ يقول :

لما أناخوا قُبيلَ الصّبْح عِيرهُمُ | وحمّلوها ، فثارت بالهوى الإبلُ
وأبرزت من خلال السَّجف ناظرَها | تَرْنو إليّ ودمعُ العين مُنهمِلُ[4]
ووَدَّعَتْ ببنانٍ عَقْدُه عَنَمٌ | ناديْتُ : لاحَمَلَتْ رجلاك ياجَمَلُ[5]
وَيْلي من البين ماذا حلّ بي وبهم | من نازح البين ، حلّ البينُ وارتحلوا
إنّي على العهد لم أنقُض عهودَهمُ | ياليت شعري لطول العهد مافعلوا

فالتفت إليه الجاحظ على سبيل المداعبة ، وقال له : ولاتدري

(٦) البيتان للمجنون ، ديوانه ٢٨١ ، وهما مع قصة في ذم الهوى ٣٩٠ .

مافعلوا؟ قال الشاب : لا يارجل . قال الجاحظ : ماتوا . قال الشاب : مات أحبابنا ونحن أحياء ، إذن والله ماأنصفناهم ، ثم توسّد ذراعيه ، وغمّض عينيه ، فإذا به قد فارق الحياة .

قال القاضي : الحبّ عند أهله أصعب من الجنون ، وكثير من جُنّ ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

قالوا : جُنِنْتَ على حبيّ ،فقلتُ لهم:	الحبُّ أعظم مافي المجانينِ
الحبّ ليس يفيق الدهرَ صاحبُه	وإنما يُصرع المجنون في حين(٦)

* * *

الخبر السبعون

وبالإسناد عن مطرف [١] :

أن عبيد الله بن العباس خرج يريد معاوية بن أبي سفيان ، فأصابه الغيث في الطريق ليلاً ، ورُفعت له نار ، فقال لغلامه مِقْسَم : اقصد بنا إلى النار،فقصدها ، فانتهيا إلى شيخ قاعد مع أهله ، فلما رأي الشيخُ عبد الله أعظَمَه لجماله ، فقال : إن كان هذا قرشياً فإنّه من بني هاشم ، وإن كان يمانياً فإنّه من بني آكل المرار . ثم التفت إلى زوجته فقال : هيّئي لي عنزك حتى أقضي بها ذِمام هذا الرجل . قالت له : إذن تموت ابنتي . قال الشيخ: الموت خير من اللؤم . فأخذ الشفرة ، وقام إلى العنز وهو يقول :

قرينتي ، لاتُوقظي البُنيَّهْ

إن تُوقظيها تَنْتَحِبْ عليَّه

وتنزع الشفرة من يديّهْ

أبَغْض بهذا وبذا لديّه[٢]

ثم {ذبح} العنز ، وقعد يحدّث عبيد الله حتى نضج اللحم ، ثمّ قرّبه إليه ، وأكل عبيد الله منه ، فلما أراد الرحيل قال لمقسم : هل معك من

---

(١) الخبر في الفاضل ٣٠ ، والجليس ٥٤٨/١ ، ولباب الآداب ٩٩ : وأورد ابن عساكر الخبر مرتين في أخبار عبد اله بن جعفر ٧٤/٩ ، وفي أخبار عبيد الله بن العباس ٦٧٩/١٠ .

(٢) في الأصل (أكرم . .) والصواب ماأثبت من المصادر .

المال شيء ؟ قال : نعم . قال : كم ؟ قال : خمسمائة دينار . قال : سلّمها إلى الشيخ قال : يامولاي ،يكفيه أن تضعف له ثمن شاته ، فهو لايعرفك ، ولايدري من أنت . قال عبيد الله : لكني أعرف نفسي ، وأدري من أنا ، إنّه لم يكن له من الدنيا غير هذه العنز ، فخرج لنا من دنياه كلهّا ، وأعطيناه بعض دُنيانا ،فهو أجود منّا . فسلّم الغلام الخمسمائة إلى الشيخ .

وسار عبيد الله حتى قدم علي معاوية ، فقضى حاجته ، فلما انصرف من عنده قال : يامقسم مُرّ بنا على الشيخ لننظر كيف حاله بعدنا . فلما انتهينا إليه إذا بإبلٍ عظيمة ، وحال حسنة ، قال له عبيد الله : إن رأيت أيها الشيخ أن تأتينا ، فافعل ، ففعل ، وأنشده الشيخ شعراً قال فيه :

توسَّمْتُه لما رأيْتُ مهابةً	عليه ، وقلت : المرءُ من آل هاشمِ
وإلا فمن آل المُرار ، فإنّهم	ملوكٌ عِظام من ملوكٍ أعاظم
فقمت إلى عنزٍ بقيّة أعنز	فأذبحها فعلَ امرىءٍ غيرَ نادم
لأقضي بها حقَّ القِرى فأثابني	مئين دنانيراً على رغم راغم[٣]
فعوّضني منها غناي ، ولم يكن	يقايس لحمُ العنز خمسَ دراهم
وقلت لعرسي في الخلاء وصبيتي	أحقّاً أرى ، أم ذاك أحلامُ نائم
فقالوا جميعاً : بل هو الحقّ ، هذه	يخبُّ بها الركبان نحوَ المواسم
بخمسِ مئينٍ من دنانير عَوَّضَتْ	من العنز ماجادت بها كفُّ آدم

(٣) هذا البيت لم يرد في المصادر .

قال القاضي : كان في آل النبي ﷺ في ذلك الزمان جوادان معدوما النظراء ، وهما عبد الله بن جعفر ، وعبيد الله بن العباس ، وأخبار جودهما مشروحة في كتاب « الأجواد » .

* * *

الخبر الحادي والسبعون

وبالإسناد : أن فتىً من الكتاب كانت له جارية فائقة الجمال ، تامّة الكمال ، بارعة الدلال ، وكان معجباً بها ، فأنفق ماله عليها حتى نفد المال وساءت به الحال ،فألجأته الضرورة إلى أن حملها إلى عبيد الله بن معمر[1] ، وعرضها عليه للبيع ، قال : أصلحك الله ، إني قصدتك بما ارتضيته لنفسي وخصصتك به بعد أن قهرت همتي ، وعصيت إرادتي . قال له عبيد الله : وماذاك ؟ فقصّ عليه قصّته .

فدعا عبيد الله بالجارية ، فلّما مثَلَت بين يديه قال : كم أمّلت فيها ؟ قال : مائة ألف درهم . فأمر له عبيد الله بمائتي ألف درهم ضعف ماطلب . قال : أصلح الله الأمير ، قد بلغت إليّ الغاية . قال له عبيد الله : أنت لذلك أهل ، وقد بقي لك حسن نظرك لنا ، وأمر له بمائة ألف ثالثة . فلما قبضها وأراد الانصراف أنشأت الجارية تقول :

---

(١) عبيد الله بن معمر القرشي ، أدرك النبي ﷺ ، وشارك في الفتوح . ينظر الاستيعاب ٤٢٥/٢ ، والإصابة ٤٣٢/٢ ، وتاريخ دمشق ٧٤٣/٧ .

وقد روى الخبر له في العقد ٣٠٠/١ ، وأسرار البلاغة للعاملي ٣٢٨ .

أما في الأغاني ١٠٦/١٤ ، وذم الهوى ٦٢٥ ، وتاريخ دمشق ٣٣٩/١٣ ، وشرح المقامات ١٩٠/٣ فذكر الخبر لابنه عمر - وهو من الأجواد أيضاً .

هنيئاً لك المالُ الذي قد قبضته ولم يبقَ في كفّيَّ إلا تفكُّري
أقولُ لنفسي وهي في غمراتها أقلّي،فقد بان الحبيب أو اكثري

فأنشأ سيدها يقول :

فلولا قعودُ الدهر بي عنك لم يكن يفرّقُنا شيء سوى الموت، فاعذُري
أروعُ بهمٍّ في فؤادي معرسٍ أناجي به قلباً كثيرَ التفكُّر
عليك سلامٌ لازيارةَ بيننا ولا وصلَ إلا أنْ يشاء ابنُ مَعْمَرِ

قال عبيد الله : قد شئت ، فخذ بيد جاريتك ، بارك الله لك فيها وفي المال ٠

فانصرف الفتى بالجارية والمال ، وعاشا بعد ذلك في أحسن حال ٠

قال القاضي : كان عبيد الله بن معمر من الأجواد المشهورين ، وقد تضمّن كتاب « الأجواد » جملة من أخبار جوده ٠

* * *

الخبر الثاني والسبعون

وبالإسناد عن علي بن جعفر أنّه قال :

دخلت إلى بعض بلاد الزنج ، فبينما أنا أسير ، إذا بجارية لم أر كجمالها وكمالها ، فبقيت أنظر إليها مبهوتاً منبهراً بما شاهدت من حُسنها ، فالتفتَتْ إليّ وقالت بلسان فصيح مليح : ماحاجتك - أيدك الله ؟ قلت : أنا والله أحبّك حبًّا قد أخذ بمجامع قلبي واستحوذ على خاطري ولُبّي . وشغل فكري وصدري ، ولم يكن بين وبينك معرفة متقدّمة ، ولاألفة سابقة.

فولّت عني ، ولم تُدرِ لي جواباً . فانصرفْتُ وفي قلبي مالاأطيقه . فلما كان في اليوم التالي بكّرت إلى الموضع الذي ألفَيْتها فيه ، فوجدتها قاعدة على باب دار ، فسلّمْت عليها ، فردّت علي السلام ، وأعدت إليها القول ، ونظرت إليّ ساعة ثم قالت : يافتى ، أتزعم أنّك لي محبٌ وفيّ راغب ؟ قلت : أجل والله ، إنّه لكذلك . قالت : إنّ لي أختاً أحسن مني وأجمل وأبهى وأكمل ، وأنا أحضرها إليك ، فإن أعجبتك فشأنك وشأنها ، وإن لم تعجبك فأنا لك وبين يديك . قلت لها : أحسنت وأنصفت ، فمتى تجمعين بيني وبينها . قالت : غداً إن شاء الله تعالى .

فانصرفْت عنها وقلبي قد خلا منها ، وتعلّق بحبّ أختها ولم أرها ، فلما كان من الغد بكّرت إليها ، وسلّمْت عليها ، وقعدت بين يديها ، ثم

قلت : ياسيّدتي ، الوعد ، قالت : الساعة تحضر . فجلست ملياً فلم أر أحداً . فقلت : ياسيدتي ، أبطأت عليّ أختك ، وقلبي متعلّق بها . وقد سبق القول في المثل : « تهنئة العطاء تعجيله » فبزقَت بزقة ملأت بها وجهي وقالت : إليك عني يامن ليس له ثبات ، إنّك تزعم أنّك تحبّني ، وقلبُك متعلق بغيري . فلم أرها بعد ذلك ،وبحثت عنها فإذا ليس لها أخت ، وإنّما أرادت أن تختبر صحة ودي ، ووفاء عهدي .

وانصرفْت وبي من التأسف عليها ما لاأُحسن وصفه،ولا أُطيق دفعه ، ولقد ذكّرني ذلك قول الشاعر :

قلبي وثّابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه

يهيمُ بالحُسنِ كما ينبغي ويرحم القُبح فيهواه[1]

وقال آخر :

فحُسّن لي في كلّ قومٍ أحبُّهم وما في فؤادي واحد منهم يبقى

قال القاضي : زعم هذه الجارية صحيح ، واختبارها اختبار مليح ، ومن صَدَق حبيباً هواه لم يقع في قلبه سواه ، وفي مثل ذلك يقول الشاعر :

(١) البيتان في الأغاني ١٤٤/٩ ، والوفيات ٣٩٠/٣ لابن المعتز ، ولم يردا في ديوانه .

حلفت لهـا بالله مـاحلٌ قـبلَهـا | ولابعـدَها من خُلّةٍ حـيث حلّت
وقـد زعَمت أني سـأبغي إذا نأت | بهـا بَدَلاً ، يابئْسَ مـابي ظنّت
ومـاأنْصَفَتْ ، أمـا النسـاءُ فَبُغّضت | إلينا ، وأمـا بالنّوال فـضنّت[2]

ولأبي عبادة البحتري في مثل ذلك يقول :

من مُنصـــفي من ظالمٍ مَلّكْتُه | وُدّي ولم أملك عـــزيزَ ودادهِ
إنْ كُنْتُ أعـرِف غـيـرَ سـالفِ وُده | فـبُليت بَعْدَ صُدودِه ببعـادهِ[3]

* * *

(٢) الأبيات في ديوان قيس بن الملّوح - المجنون ٨٧ . والبيت الأول في قصيدة كثير التائية - البيت السابع والثلاثون ص ١٠٢ ، وروايته :

فوالله ، ثم الله لاحلّ بعدها | ولاقبلها . . . .

والبيت الثالث جاء خامساً في قصيدة كثير ص ٩٦ .

(٣) ديوان البحتري ٧٠٣/٢ .

الخبر الثالث والسبعون

وبالإسناد : أن سبعةً من الأزد جاءوا إلى مطرود البَجْليّ يخطبون ابنته « عثمة »[1] وقد تهيّئوا بأجمل هيئة ، ولبسوا الحلل اليمانية ، وركبوا النجائب ، وكان لمطرود ابنة أخرى يقال لها « خود » ذات {حسن} وجمال ، وعقل وكمال ، وكان قومها لايقطعون أمراً دونها ، لِما جرّبوا من صواب رأيها ، وكانت له ربيبة كاهنة يقال لها « الشعثاء » .

فمرّ النفر الخاطبون على الشعثاء أولاً في زينتهم تلك ، ثم انتهوا إلى مطرود ، فعرّضوا له بالخِطبة ، فقالوا : بلغَنا أن لك بَكرةً حُرَّة ،تسرُّ النَّظَرة ، ونحن كما ترى في شباب يمنع الجانب ، ويمنح الراغب ، فقال لهم : كلُّكُم خِيار ، ولنا نظر ، فأقيموا نرَ رأينا ، ثم دخل على عثمة ، فقال لها : قد أتاك من تَرَين ، فقولي قولك : فقال : أنكحني ياأبت ، ولاتُشْطِط في مهري فتحقد عليّ زوجي ، فإن خطتني أحلامهم لاتخطني أحسابهم .

فخرج مطرود إليهم فقال : أخبروني بصفاتكم ، فقالت له الشعثاء : أنا أخبرك عنهم :

هم أخوة وكلُّهم أسوة ، أما أكبرهم **فمالك** ، جرىء فاتك ، يعمل

---

(١) كتب اسم المرأة في هذا الخبر ثلاث مرات (عفة ، عمتة ، عثمة) وقد رجحت الأخير .

السنابك[٢] ، ويستصغر المهالك .

وأما الذي يليه **فعمرو** ، بحر غمر ، صقر وأيّما صقر ، ويقصر دونه الفخر .

وأما الذي يليه **فعلقمة** ، شجاع عمعمة ، يفلق الجمجمة ، ويمنع الحُرْمة

وأما الذي يليه **فعاصم** ، سيد طاعم ، وجَلْد ضارم ، وجيشه غانم ، وجاره سالم .

وأما الذي يليه **فوثّاب** ، شديد الحجاب ، سريع الجواب ، عتيد الصواب ، كريم النصاب ، كليث الغاب .

وأما الذي يليه **فمُدرك** ، بكلّ وادِ يسلك ، بذول لما يملك ، يُعيي ويُهلك ، ودمَ الأبطال يسفك .

وأما الذي يليه **فجندل** ، فريُّه مُجَدّل[٣] ، مقلّ لما يحمل ، يعطي ويبذل ، وعن عدوّه لاينكل .

وكانت عثمة حيث تسمع كلام الشعثاء ، وترى الفتية ، فبعثت إلى أبيها : أنْكِحْني مُدركاً . فقالت لها أختها خود : أي أخيّة ، إن شرّ الغريبة يُعلَن ، وخيرُها يُدفَن ، أنكحي في قومك ، فلا يغرّنّك التمام ، فإن الفتيان كالنخل ، ومايدريك ما الدَّخْل ، فلم تقبل منها ، وأنكحها أبوها مدركاً

---

(٢) جمع سُنبك : طرف حلية السيف .　　(٣) الفريّ : المختلف المفتري . مُجَدّل : مصروع .

على مائة ناقة برعاتها .

وحملها مدرك ، فلم تلبث عندهم قليلاً حتى صبّحهم فوارس بني مالك ابن كنانة ، فاقتتلوا ساعة ، ثم انهزم زوجها وأخوته ، وتبعهم القوم يقتلون ويأسرون ويسبون ، فسبَوها فيمن سبَوا ، فبينما هي تَسايرُ معهم إذ بكت ، فقالوا لها : مايُبكيك ؟ أعلى جمال زوجك وفراقه تبكين ؟ قالت : ذكرت قول أختي ووصيتها ، وأعادت عليهم الحديث كلّه .

فقال رجل منهم شاب أسود ، أفوه ، مضطرب الخَلق : أترضين بي على أن أمنعك من أبطال العرب ؟ قالت لأصحابه : أهو كذلك . قالوا : نعم ، إنه على ماترين منه ، ليمنع الحليلة ، ويركب الطويلة ، ويسبي الجميلة ، وتتقيه القبيلة . قالت : أجمل جمال ، وأكمل كمال ، قد رضيت بك . فتزوّجها ، وأقامت عنده .

* * *

الخبر الرابع والسبعون

وبالإسناد : أن لقمان بن عاد [1] جاور قوماً من العمالقة ، فملأ عُسّاً من لبن ثم قال لجاريته : انطلقي بهذا العُسّ[2] إلى سيّد هذا الحيّ ، وإياك أن تسألي عن اسمه واسم أبيه .

فانطلقت حتى أتت الحيّ ، فإذا هم بين لاعب ، وعامل صنعته، ومَقبلٍ على صنعته ، حتى انتهت إلى نفر ثمانية ، عليهم الوقار والسكينة ، ولهم هيئة وهيبة ، فوقفت تتفرّس أيّهم تعطي ، إذ مرّت بها جارية ، فقالت جارية لقمان : ياجارية ، إن مولاي أرسلني إلى سيّد هذا الحي فنهاني أن أسأل عن اسمه واسم أبيه . فقالت لها الجارية : إنّي واصفتهم لك ، فخذي أيّهم شئت :

أما هذا فبغيض ، أوسعَ الحيَّ لحماً عريضاً ، ومِسْكاً رضيضاً ، وكساهم ثياباً بيضاً .

---

(١) ذكر أبو حاتم لقمان في المعمرين ص ٤ ، وهو غير لقمان الحكيم . ينظر تاج العروس - لقم. وقد ضُرب بلقمان الأمثال . ينظر مجمع الأمثال ٨٦/١ . ٢٢٢ . ٣٨٨ . ٤٢٧/٢ ، وفي الموضع الأخير نقل أنه كان أضرب الناس بالقداح ، وكان له ثمانية أقداح . بيض ، وحممة ، وطفيل ، وزفافة ، ومالك ، وفرعة ، وثميل ، وعمّار.

(٢) العُسّ : القدح الكبير .

(٣) القيافة : النظر في أعضاء المولود ومعرفة نسبه .

وأما هذا **فحُمَمة** ، غذاؤه كلّ يوم جزور سَنمة ، وبقرة شَحِمة ، ونعجة مُلَملمة .

وأمـا هذا **فزفافة** ، طرق الحيّ جـيش من الليل ، والولدان يتـحـدثون عنده ، فـقـام مـشـتـمـلاً وَسِناً ثَمِلاً إلى جذعـان الإبل وهو يحـسّهـا جَذِلاً ، فقدّمها إليهم ، لأولها وجيف ، ولآخرها حفيف .

وأمـا هذا **فمالك** ، أوّلنا إذا دُعـينا ، وحـامـينا إذا غـزَونا ، ومطعم أولادِنا إذا شَتَونا ، وفَرْج كلّ كربة أعيت علينا .

وأما هذا **فثميل** ، غضبه حيث يغضب ويل ، وخيره حين يرضى سيل في أهله عبدٌ ، وفي الجيش قَيل ، لم تحمل مثله إبل ولاخيل .

وأما هذا **ففرعة** ، إن لقي جيشاً أشبعه ، وأن لقي قرناً جعجعه ، خاب جيشٌ لايغزو معه .

وأما هذا **فعمّار** ، لايُضام له جار ، ولاتُخمد له نار ، للمطيّ عقّار ، أخّاذ وذّار .

وأما هذا **فطفيل** ، ليس في أهله بالمسرف الأشِر ، ولا البخيل الحصر ، ويمنع الحيَّ يوم الذُّعر .

فلمـا سمعت جارية لقمـان هذه المقالة تأمّلت مـالكاً فناولته العُسّ ، وكـان سيّدهم . فـقـال : من أنت ياجارية ؟ قـالت : جارية لقمـان بن عـاد .

قال: وكيف هو ؟ قالت : شيخ كبير . قال : وكيف بصره ؟ قالت : قليل ، وإنّه على ذلك ليعرف الشعرة البيضاء بين مريج اللبن ورغوته . قال : فما بقي من قيافته [٣] ؟ قالت : ضعف بصره ، واشتبهت عليه الآثار ، غير أنّه يعرف أثر الذرّة على الصفا في ليلة مظلمة ذات مطر . قال : كيف رميه ؟ قالت : ضعف عَضُده ، وأرعشت يده ، فما بقي من رمايته إلا أنّه إذا رمى لم تقم رابضة ، ولم تربض قائمة . قال : وكيف قوّته ؟ قالت : دقّ عظمه حتى حنى ظهره ، إلا أنّه إذا عدا في إبله احتفر لها من القائلة ركيةً [٤] فأرواها ، وإذا راح احتفر لها ركية فأرواها .

* * *

(٤) الركيّة : البئر .

(١) طاوس بن كيسان ، فقيه حافظ ، أخذ عن عدد من الصحابة ، توفي سنة ١٠٦هـ . ينظر حلية

الخبر الخامس والسبعون

وبالإسناد : أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى مكة ، فلما استقرّ بها قال : ايتوني برجل من الصحابة . قيل له : إنهم قد تفانَوا . قال : فمن التابعين . فأُتي بطاووس اليماني[1] . فلما دخل عليه خلع نعليه على حاشية بساطه ، ولم يسلّم عليه بإمرة المؤمنين ، ولم يقبّل يده ، ولم يكنّه ، وجلس بإزائه من غير أن يأذن له ، ثم التفت إليه فقال :كيف أنت ياهشام؟

فغضب هشام لذلك غضباً شديداً حتى همّ بقتله ، فقيل له : إنّك في حرم الله ، ولاتملك ذلك فيه . فالتفت إلى طاووس فقال : ماحملك على ماصنعت ؟ فقال طاووس : وماصنعت ؟ فازداد هشام لذلك غضباً ، ثم قال له : خلعت نعليك على حاشية بساطي ، ولم تسلّم عليّ بأمرة المؤمنين ، ولم تقبّل يدي ، ولم تكنّني ، وجلست بإزائي بغير أذني ، وقلت كيف أنت ياهشام ؟

قال له طاووس : أما خلعي نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعها كلّ يوم خمس مرات بين يدي ربّ العزة لايعاقبني ولايغضبُ عليّ .

الأولياء ٤/٣ ، والسير ٥/٣٨ .

(٢) سورة البقرة : ٥٥ . (٣) سورة آل عمران : ٥٢ . (٤) سورة ص : ٢٦ .

وأما قولك : لم تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين ، فليس كلّ المؤمنين يرضى بإمارتك ، فخفت أن أكون كذاباً .

وأما قولك : لم تُقبّل يدي ، فإني سمعت علياً عليه السلام يقول : لايحلّ للرجل أن يقبل أحداً إلا امرأته من شهوة ، أو ولده من رحمة .

وأما قولك : لم تكنّني ، فإن الله سمّى أولياءه ولم يكنّهم ، فقال : { ياموسى } [2] ، { ياعيسى }[3] ، { ياداود } [4] ، { يايحيى } [5] ، وكنّى أعداءه فقال : { تبّت يدا أبي لهب }[6] .

وأما قولك : جلست بإزائي بغير إذني ، فإنّي سمعت علياً أمير المؤمنين يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله رجال قيام .

فلما سمع هشام منه ذلك قال له : عظني . فقال طاووس : سمعت علياً أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إنّ في جهنم حيّاتٍ كالجمال ، وعقاربَ كالبغال ، تلدغ كلّ أمير لايعدل في رعيّته . فقام هشام هارباً ، وانصرف طاووس .

قال القاضي : كان طاووس ممّن صحب عليّاً صلوات الله عليه ، وكان

---

(٥) سورة مريم : ١٢ . (٦) فاتحة سورة المسد .

(١) حماد بن سابور ، الراوية ، علامة أخباري ، من أكثر العارفين بشعر العرب ، ومن أشهر رواته ،

شيعياً ، وكان طريقته النسك والزهد في الدنيا . وروى بعض السلف أنه سمع في الطواف جارية تدعو وتقول : اللهم اعصمني حتى لا أعصيَك ، وارزقني حتى لاأسأل غيرك ، ووفّقني حتى لاأرجو سواك . فقال لها : ياجارية . من علّمك هذا الدعاء الحسن ؟ قالت : أبي . قال : ومن أبوك ؟ قالت : طاووس اليماني .

* * *

الخبر السادس والسبعون

وبالإسناد : أن سليمان بن عبد الملك حجّ سنة ، فأُخلِيت له الكعبة ، وطاف ومعه جواريه ، فعثرت جارية منهنّ ، فقالت : ياشاد . ففكّر سليمان في ذلك وقال : مَن شاد الذي هو هجير جاريتي ومفزعها ؟ وسأل عنه طول مقامه بمكة وفي انصرافه إلى المدينة ، فلم يجد أحداً يخبره عنه . فلما وصل إلى الشام كتب إلى صاحب العراق أن احمل إليّ حماداً الراويةِ[1] مكرماً مرفّهاً عليه ، فحمله إليه ، فلما دخل عليه أكرمه وأجلسه ، وقال : ياحماد قد عرفت أشعار العرب كلّها وأخبارهم إلا من شذّ منهم ، أفتعرف أشعار العجم ؟ .

قال حماد : إنّي لأعرف من أخبار العجم أكثر مما أعرف من أخبار العرب . قال له سليمان : فمن شاد ؟ وهل تعرفه ؟ قال : نعم ، هو رجل من أبناء العجم ، جميل ظريف شاعر . قال : فهل تروي له[2] شيئاً ؟ قال : نعم ، هو القائل :

توفي سنة ١٥٦هـ . ينظر السير ١٥٧/٧ .

(٢) في الأصل (لنا) .

(٣) البيتان الأولان في ديوان عمر ١٥١ ، والأغاني ٥٣/١ .

من كـــان حـــرباً للنســـا ء فـــــإنّني سلمٌ لـهـنَّ

وإذا بــــــرزْن بمَحْفـــــل فــقــصـــارُهنّ مــلاحـــهنَّ

فـــــإذا عَثْرن دعَونـني وإذا عـــثـــرْتُ دعـــوتهنَّ

قال له سليمان : أنت أعرف الناس بأخبار الناس .

قال القاضي : في مثل ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة :

بيـنـمـــا يَنْعَتْنَني أبصـــرْنـني دون قـيـد الميل يعدو بيَ الأغـرّ

قـالت الصـغـرى : أتَعْرِفْنَ الفـتى قالت الكبرى :وهل يخفى القمر

وإذا مـــاعَثَرتْ في مِرطهـــا ابْتدت باسمي وقالت:ياعمر[٣]

* * *

(١) الخبر في شرح نهج البلاغة ٦/ ٢٨٥ ، عن كتاب " المفاخرات " للزبير بن بكار .

الخبر السابع والسبعون

وبالإسناد[1] : أنه اجتمع عند معاوية بن أبي سفيان { عمرو بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان } والوليد بن عقبة ، والمغيرة بن شعبة، فتكلّم عمرو فقال : يامعاوية ، إن الحسن بن علي بن أبي طالب قد أحيا أباه ، وقال فصدّق ، وأمر فأُطيع ، وخفقت النعال خلفَه ، وهذا رافِعُه إلى ماهو أرفعُ ، فلو أرسلت إليه فأخذنا لك منه . قال معاوية : والله ماأريته قطّ إلا كرهت عتابه ، وخفت جوابه ، ولئن أرسلت إليه لأنصفنّه منكم . فأرسَلوا إليه .

فلما ذهب الرسول قال عتبة : أما إذا أرسلتم إليه فانفُجوه[2] جميعاً نفج الخيل عن أولادها ، فإنّه لاينفرد بواحدٍ منكم إلا غلبه ، ولايتّسع للكثرة . فقال المغيرة بن شعبة : هذا والله الرأي ، والله ماتعولون الرجل بأعظم مما في أنفسكم ، ولايلقاكم بأعظم مما في نفسه ، وإنهم لأهل بيت مايخصّهم العيب ، ولايعمّهم العار ، وإنّهم لكما قال الشاعر :

مُحَسَّدون على ماكان من نعَمٍ   لاينزِعُ اللهُ عنهم ماله حُسِدوا[3]

---

(٢) نفج الشيء : أثاره .

(٣) البيت لأبي جويريه . أمالي القالي ١/١٠٦ ، وشرح المضنون به ١٧٥ .

(٤) في شرح النهج : « مالهم خَرّ عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم . . » .

فلما أتاه الرسول قال : أجِبْ معاوية . قال : مَن عنده ؟ فلما سمّاهم قال : اللهم أسقط عليهم السقف من فوقهم ، وآتِهم العذاب من حيث لايشعرون[٤] ، ثم قال : ياجارية ، أبلغيني ثيابي . ثم قال : اللهم إنّي أدرؤك في نحورهم ، وأستعيذ بك من شرّهم ، وأستعين بك عليهم ، فاكفهم بما شئت من أمرك ، ياقويُّ ياعزيزُ . ثم رفع رأسه إلي الرسول وقال : هذا دعاء الفرج .

ثم انطلق ، فدخل إلي معاوية ، فسلّم عليه ، ورحّب به وصافحه . فقال له الحسن : السلام والمصافحة أَمَنَةٌ . فقال معاوية : صدقت ، إنّي لم أرسل إليك ، ولكن هؤلاء غلبوني وأرسلوا لك ، فلايمنعك مكاني أن تجيبهم بما رأيت . قال : سبحان الله ، المنزل منزلك ، والإذن فيه إليك ، لئن كانوا غلبوك على ماأردت ، إني لاستحي لك من الضعف ، ولئن كُنت أجبتهم إلي ماأرادوا إنّي لأستحي لك من الفحش ، فبأيتها تقرّ؟ومن أيتها تعتذر ؟ فلو أعلمت أن هذا يراد بي لجئت معي من بني هاشم بعدّتهم ليكفونيهم ، وإن كان الله بي وليّاً ، فليتكلّموا .

فتكلّم عمرو بن العاص ، فقال : ياحسن ، إنّ أباك شتم أبا بكر ، وشرك في دم عمر ، وقتل عثمان ظلماً ، فأمّا أبوك فقد كفاناه الله ، وأما

(٥) البيت للحطيئة . ديوان ٢٨٤ .

أنت فقد صرت في أيدينا ، فنتخيّر فيك الأمور ، والله لو قتلناك ماخفنا فيك مأثماً ولا عيباً من الناس ، ولكنّا نأخذ فيك بما قال الأول :

ومـاوعظ المرء الكريم كنفسـه ... ولا لام مـثل النفس حين تلوم

ولا لكريمٍ واعظٌ مـثلُ نفسـه ... ولاساس أمرَ الناس مثلٌ كريم

ثم تكلّم عتبة بن أبي سفيان فقال : ياحسن ، إن أباك كان شرٌّ قريش لقريش ، أقطعهم لأرحامها ، وأسفكهم لدمائها ، وكان طويل اللسان والسيف ، يقتل الحيّ ، ويعيب الميت ، فأمّا أبوك فقد كفاناه الله ، وإنك من قتلة عثمان ، ونحن قاتلوك به ، وأما التي ترتقبها فلست لها بأهل ، لضعف رأيك ، وخبث مرائك ، وإنّك لما قال الأول :

وكانوا قومَنا فبغَوا علينا ... وكان البغيُ من دَرَك الشقاءِ

ثم تكلّم الوليد بن عقبة فقال : أما أنتم يابني هاشم فنعم ابن الأخت كان لكم عثمان ، وبئس الأخوال كنتم له ، قتلتموه جرأة على الله ، وقطيعة للرحم ، فكيف رأيتم صنع الله بكم ، وقد قال الأول :

من يفعل الخير لايعدم جوازيَه ... لايذهبُ العرفُ بين الله والناس[٥]

ثم تكلّم المغيرة بن شعبة فقال : ياحسن ، آلى[٦] الناس أنّ أباك قد

(٦) آلى : أقسم .

(٧) ينظر مجمع الزوائد ٧/٢٤٧ .

قتل عثمان ، وكان تصديق ذلك أنه آوى قتلته ، والله لبنو أمية لبني هاشم خير من بني هاشم لبني أمية ، ومعاوية لك خير منك لمعاوية ، ومعاوية لكما قال القائل :

وذي رحمٍ منّي قريب وصلتُه   بمالي ، ومايدري علامَ وصلتُه

فتكلّم الحسن بن عليّ رضوان الله عليه فقال : ماشتمني غيرُك ، ولاأبدأ إلا بك ، ولاأقول إلا دون ماهو منك :

منها أنّك خرجت بأبيك تقود به ، وأخوك هذا عتبة يسوق ، فلعن رسول الله ﷺ الراكب والقائد والسائق[٧] .

ومنها : أنّك كنت تخطّ بين يدي رسول الله ﷺ وكان يعجبه خطّك ، وأراد أن تكتب بين بني كنانة وبين بني فراس ، فأتاك الرسول مرّتين أو ثلاثاً ، كلُّ ذلك تقول : أنا أطعم ، فقال رسول الله ﷺ : « لاأشبع الله بطنه » [٨] . فأناشدُك الله ، هل تعرف ذلك من نهمك وأكلك ؟ .

ومنها : أن أباك أراد أن يسلم ، فنهيته ، وكتبت إليه بشعر ، لاتحسب أني أنسيته وأنت تقول :

---

(٨) صحيح مسلم - البر والصلة ٤/ ٢٠١٠ .

(٩) في الأصل (ياحرب) وماأثبت من شرح النهج . وينظر الفتوح لابن أعثم ٢/ ٤٨٤ .

ياصخرُ لاتُسلِمَنْ طوعاً فتفضَحَنا	بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا[9]
عـمي وجـدّي وعمّ الأم يالهمُ	قوماً ، وحنظلةٌ أهدى لنا الأرقا
لاتركِنَنّ إلى أمـرٍ تعـيّرُنا	به الحجيجُ ، إذا وافَوا منى حَرَقا
فالموت أهون من قول الصّباب لقد	حاد ابن هندٍ عن العُزّى إذا خَرِقا
وإن أبيت تَبِعْنا مـاتريد إذن	نلوي إلى اللات والعُزّى لنا عُنُقا

وأقبل على عمرو بن العاص فقال : أما أنت ياعمرو فوُلدت على فراش شرك ، وادّعيت أمّاً مجهولة ، فتخاصمت فيك رجالٌ من قريش : منهم أبو جهل بن هشام ، وصخر بن حرب ، والحرب بن النضر ، والعاص بن وائل ، وبغض الجدّ عادة،فغلب ألامهم نسباً ، وأخبثهم منصباً ، جزّار مكة .

ومنها : أنّك قمت في نادي قريش فقلت [10] : أنا شانيء محمد ، فأنزل الله على نبيه ﷺ { **إن شانئك هو الأبتر** } [11] .

ومنها : أن رسول الله ﷺ بعث جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ، فأردت أن تفسد عليه ومعك عمارة بن الوليد ، فلما أعياك ذلك احتلْت لصاحبك فقتلته ، ولاتحسب أني نسيت شعرك وأنت تقول :

---

(١٠) هكذا في الأصل . والصواب - الذي في شرح النهج والمصادر أن الذي قام أبوه العاص .

(١١) الآية الثالثة من سورة الكوثر . ينظر تفسير الطبري ٢١٢/٣٠ ، وتفسير القرطبي ٢٢٢/٢٠، والدر المنثور ٤٠٤/٦ .

(١٢) ينظر الطبري ٦٨/٢١ ، والقرطبي ١٠٥/١٤ ، والدر المنثور ١٧٨/٥ ، في تفسير قوله

وقـــائلةٍ أين {أين} الرحـــيلُ ... ومـــا السَّفْر عندي بمســـتنكرِ

فـقُلْت : دعــيني فـإني امـرؤ ... أريد النجـاشيَّ في جـعـفــر

فـــأكـــويه عـندهم كـــيَّة ... تقـــوّم في خـــدّه الأصـــغـــر

ومـــاأنثـني عن بني هاشمٍ ... وماسْطَعْت في الغيب والمحضر

وعن عـــائبِ اللات في قـــوله ... ولـولا رضـــا اللات لم تُمْطر

إنـي لأشنـا قـــــريشٍ لـه ... وأقـــولُهم فـــيـــه بالُمنكر

وأجـرا قُريشٍ على شـتـمـه ... وإن كــان كــالذهب الأحــمــر

فــإن يُرني الحقَّ تابعـــتــه ... وإلا لـويت لـه مـــشـــفـــري

ثم أقبل على عتبة بن أبي سفيان فقال له : أما أنت ياعتبة ، وقولك في عليّ : إنه طويل اللسان والسيف ، فما قتل إلا المشرك ، ولاعاب إلا الفاجر ، وأما قولُك : إنّك تقتلني ، فلو كنت قاتلاً أحداً لقتلت الذي وجدت على فراشك قد أمِن مضجعه في ليلة من الليالي ، أحسبه قد عاد إلى مثلها ، ولكنّك والله ماأشبهت أباك ، ولاخلفت أخاك ، ولو كنت مستحيياً من شيء لاستحييت من قول نصر بن الحجاج السُّلَمي إذ قال :

يالَلرجـــال لطارق الأحـــزان ولغُلْمــةٍ فَضَحَت أبا ســفــيـانِ

عُرس لعــتـبـةَ خالفـتـه فـراشـه لصــداقــةِ الهــذليّ من لحـيــان

وافاه معها في الفراش ولم يكن حُرًا ، وأمـسـكَ سـتـرة النسـوان

لله دَرّك خلِّ عـنهــا طالِقـــاً لـيــست وربّك عندنا بحَصـان

واطلبْ سـواها حـرّة مـأمــونة لاتـرضـينّ بـذلّة الـدّيـثــــان

لا تَتْبعَنْ ياعُتبَ نَفسَك حبّها إن النســا ء حـبـائلُ الشـيـطان

ثم أقبل على الوليد بن عقبة فقال : أما أنت ياوليد فحقيق ببغضه عليّاً ، لأن الله أنزل كتاباً سمّاه فيه مؤمناً وسمّاك فيه فاسقاً ، وجلدك حدّاً[12] وقتل أباك يوم بدرٍ صبراً ، ومالك وأحياء قريش ، إنما أنت علج من أهل صفورية . ولاتحسب أني نسيت قول صاحبك حيث يقول :

أنزل الله والكتـــابُ عـــزيزٌ في عـلـيّ وفـي ولـيــــدٍ قُرانا

فــتــبــوّأ الولـيــدُ حــافظَ فــسق وعـلـيّ مــــبــــــوأ الإيمانا

ليس من كـــان مــؤمناً بســـواءٍ لا كـمن كـان فـاسـقـاً خـوّانا

ســوف يُدعَى الولـيــدُ عـمــا قليلٍ وعليٌّ إلي الجـــزا ء عِيـــانا

ربّ جـــدٌ لعــــقـــبــــة بن أبان لابـــسٍ فـــي بـــلاده تــبّانــا

وأبو عـــمـــروٍ الذي انتـــخـــبــوه كـــان يُدعَى من قـــبله ذكْوانا

تعالى { **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون** } سورة السجدة : ١٨ .

(١) أبو مسلم الخراساني ، هازم الأمويين ، له أخبار طويلة في كتب التاريخ والتراجم ، قتل سنة

ثم أقبل على المغيرة بن شعبة فقال : أما أنت وقولك في بني هاشم وبني أمية وفي معاوية ، فإنّما ذاك لطلب نوال معاوية ، والله مامثلك عندي إلا كمثل البعوضة إذ سقطت على النخلة ، فقالت : استمسكي فإني أريد أن أنزل . فقالت النخلة : والله ماعلمت بسقوطك عليّ ، فكيف يشقّ عليّ نزولك ، وأنشد في ذلك :

قد خبّرتك رواة الشعر عن مثلٍ قد سار في الناس مروياً ولم يَبِدِ

عن البعوضة إذ قالت لنخلتها : استمسكي وخذي بالحزم والجَلد

فإنني عنك قبلَ الليل طائرة قالت : ففي غير حفظ الواحد الصَّمد

ماإن قعدت وَجدْنا ثقل ذاك ولا ظننتُ أنّك ياحمقاءُ في البَلدِ

فالآن طيري وعيني غير باكيةٍ عليك ، فامضي وُحلّي أبعدَ البَعَد

فقال معاوية : وأنتم أيضا فذوقوا .

فقال الوليد بن عقبة : والله ماذقنا شيئاً إلا وأنت قد ذقت ماهو أشدّ منه . فقال له معاوية : إنّك لعريض ، فقال : أجل ، وأن أبي لعريض .

ثم أقبل معاوية يقول : أمرتكم أمري فلم تسمعوا له ، وقلت لكم : لاتبعثُن إلى الحسن فإني وربّ الرفَضات عشيةً بركبانها يهوين من سرة اليمن أخاف عليكم من طول لسانه وبعد مداه عند تحريره الرسن ، فحسبكم ماكان من أقواله عقاباً ، وحسب المرء في اللحد والكفن ، فكيف رأيتم غبّ

رأبي ورأيكم ، إلا أنه دار السلام على المحسن ، فلما أبيتم كنت فيكم كبعضكم ، وكان خطأي فيه غبناً من الغبن ، فولعتم بغياً عليه وقدرة ، وقد يغترّ البعير المُجلّ عن السِّمَن .

ثم قال الحسن لمعاوية : إنّك قد أطعت فينا رجلاً ليس له بصر يهديه ، ولاحسب يحجزه ، فباعدك منا وباعدَنا منك ، وأغراك بنا وأغرانا بك ، وذكرك مانَسّاكَهُ الدهر ، وماعلى ابن شهم أن يصدع صفاة بني عبد مناف ، أما والله إني لاأرفعك عن عمرو أن تطيعه فيما يقطع بيننا وبين ، ولعمري إنّك باتهامه لجدير ، ولوددت أنّك أنشبت أظفارك فيه حتى يخور منك خوار الثور . فلما بلغ ذلك عمرو بن العاص أنشأ يقول :

معاويَ ، إنّي لم أبايعك فلتة	ومازال ماأسرَرْتُ منّي كما عَلَنْ
أيطمعُ فينا من أراد هلاكَنا	ولولاك لم يعرض لأحسابنا الحسن
على أنّه أجرا لؤيٍ بن غالب	على شتمنا جهراً وأخباه للفتن
وأقولُهم والناسُ يمشون حوله	أنا ابن رسول الله مفتقد المِنَن
وأعظِمْ بها من فتنة هاشمية	يدبّ بها أهل العراق إلى اليمن
وأُقسمُ بالبيت الذي نَسَكتْ له	قريشٌ لئن طوّلتَ للحسن الرسن
لتُبْعَثْنَ يوماً ماعليك غضيضُنا	يشيب العذارى أو يفصّل باللبنْ
إذا قيل يمشي مستحيلاً كأنه	شراحيلُ همدانٍ وسيفُ لذي يزنْ
وإلا فأعطِ المرءَ ماهو أهلُه	ولاتظلمنّا إنه لابنُ مَن ومَنْ

* * *

الخبر الثامن والسبعون

وبالإسناد عن محمد بن يزيد المبرد ، عن حماد الراوية أنّه قال :

مارأيت ملكاً ولاأميراً أكرمَ من أبي مسلم الخراساني صاحب الدولة[1] - يعني الذي كان زوال دولة بني أمية على يديه ، ولارأيت أسخى ، ولاآدب ، ولاأفصح منه :

استقدمني من الكوفة وهو بمرو ، فوافيته على البريد ، فلما دخلت عليه قال : ياحماد ، قد أسهَرْتني دالية كنت سمعتها في عنفوان شبابي ، ولاأدري ماهي ، غير أنّها في وصف سياسة المُلك . قال حماد : فما ورد كلام أغلظ منه ، لأنّي لم أجد أيَّ القوافي هي . قلت : فتحفظ منها حرفاً أو قافية ؟ قال : لا ، وإنما أراد امتحاني . قلت : لعلّها هي هذه :

تُهدى الأمورُ بأهل الرأي ماصَلَحَتْ ... فإنْ تولَّتْ فبالأشرارِ تنقادُ

لايصلحُ القومُ فوضى لاسراةَ لهم ... ولاسراةَ إذا أشرارهم سادوا[2]

137هـ . ينظر أخباره ومصادرها في السير 6/48 .

(2) البيتان للأفوه الأودي ، ديوانه 10 ، واللباب 40 .

(3) ورد في الحديث الشريف : « .. لايقبل منه صرف ولاعدل » في مواضع من الصحيحين. منها :

قال : أصبتها ، وماأردت غيرها · فأخبرني عن الصرف والعدل[3]، ماهما ؟ قلت : الصرف الاحتيال ، ومنه قيل : فلان يتصرّف : أي يحتال . والعدل : الفداء ، قال الله تعالى : { **وإن تَعْدِلْ كلَّ عَدْلٍ لايؤخذ منها** }[4]

قال : أنشدني في الغزل أحسن شيء ، وأفصحه وأرقّه ، قلت :

سُهادي مُقيمٌ والنعاسُ طريدُ ... ونوميَ من دون الجفون عقيدُ

إذا ماسلا صَبٌّ لطول إقامةٍ ... فحبّي على طول المقام يزيدُ

أمفترقان بعدما أينع الهوى ... وأورقَ منه في النضارةِ عود

أم انصرفت أيام لذّاتنا معاً ... وأخلق عيشٌ كان ، وهو جديد

بل الدهر محصورٌ علينا صروفُه ... ومن فات صرفَ الدهر فهو سعيد

قال : ياحماد ، أنشدني في الشجاعة أحسن ماعندك · فقلت : أيّد الله الأمير ، أنا أروى منه في هذا الفنّ كثيراً ، ولست أدري مايوافق الأمير قال : أنشدني · فأنشدته :

البخاري – كتاب فضائل المدينة ٤/ ٨١ ، ومسلم – الحج ١/ ٩٩٤ ، وقد جمع ابن حجر في الفتح ٤/ ٨٦ أقوال العلماء في الصرف والعدل .

(٤) سورة الأنعام : ٧٠ .

(٥) الشبا : جمع شباة : وهو الحدّ . (٦) الكوماء : الناقه العظيمة .

سُبكت أنامله بقـائم مـرفق ... وبنشـر فـائدةٍ وذروة منبـر

مـاإن يريد إذا الرمـاحُ شجرنه ... دِرعـاً سوى سربال طيب العُنْصُرِ

يلقى الرمـاحَ بصـدره وبنحـره ... ويُقـيمُ هامـتـه مـقـام المِغْفَر

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا ... فهدمت ركنَ المجد إن لم تعقر(٥)

وإذا تأمَّل شخصَ ضيفٍ مُقبلاً ... مُتَسَرْبلاً سـربالَ ليل أخـضـر

أومـا إلى الكومـاء : هذا طارقٌ ... نحـرتنيَ الأعداء إن لم تنحر(٦)

قال : حسن مليح فصيح ، أنشدنى في الإخوان ، فأنشدته :

أبْلُ الرجـالَ إذا أردت إخـاءَهم ... وتـوَسَمنّ أمـورَهـم وتـفـقّدِ

فـإذا ظفـرت بذي الأمـانه منهُمُ ... فـبـه اليـدين قـريرَ عين فـاشـددِ

ومـتى يزلّ - ولامـحـالة - زلّة ... فعلى أخيك بفضل حكمك فاردد(٧)

فاستحسنه ، فأنشدته :

إذا أنـت لـم تـنـفـع بـودّك أهـلـه ... ولم تُنْكِ بالبـؤسا عدوّك فـابعـدِ

وإن تكن النعمـاءُ عندك لامرىءٍ ... فـمثـلاً بهـا فـاجْزِ المُطالِبَ وارْدَدِ

---

(٧) الأول والثاني في أمالي القالي ٢/٢٢٦ للمقنع الكندي وهما في البهجة ١/٦٥٠ دون نسبة .
(٨) لاع ويليع : ضجر .

فاستحسنه ثم أنشدْته :

فنفسَك فاحفظْها من الغيّ والرَّدى مـتى تُغْوها يَغْوى الذي بك يقـتـدي
إذا مــاامــرؤ لم يرجُ منكَ مـودة فـلا ترجُهـا منه ولادفع مَشـهـد
وعَدّ سـواه القـولَ واعلمْ بأنّه متى لايُبنْ في اليوم يصرِمْك في الغد
إذا أنت فـاكَهْتَ الرجـال فـلاتلَعْ وقُلْ مـثلَ مـاقـالوا ولاتتـزَيَّدِ[8]
عن المرء لاتسـأل وسَلْ عن قـرينه فـكلُّ قـرين بالمقـارَن مـقـتـدي
فـإن أنت طالبت الرجـال نوالـهم فـعِفّ ولاتأتي بجـهـدٍ فـتُنْكدِ
ستـدرك من ذي الجـهل حـقّك كلّه بحِلْمك فـي رفقٍ ولما تشـدّدِ[9]

ثم قلت : أيّد الله الأمير ، إن بحر الأشعار غورُه بعيد،وقعره عميق . فقال : والله ماأحسد أحداً على ثروة مال ، وأيد ملك ، وعزّ سلطان ، إلا على بارع علم ثاقب في لياقة وظرف . فقلت : والله لقد منح الله الأمير ذلك كله . فقال : ياحماد ، بلغني حديث عن بعض العلماء ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : " تمام التقوى تعليم مالايعلم " . فقلت : أيها الأمير ، أنت معدن الحكمة ، ومحلّ الشرف ، ومناخ العزّ ، وسراج البهاء ، ونور القلب ، وعماد الظهر . والله ماحدّثت ملكاً ، ولاجاورت

---

(٩) هذه الأبيات والتي قبلها (إذا أنت . . .) لعديّ بن زيد - ديوانه ١٠٢ ومابعدها .
(١٠) النص السابق في المحاسن والأضداد ١٦ ، والمحاسن والمساوىء ٨٢/٢ ، والسير ٥٣/٦ ،

أميراً في شيء من العلوم والآداب إلا وأنت المُسَنَّم الغالب عليه ، وماأظنّ إلا وقد أحطت بالعلوم ·

ثم قلت : أيها الأمير ، بأي شيء أدركت هذا الأمر ؟ فقال : ارتديت بالكتمان ، واتّزرت بالحزم ، وساعدتِ المقادير ، فأدركْت مرادي ، وجُزْت حدّ بغيتي · وأنشدني :

أدركْت بالصبر والكتمان ماعَجَزت عنه ملوكُ بني مروان إذ قعدوا
مازلت أسعى إليهم في ديارهم { والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربْتهم بالسيف فانْتبهوا } من نومةٍ لم ينَمْها قبلهم أحد
ومن رعى غنماً في أرضِ مَسْبَعةٍ ونام عنها ، تولّى رعيَها الأسدُ[10]

ثم أنشدني بيتاً في الشيب لم يَسبق إلى مثله أحد ، وهو :

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسَه فلما علاه قال للباطل :ابعد[11]

ثم أنشدني أيضاً هذين البيتين :

ألا فامْهَدْ لنفسِك قبلَ موتٍ فإنّ الشيبَ تمهيدُ الحِمام
وقد جدّ الرحيلُ فكُن مُجداً بحطّ الرّحْل في دار المُقام

والتكملة منها ·
(١١) وهو لدريد بن الصمّة – ديوانه ٥٠ ·
(١) لم أقف على الخبر التالي ، ولم ترد الأبيات في ديوان النابغة الجعدي ·

قال : ياحماد . قلت : لبّيك أيها الأمير . قال : إن طول التعاشر بين الناس مملول ، فانصرفْ راشداً . فانصرفت متحيّراً ، إذ لم يصلني بشيَء ، فوافيت المنزل وقد سبقني رسوله بمائة ألف درهم ، ومائة ثوب ، وخمس مراكب ، وخمسة مماليك ، وخُلعة سنيّة فاخرة .

* * *

الخبر التاسع والسبعون

وبالإسناد[1] : أن النابغة الجعدي نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام يوماً وقد أقبلا ، فقال : من هذان ؟ قيل له : الحسن والحسين ابنا عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : رحباً على رحب ، وقُرباً على قرب ، هذان السيدان سبطا محمد ، ودعوتا إبراهيم ، وصريحا إسماعيل ، وفرعا قريش ، وشبلا هاشم ، وسيّدا أهل الجنّة ، وأنشد :

بدران من شمسٍ ، كريما نَبْعةٍ ... أفنانُها بهدى النبوّة تُزهرُ

من حجر طاهرةٍ لفرعٍ طاهر ... كرُمَتْ منابتُه وطابَ العنصر

الأطيبون أرومةً من هاشمٍ ... والأكرمون مآثراً لا تُنكر

جبريلُ منهم ، والنبيُّ محمدٌ ... والمروتان وزمزم والكوثر

والبيت ينسُبهم ويُنسب منهم ... ومنى يورّثها الصغيرَ الأكبر

وإذا وقفت على الجمار عشيّةً ... فخرت بهم جمراتُها والمشعر

شفعاؤنا عند الإله ومن به ... عام الرماد يجبَر المتمطّر

ياصفوة الله التي . . .[2] ... في الوحي جبريل الأمين الأطهر

أنتم هداةٌ كالنجوم لأهلها ... والبئر كم جاءت سماءً تهمُر

---

(٢) في الأصل (يتنابها) .

(٣) الخبر التالي في عدد من المصادر ، ينظر الشعر والشعراء ٢٨٩/١ ، والأغاني ١٣١/٤ ، وذكر

قال القاضي : كان النابغة الجعدي من شعراء الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام ، ووفد على النبي ﷺ . سمعنا بالإسناد عنه أنه قال(٣) : أتيت رسول الله ﷺ ، فأنشدته قصيدتي حتى انتهيت إلى قولي :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً واضحَ الحق نيّرا
بلغْنا السما مجْداً وجُوداً وسُؤدداً وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال لي : « إلى أين ياابن أبي ليلى ؟ قلت : إلى الجنّة بك يارسول الله . قال : « إن شاء الله » ثم انتهيت إلى قولي :

ولاخيرَ في حِلمٍ إذا لم يكن له بوادرُ تحمي صفوَه أنْ يكدَّرا
ولاخيرَ في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ماأورد الأمرَ أصدرا

فقال لي : « صدقت ، لايفضض الله فاك » ، فبقيت عمري أحسن الناس ثغراً ، وعُمّرت عمراً طويلاً ، فكنت كلما سقطت لي سنّ نبت مكانها أخرى ، بدعوة رسول الله ﷺ .

* * *

أخبار أصبهان ٧٣ ، وجمهرة أشعار العرب ١٥٣/١ ، والاستيعاب ٥٣/٣ ، وأسد الغابة ٥/٣ ، وخزانة الأدب ١٦٩/٣ ، والإصابة ٥٠٩/٣ ، ولابن حجر تعليق على الحديث .

الخبر الثمانون

وبالإسناد [1] : أن عيراً جاءت لمعاوية { رضي الله عنه } من اليمن تحمل جوهراً وعنبراً ووشياً ، فمرَّت بالحسين بن عليّ سلام الله عليه ، فأخذها وكتب إلى معاوية :

أما بعد ، فإنّي مرّت بي عير من اليمن تحمل جوهراً ووشياً وعنبراً ، وقد أخذت منها حقّي الذي أوحاه الله لي .

فلما وصل الكتاب إلى معاوية كتب إلى الحسين :

أما بعد ، فقد فهمْتُ كتابك ، وقد سوّغْتك ماأخذْتَ ، وكتبتُ إليك أبياتاً فافهمها ، وهي :

ياحسين بن عليٍّ ذا الأمل	لك بعدي وثبةٌ لاتحُتملْ
ليس بعدي لك من يحملها	ليس بين الملك والوثب عَمَلْ
ياحسين بن عليّ ليس ما	نلت من أسرك هذا بجَلَلْ
أخذُكَ المالَ ولم تُؤمَرْ به	إنّ هذا من حُسينٍ لعَجَلْ
قد أجزناها وفي إمضائها	عذرك اليومَ فدَعْ عنك العِللْ

---

(١) الخبر باختلاف يسير في شرح نهج البلاغة ١٨/٤٠٩ .

واحـــذَرَنْ بعـــدي أن تَصْلَى بِمَنْ   عذره " قد سبق السيف العَذَل "

لـيـــتـني ياابن أخي شـــاهدُها   فـأقــيــهـا عنك بالأمـــر الأجلْ

قال القاضي : زعم زاعم أن معاوية حرّض يزيد بهذا البيت على قتل الحسين . والأغلب أن ذلك ظنّ معاوية بولده ، لعلمه بإقدامه على ماكاع[٢] عنه ، وتركه الحياء ممن استحيا منه .

وروي أنه قيل ليزيد بن معاوية بعد قتل الحسين : ماعُذرك غداً عند رسول الله ﷺ ؟ فقال : « سبق السيف العَذَل » فاعتذر بما ذكر أبوه .

قال القاضي : وهذه الكلمة من أمثال العرب ، تضرب لمن حمله الغضب على فعل مايُعذل عليه . فأول من تكلم بهذا المثل ضبّة بن أدّ ، حيث قتل رجلاً في الشهر الحرام ، وكانت العرب لاتقتل فيه ، فعذله الناس في ذلك ، فقال : « سبق السيف العَذَل » [٣] .

* * *

(٢) كاع : جبن واستحيا .
(٣) ينظر مجمع الأمثال ٢٣٨/١ ، والمستقصى ١٦٨/١ ، ١١٥/٢ .

الخبر الحادي والثمانون

وبالإسناد عن الأصمعي : أن كثير بن هراشة[1] العامري والحجاج بن يوسف اجتمعا عند عبد الملك بن مروان ، وأراد أن يغري بينهما ليختبر منطقهما ، ويسمع مراجعتهما ، وكانا أديبَين خطيبَين ، فقال عبد الملك : يا ابن هراشة[2] ، كيف صارت ثقيف إلى قيس ، والعلماء يزعمون أنهم من إياد ، وقد قال شاعرهم أمية بن أبي الصلت :

قومي إيادٌ لو أنهم أمَمٌ ولو أقاموا فتُجْزَلُ النَّعَمُ[3]

فقال الحجاج : إن الحق أبلج ، والباطل لجلج ، ومسلك الطريق مُنهج ، ولم يحد من ركب الحقّ ، نحن من قيس ، ناس ثابتة أصولُنا ، شاهقةٌ فروعُنا ، ناضرةٌ غصونُنا . قال شاعرنا :

وإنّ إيادكم ضُلُّ بن ضُلّ وإنّا من إيادكم براءُ

وإنّا معشر من جَرم قيس فنسبتُنا ونسبتكم سواء

بَنَينا فوقكم ، فبنَوا علينا كما بُنيت على الأرض السماء[4]

---

(١) لم أقف على هذا الخبر . وقد ورد لكثير ذكر مع عبد الملك في الأغاني ١٥/١٥٨ ، وفيه (ابن هراسة) بالمهملة ، وفي كل المواضع هنا بالمعجمة .

(٢) هكذا في الأصل ، وجه السؤال لابن هراشة ، وأجاب الحجاج ، والحجاج ثقفي .

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت الثقفي ٧٢ .

(٤) البيت الأول في الدرّة الفاخرة ٢/٥٠٤ . ويقال : ضُلّ بن ضُلّ للمنهمك في الضلال .

فقال ابن هراشة : إن هذا لخطب جليل ، وشرٌّ وبيل ، وعارٌ طويل ، دخولُ رجلٍ في قوم ليس منهم ، وتركه عشيرته رغبة عنهم ، إلا أن يكون قد عرف أنّه ليس من الفريقين ، فأراد أن يسموَ إلى الذروة العليا ، حتى عمَت عليه آباؤه ، وأُجلبت عليه أعداؤه .

فقال الحجاج : مهلاً ياابن هراشة ، فإنّي لست من صعصعة بن زيد ، ولكنني امرؤ من بكر بن هوازن .

فقال عبد الملك : ياابن هراشة ، صدق الحجاج ، ألم {تسمع} قول قيس ابن زهير العبسي حيث يقول :

أقرِ السلام -هداك الله- مُرتحلاً ... على البهاليل من عوفٍ ومن جُشَمِ

أبناءُ قيسٍ لقيسٍ إن نسبْتهمُ ... أهلُ المكارم ضرّابين للبَهَم

إخوان صدق ، وقوم لست ناسبَهم ... مجدٌ تليل وبأس غير مُهتضَمِ

خيرُ مَعَدّ وأولاها بمأثرةٍ ... في قيس عيلان ، حمّالون للعِظَم

قال ابن هراشة : معاذ الله ، ماكثرنا من قلّة ، ولاعززنا بهم من ذلّة ، ولابنا إليهم من حاجة ، ولكن ساقتهم إلينا الفاقة حتى عَميت عليهم المذاهب ، وخرطتهم المخالب ، نحن قوم نحفظ الجوار ، ونحمي الذّمار ، وددنا أنهم رُدُّوا إلى عناصرهم ، فإنهم يُفسدون إذا صلَحْنا ، ولايصلحون إذا فسدنا .

قال الحجاج : ياابن هراشة ، والله إنّك لتمدّ بيد قصيرة،وأيام حقيرة ، وأتبـاع يسـيـرة ، ولاتتـورّع عـن المحـارم ، ولاتُسـتـعـان على العظائم ، ولاتستشار مع القوم ، ولاتُرجى لدفع اليوم ، ولاينتصر بك من اللوم . أما والله لولا مكان أمير المؤمنين لاستصعبت مركبك ، واستوعرت موطنك ، وتجافى عن الفراش جنبُك ، وأوردتك مورداً يكلّ عن مصدره .

قال ابن هراشة : أنت والله ياحجّاج أضعف كـوعاً ، وأقصـر باعاً ، وأشدّ روعاً من أن تنال شيئاً أهابه ، وأن توقع بي شيئاً أكرهه ، ولكنْ قُلْ في تضييعك الأمانة ، واستحلالك الخيانة ، وإظهارك الندامة ، وسوف ترى كيف تُبدلُ من حلوائها علقماً يمجّ به من لهاتك دماً حتى يطّلع أمير المؤمنين على مساوىء صنيعك ، فتسلم بجريرتك ، وتؤخذ بجنايتك ، فتطير مع العِذاق ، وتلوذ بتماثيل النّطاق .

فأقسم عليهما عبد الملك ، فسكتا .

فانصرف الحجاج إلى عمله بالعراق ، ففتح الله له ذلك ، فبعث عبد الملك وفداً إلى الحجاج فيهم ابن هراشة ، فصعب ذلك عليه ، وقال : أصلحك الله ، إنّك بعثتني إلى عدوّي ، وهو أمير قد شمخ بأنفه إلى السماء ، واجترأ على سفك الدماء ، وهو بأرض نائية ليس لي فيها مؤازر ولاحَفَدَة .

فقال عبد الملك : انطلق ، فالحجاج أصدق رأياً ، وأحكم لُبّاً من أن يقفك على جناية ، ويقيمك على خَزاية ، ولئن فعل ليفارقنّ إمارته ، وليخلفنّ ندامته ، ولكني أعرف أنه قد حَكَمَتْه تجاربه ، وأقصدته مذاهبه ، وعاده مودّته [٥] وعاد من طيشه ، وثاب إلى عقله .

فمضى ابن هراشة حتى دخل على الحجاج ، فلما نظر إليه قال : من أنت ؟ قال : ابن هراشة ، قال : مرحباً بأهل الرئاسة والشرف والعُدد والعُدّة من قوم كرام سادة ، حماة قادة ، كيف أنت وحالك ؟ قال ابن هراشة : أصلح الله الأمير ، إنّه كان بيني وبينك أشياء قد قصّرت بها ذَرْعاً ، وأنت صحيح الأديم في الحسب العميم ، لايُخاف منك الحَيف ، ولاَيملُّك الضيف ، فإن ترضَ عني فأنت أهل الاغتباط بعيشي .

قال الحجاج : والله مااحتجنا إلى دعائك ، ولارغبنا عن جزائك ، ولانؤاخذك بهزلك ، ثم أحسن جائزته وسرّحه .

فلمّا دخل على عبد الملك قال له : ياابن هراشة ، كيف رأيت رأيي ورأيك حيث قسمتهما ؟ لقد [٦] وجدتَ الحجاج كاملاً حليماً ،وقوراً حازماً ، لايأخذ الأمر بالخلسة ، لايعجل بالـ . . . ، ثابت الدعامة ، قليل السآمة .

---

(٥) هكذا في الأصل . يقال : عاده الشيء . صرفه .

(٦) هكذا في الأصل . وقد يكون الصواب (لقد وجدتُ الحجاج كاملاً . .) ويكون هذا من كلام ابن هراشة والذي بعده لعبد الملك ، أي : (قال : يا ابن هراشة . .) .

قال ابن هراشة : أصلحك الله ، أنت أدنى مني بصراً ، وأبعد غوراً ، قاتل الله الحجاج ، ماأثقب رأيه ، وأكمل عقله ، وأكيس أمره ، وأدوم حظه وأعلى لفظه ، وأيمُ الله لولا أنّه تقدّم لنا وتأخّرْنا له ، ليطحننّي طحن المِرْداة المَلَمْلَمة[٧] ، ماسقط قضم الفلفل الحائل .

*　*　*

(٧) المرداة الململمة : المطحنة المستديرة .

الخبر الثاني والثمانون

وبالإسناد [1] : أن وفداً من العراق قدموا إلى معاوية بن أبي سفيان بعد وقعة صفين ، وهم حيٌّ من ربيعة ، فكانوا مع عليّ عليه السلام بصَفين فيهم خالد السَّدَوسي ، وكان جميلاً ظريفاً بليغاً ، فلما دخل على معاوية وكلّمه أعجبه ، والتفت إليه وقال : ياخالد ، ماعلمت ما الحِنث ؟ قال : ما الحِنث يامعاوية ؟ قال : الحِنث لأسبينّ نساء ربيعة ، ولأبيعنّ الذراري . قال خالد : وماعلمت ماقلت يامعاوية ؟ قال : لا . قال : قلت :

يرومُ ابنُ هندٍ نذرة من نسائنا ... ودون الذي ينوي سيوفٌ قواضِبُ
سيوفٌ يُجَلّلْن الفتاة فتبتغي ... سوى بعلها بعلاً وتبكي القرائبُ
فإن أنت لاتُغضي على الحنث فاعترِف ... بحربٍ تشيّبُ اللحى والشوارب[2]

فأمر معاوية فأخرج ، فلما خرج كان من الغد الوفد ، فلم ير خالداً فيهم . فقال : عليّ بخالد { فلما دخل علي } معاوية ، قال : كيف قلت

(١) ذكر نصر بن مزاحم في « وقعة صفين » ٣٩٢ جزءاً من خبر لقاء خالد ومعاوية ، وأورد البيت الأول برواية (تمنى ابن حرب . .) مع بيت آخر غير التي هنا . كما ذكر له أخباراً في الوقعة ، وكان خالد ممّن نصروا علياً - غفر الله لهم أجمعين . وذكر ابن حجر في الإصابة ١/٤٥٤ خالداً في المخضرمين الذين لم يلتقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) في الأصل (تشيب منه) ولايستقيم الوزن ! .

ياخالد ؟ قال : بل كيف قلت يامعاوية ؟ قال معاوية : فإنّي قد أغضبت على الحِنث . فقال خالد : قد صَفَت لك طاعَتنا ، فأكرمه ، وأحسن جائزته.

* * *

الخبر الثالث والثمانون

وبالإسناد [1] : أن شريك بن الأعور الحارثي دخل على معاوية ، وكان دَميماً ،ذا منطق ٠فقال له معاوية : إنّك لَدَميم ، والجمال خير من الدمامة ، وإنّك لشريك ، وما لله من شريك ، وإنّك لابن الأعور ، والبصير خير من الأعور ، فبِمَ سُدْت قومك ؟

فقال شريك : وإنّك معاوية ، ومعاوية كلبة عوت واستَعْوَت [2] ، فسمّيت بذلك ، وإنّك لابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وإنّك لابن حرب ، والسلم خير من الحرب ، وإنّك لابن أميّة ، وإنّما أميّة تصغير أمَة ، فكيف صُيّرْت أمير المؤمنين ؟ ٠

فغضب معاوية ، وخرج شريك وهو يقول :

---

(١) الخبر بتمامه في أخبار شعراء الشيعة ٥٢ ، ومع بعض الأبيات في ربيع الأبرار ٦٩٩/١ ، والمستطرف ٥٧/١ ، وأسرار البلاغة للعاملي ٣٣٠ ، والبيت الأول لشريك في البرصان ٥٠٣ ، والاشتقاق ٤٠١ ، وكان شريك من كبار أنصار عليّ ٠

(٢) في المصادر (فاستعوت الكلاب) ٠

(٣) الرئبال : الأسد ، وجهم جمع أجهم : وهو العبوس ٠

أيشـتـمني مـعـاويةُ بنُ حَربٍ	وسـيـفي صـارم ومـعي لسـاني
وحـولي من ذوي يُمن ليـوث	ضـراغـمـةٌ تهشّ إلى الطِعـان
يُعـيّر بالدمـامـة من سـفـاه	وربّاتُ الحـجـال هي الغـواني
ذوات الحـسن والرئبـال جُهْمٌ	شتـيمٌ وجهـه مـاضي الجنان[3]
فـلا تبسط لسـانَك ياابن حربٍ	علينا إذ بَلَغْتَ مـدى الأمـاني
فـإنّك للشـقـاء لنا أمـيـر	وإنّا لا نقـيـمُ عـلى الهـوانِ
فـإنْ تَكُ من أمـيّةَ في ذُراه	فـإنّي من ذُرا عـبـد المَدانِ

* * *

(١) في الأصل (عقبة) . وفي الجليس والأنيس ٤٦٣/١ : دخل رجل على خالد عبد الله القسري

الخبر الرابع والثمانون

وبالإسناد : أن أعرابياً جاء إلى قتيبه بن مسلم[1] فقال : إنّي قد قلت فيك بيتين من شعري ، ولست أنشدهما إلا بعشرة آلاف درهم وغلامٍ يحملها . قال له : فهاتها ، فأنشأ يقول :

لَزِمْتَ "نعم" حتى كأنّك لم تكن   سمعت بـ "لا" في سالف الدهر والأمم

وأنكرت "لا" حتى كأنّك لم تكن   سمعت من الأشياء شيئاً سوى "نعم"[2]

فدفع إليه عشرة { آلاف } دينار وعبداً يحملها .

قال القاضي : قد أكثر الناس في « نعم » و « لا » ، وجاء بقريب من هذا المعنى أبونواس حيث يقول :

أترى « لاءً » حراماً   وترى هاءً حلالا[3]

وأحسن ماقيل في ذم « لا » قول البحتري :

وذكر قريباً منه .

(٢) تكرر في الأصل الشطر الثاني من هذا البيت كالذي قبله . وماأثبت من الجليس .

(٣) ديوانه ٤٨٩ . وهاء : خذ .

(٤) لم ترد في ديوان البحتري ، وكتبت في الأصل على أنها بيت واحد ، وفيه (تقطع الوصل ولا)

قُبِحت لا كأنها صَوّرَتْ صورةَ الحُلُمْ

تقطع الوصل ...... تتأبّى على الكرَمْ(٤)

وفي ذلك يقول الشاعر :

حَسَنٌ قول "لا" قبل نعم وقبيحٌ قول "لا" بعد نَعَمْ

قولُ "لا" بعد نعم فاحشة فبها فابدأ إذا خِفت النَّدَمْ

قال القاضي : ليس يريدُ لا قبل نعم أحسن من نعم ، وإنّما مُقَدّمها قد يعذر ، ومؤخّرها لايعذر ، وفي ذلك يقول الشاعر :

إذا قلت في شيء نعم فأتّمه فإنّ نعم فرضٌ على الحرّ واجبُ

وإلا فقل لا تسترحْ وتُرِحْ بها لئلا يقول الناسُ إنّك كاذب(٥)

قال القاضي : وأما اقتصار هذا المادح على بيتين فإن العرب تفعل ذلك كثيراً ، فإذا طالت جاءت بالتصريح والدّعوة ، وإذا اختصرت جاءت بالتصريح المحض . ومن ذلك مايروي أن شاعراً وقف على يزيد بن حكيم ورحله في الركاب ، فاستأذنه في الإنشاد وقال : هما بيتان ، فأذن له ،

ولا يستقيم .

(٥) حماسة البحتري ١٤٥ لهرم بن غنام السلولي . وينظر العقد ٢٤٥/١ ، والمحاضرات ٢٦٩/١ ، والبهجة ٣٢٩/١ ، ٤٩٦ .

(١) الخبر في الأغاني ٧٣/٧ ، والمحاسن والمساوىء ١٦٥/٢ . وخالد بن صفوان : علامة بليغ

فأنشد :

يا أوحدَ العرب الذي أمسى وليس له نظيرُ
لو كان مثلك واحدٌ ما كان في الدُّنيا فقير

* * *

الخبر الخامس والثمانون

وبالإسناد عن خالد بن صفوان [1] أنه قال : كنت عند مسلمة بن عبد الملك يوماً ، فقال لي : ياخالد ، أخبرني عن هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين قطعوا أعمار الناس ، وهتكوا أستارهم ، وأفسدوا أشعارهم ، فعلمت أنه يريد الفرزدق وجريراً والأخطل . فقلت :

أصلحك الله ، أمّا أفخرهم فخراً ، وأوزنهم شعراً ، وأركبهم وعراً ، وأشردهم مثلاً ، وأحسنهم عذلاً [2] ، السامي إذا افتخر ، والطامي إذا زخر [3] ، فالفرزدق .

وأمّا أغزلهم بيتاً ، وأقلُّهم فَوتاً ، والقريب المأخذ ، والماجد الخِضْرِم ، والذي إذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع ، فالأخطل .

وأمّا أرقُّهم شعراً ، وأغزرهم بحراً ، وأهتكهم ستراً ، وأشدُّهم أذى ، وأحسنهم عتاباً ، فجرير .

قال القاضي : الأخطل أقدم هؤلاء في الشعر ، وإن كان قد جمعهم وهو شاعر بني تغلب في وقته ، وكان شاعرهم قبله كعب بن جعل [4] ، فلمّا

فصيح . ينظر السير ٦/٢٢٦ .

(٢) في الأغاني (عذراً) وفي المحاسن (عذلاً) . والعذل : الملامة .

(٣) زخر البحر وطما : ارتفع .

(٤) كعب بن جعل شاعر ، أقدم من الأخطل والقطامي ، ينظر طبقات فحول الشعراء ٢/٥٧٢ ، والشعر والشعراء ٢/٦٤٩ .

(٥) نسبهما البكري في السمط ٢/٨٥٤ للأخطل ، وينظر تعليق المحقق . أما في الشعر والشعراء

حضرته الوفاة قال : يعزّ عليّ يابني تغلب أن أموت وليس فيكم شاعر يذبّ عنكم بعدي . فقالوا : هذا غلام نصراني منا قد أنجب في الشعر . قال : ايتوني به . فأتوه بالأخطل . فلمّا رآه قال : إن كنت تُحسن من الشعر شيئاً فاهجُني ، فأنشأ الأخطل يقول :

وسمّيت كعباً بشرّ العظام ... وكان أبوك يُسَمّى الجُعَلْ

وأشْبَهْت أمّك لم تعدُها ... وفي ذاك عارٌ لمن قد عَقَلْ

وأصبحت تحتلّ من وائلٍ ... محلّ القُراد من است الجمل[٥]

فقال له كعب : عليه لعنة الله،وعلى من جاء به،هذا شاعركم بعدي .

قال القاضي : أما الفرزدق فكان جدُّه غالب سيداً في قومه، وكان من استجار بقبره لم يعدُ عليه أحد[٦] ، فذلك معنى قول خالد بن صفوان : إنّه أفخرهم فخراً . وشعره عند جماعة مَقدَّم على شعر جرير ، منهم الصَّلَتان[٧] ، سُئل عنهما فقدّم الفرزدق وقال في ذلك :

فقد ورد الأول والثالث ، وأنهما للأخطل وكعبٍ كليهما . ولم يردا في ديوان الأخطل .

(٦) ينظر الاشتقاق ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٧) في الأصل (الأخطل) وصوبت من المصادر والصلتان العبدي شاعر معاصر لجرير والفرزدق . ينظر الشعر والشعراء ١/٥٠٠ ، والسمط ٢/٧٧٦ ، والخزانة ٢/١٧٨ .

وقد ورد في المصادر أن الصلتان حكم بين جرير والفرزدق ، ففضّل الفرزدق بقومه ، وجريراً بشعره ، فرضي الفرزدق وقال : إنما الشعر مروءة من لامروءة له ، وهو أحسن حظّ الشريف . وأما جرير فغضب . ينظر : النقائض ٢/١٠٥ ، وطبقات الفحول ١/٤٠٣ ، والشعر والشعراء ١/٥٠٠ والأمالي ٢/١٥٨ ، والسمط ٢/٧٦٦ ، والخزانة ٢/١٧٦ .

(٨) مابين المعقوفين من المصادر . (٩) في المصادر (دارم والأقارع) .

(١٠) ملحق الديوان ٢/١٠٣٧ . والطبقات ١/٤٠٥، ٤٤٩ ، والشعر والشعراء ١/٥٠١ ،

وإن يكُ بحـــرُ الحنظلين واحـــداً   فـمـا يسـتـوي حيـتـانُه والضـفـادعُ

ومـايسـتـوي صـدر القناة وعـجـزها   {ومـايسـتـوي شُمّ الذّرى والأجـارع

وليس الذُّنابي كالقدامى وريشه}[8]   ومـاتسـتـوي في الراحـتين الأصـابع

كُليبٌ أناس يُعـرَفـون بشـعـرهم   وبالمجـد تحظى دارم ومـجـاشع[9]

فـيـاشـاعـراً ، لاشـاعـرَ اليـوم مـثلُهُ   جـريرٌ ، ولكن في كليبٍ تواضع

ويرفـع من شـعـر الفـرزدق أنّه   ينوء بقـومٍ للخـسـيـسـة رافع

فلما بلغ ذلك جريراً قال :

بكيت،ولم أملك سوابق عَبْرةٍ   متى كان حكمُ الله في كَرَب النخل[10]

فأجابه خُليد عَينين[11] فقال :

وعـيَّرْتني مـالاً كـثـيـراً وقـرية   وودّ أبوك البـغل لو كـان ذا نخلِ

وأي نبيّ كـان من غـيـر قـومـه   وما الحكم-يامصّان-إلا مع الرسلِ[12]

والسمط ٥٩٨/١ ، ٦٦/٢ .

(١١) في الأصل (خالد بن صفوان) وهو كغيره من الأخطاء الكثيرة التي وقعت في هذا الخبر . ينظر خبر خليد في الشعر والشعراء ٤٦٣/١ .

(١٢) ورد البيتان في عدد من المصادر - لخليد أو الصلتان - وروايات فيها اختلاف عما هنا . ينظر الطبقات ٤٠٥/١ ، ٤٤٩ ، والسمط ٧٦٦/٢ ، والخزانة ١٧٨/٢ .

(١٣) صدر الثاني مضطرب في المخطوطة ، وأثبت من المصادر : ديوان جرير ٥٧٧/١ ، والمصادر السابقة .

(١٤) القصة في الأغاني ٤١/٧ .

فأجابه جرير فقال :

فـــخلِّ الحكمَ ياابن أبي خُليـــدٍ وأدِّ تُخـــومَ خَرجك كـلِّ عــــام

لقــــد علقت يمينك رأس ثورٍ ومــاملكَتْ يمينُك من لجـام[13]

قال القاضي : إن شعر الفرزدق أصلب من شعر جرير ، و{جرير} أرقُّ شعراً ، وأغزر بحراً . ومما قيل فيهما : إن الفرزدق ينحت من صخر ، وجرير يجرف من بحر ، وفي هذا حكاية وهي[14] : أن الفرزدق قدم المدينة ، فنزل على الأحوص الأنصاري[15] ، فقال له : ماتمنّيت أن تجد عندي؟ قال : تمنيت أن أجد عندك غناءً وطيباً [16] وشراباً . قال الأحوص : فإنهم جميعاً عندي ، وأخرج له جارية فتغنّت :

ألا حيِّ الديارَ بســـعـــدَ إنّي أحبّ لحبّ فـــاطمــــة الديارا

إذا مــــاحلّ أهلي ياسُليـــمى بدارة صلصلٍ شـــحطوا المزارا

يحنّ فـــؤادهِ والعينُ تلقى من العبـرات جَوْلاً وانحـداراً[17]

---

(١٥) الأحوص شاعر أموي ، له أخبار مشهورة . ينظر الشعر والشعراء ٥١٨/١ ، والأغاني ٤٠٤/٤ .

(١٦) في الأغاني (وطلاء) .

(١٧) ديوان جرير ٨٨٦/٢ ، والأغاني .

(١٨) في الأغاني : (مع شهواتي).

(١) الخبر بصور مختلفة في : طبقات فحول الشعراء ٤٠٠/١ ، والنقائض ٣٨٤/١ ، والشعر والشعراء ٤٧٩/١ ، وتاريخ الطبري ٥٤٨/٦ ، والأغاني ٨٦/١٤ ، وشرح المقامات ٢١٧/٢ .

(٢) المراغة : لقب أم جرير . (٣) ديوان الفرزدق ٣٦١/١ .

فقال الفرزدق : ياأهل القرية ، ماأرقّ شعركم ، وأظرف كلامكم ، قالوا : أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا . قالوا : إنه لجرير . قال : قاتله الله ، ماأحوجه من عفّته إلى فحولة شعري ، وأحوجني إلى رقة شعره مع غزلي[١٨] .

* * *

---

(٤) ديوان جرير ٢/١٠٠٥ وأبو رغوان كنية مجاشع جدّ الفرزدق . وابن ظالم : أحد فتّاك العرب.

الخبر السادس والثمانون

وبالإسناد[1] : أن الفرزدق دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده أسارى من الروم ، والناس حوله ، فدعا بأسير وقال : ياأبا فراس ، اضربْ عنقه ، فهزّ الفرزدق سيفه ثم ضربه فلم يقطع منه شعرة ، ونبا سيفه ، فضحك سليمان والنّاس الذين حوله . فقال الفرزدق : أقِلْنيها ياأمير المؤمنين . قال : لا والله ، أو يقول فيك ابن المراغة(٢) مايقول حتى أقلدها عارّها وشارّها . فأطرق الفرزدق ، ثم رفع رأسه ، وأنشأ يقول :

أيَعجبُ الناسُ أن أضحكْتُ سيّدَهم ... خليفةَ الله يُستسقى به المطرُ

لم ينبُ سيفي من جُبْنٍ ولادَهَشٍ ... عن الأسير ، ولكن أخّر القدَرُ

فلو ضربْت على عمدٍ مقلَّدَهُ ... لخرّ جثمانُه مافوقه شعَر

ولن يُقدّمَ نفساً قبل ميتتها ... جمعُ البدين ولا الصّمصامةُ الذكَرُ[3]

وكان راوية جرير بالباب فقال الفرزدق : أنت هاهنا ؟ قال : نعم ، وقد رأيتك حين ضربت،فقال :أفتدري مايقول صاحبك إذا بلغه ذلك ؟ قال: لا . قال الفرزدق : كأني به يقول :

---

(٥) ديوان الفرزدق ٢/٨٥٨ ، ٨٦٣ من قصيدتين . (٦ . ٧) ديوان جرير ٢/٦٣٥ .

(١) الخبر في الزهر ١/ ٤٠٠-٤٠٢ بأطول من هذا . وفيه أن الأصمعي أنشده (أمسلم أنت البحر . خمسة أبيات ، وأن الأعرابي لم يستحسنها ، وبيّن عيوبها ، ثم أنشد الأعرابي الأصمعي أبياتاً في

بسيف أبي رَغْوان سيف مجاشعٍ ضَرَبْت،ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربْتَ به عند الإمام فأُرْعِشَتْ يداك ، وقالوا:مُحْدَث غيرُ صارم[٤]

فمضى راوية جرير إلى اليمامة ، فسأل عن جرير ، فأخبر أنّه بلغته الضربة ، وقال الأبيات التي قالها الفرزدق . ثم لقي جريراً فأخبره بالخبر ، فقال له جرير :أتدري مايجيبني الفرزدق ؟ قال : لا . قال : كأنّي به يقول:

فلانقتلُ الأسرى ولكن نفكُّهم إذا أثقَلتْ بالقوم حملُ المغارمِ

كذاك سيوفُ الهند تنبو ظُباتها وتقطع أحياناً مناط التمائم[٥]

فلما انتهى شعر جرير إلى الفرزدق أجابه بذلك . فانتهى ذلك إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : لا أحسب شيطانهما إلا واحداً .

قال { القاضي } : كان الفرزدق وجرير مع تسابهما في حال الحياة قد تعاهدا على ألا يهجو أحدهما صاحبه إذا مات قبل صاحبه ، فمات الفرزدق أولاً ، فقال جرير في ذلك :

مات الفرزدق بعد ما جَدّعْته ليت الفرزدقَ كان عاش قليلا[٦]

ثم قال : والله لاأزيد عليه شيئاً البتّة . ثم رثاه بأبيات . ثم قال : والله إنه ما تصاول فحلان فمات أحدهما إلا كان الآخر سريع اللحاق به . فما لبث جرير إلا يسيراً حتى مات [٧] .

* * *

المعنى السابق تخلو من العيوب . ثم سأل الأعرابي الأصمعي أن ينشده شعراً ترتاح إليه النفس ويسكن إليه القلب . فأنشده لابن الرقاع العاملي (وناعمة ..) .

الخبر السابع والثمانون

وبالإسناد عن الأصمعي أنّه قال [1] :

بينا أنا قاعد بين أصحابي ونحن نتذاكر شيئاً من الأدب ، إذ أقبل أعرابي كأنما ينطق من صخرة ، فقال : ياأبا سعيد ، أحبّ أن تنشدني شعراً أستريح إليه ، فأنشدته قول عديّ بن الرقاع :

أيا مَسلمَ أنت البحرُ إنْ جاء وارداً	وليْثٌ إذا ما الحربُ طار عقابُها
وأنت كسيف الهُندوانيّ إن غَدَتْ	حوادث حربٍ ، أو تعالى عبابها
إليك جَلَبْنا العيس إذا لم نجد لها	أخا ثقةٍ يرجى لديه ثوابُها
وماخلّة كانت تُرى لابن حرّة	ولاأمَةٍ إلا إليك مآبها

قال الأعرابي : هذا شعر به هلهلة ، فاسد المعنى،غير حريّ بالصواب ، زدني . قال الأصمعي : فأنشدته :

ولم ترد الأبيات في ديوان عديّ بن الرقاع ، واستدرك المحققان ص ٢٤٧ الأبيات الثلاثة عن الزهر لأنها المنسوبة لعديّ . وعلى رواية مؤلف كتابنا هذا تكون الخمسة الأولى أيضاً لعدي .

(٢) الصؤابة : بيض القمل والبرغوث ، والمراد أنه صغير قليل خبرة .

(١) في ديوان أبي العتاهية ٢٧٤ أن هذا الخبر مع الفضل بن معن بن زائدة ، وأنه عن بعض كتب الأدب .

(٢) الأخير ليس في الديوان ، وفيه :

إذا أنت كشّفْت الرجال وجدتهم لأغراضهم من حافظ ومذيعِ

وناعـمـةٍ تجلو بعـود أراكـةٍ ... مـؤشَّرة يسـبي المُعـانقَ طيـبُهـا

كـأنّ بهـا خـمـراً بماء غِمـامـةٍ ... إذا ارتُشفت بعد الرقاد غُروبُها

أراك إلـى نجـدٍ تحنّ، وإنمـا ... مُنى كل نفسٍ حيث حلَّ حبيبُها

قال الأعرابي : والله لأنشدنّك شعراً قاله غلام منّا ، ماآنَ له أن يَقول الشعر ، وهو صؤابة [٢] الورى :

تعلّقـتـهـا بكراً ، وعُلّقْتُ حُبَّهـا ... وقلبيَ عن كلّ الورى فـارغْ بكرُ

إذا احْتجَبَتْ لم يكفِك البدرُ وجهها ... وتكفيك حسنَ البدر إن حُجب البدرُ

وحسبك من خمرٍ مذاقة ريقِها ... ووالله مـامن ريقـهـا حَسْبك الخمر

ولـو أن جلـد الذرّ لامس جلدَها ... لكان للمْس الذرّ فـي جلدها الأثرُ

قال الأصمعي : اكتبوها ولو بأطراف الخناجر في بياض الحدق . أو قال : اكتبوها في رقاق الأكباد بأطراف المُديّ .

* * *

الخبر الثامن والثمانون

وبالإسناد (١) : أنّ أبا العتاهية وفد على بعض الملوك ، فامتدحه بأشعار ، فلم يلتفت إليه ، ولم ينل شيئاً منه ، فبعث إليه رقعاً فيها :

أما بعد ، فإنّى قصدت إليك فراراً من الفقر ، ورجاء الغنَى ، فازددت بعداً مما تقرّبْت إليه ، وقرباً مما تباعدت عنه ، وقد قسمت اللائمة بيني وبينك نصفين ، لأني أخطأتُ { في سؤالك وأخطأتَ في } منعي ، أُمرتُ بترك سؤال أهل البخل فسألْتُهم ، وأُمرتَ أن تبرَّ أهل الرغبة فمنعتهم ، وقد قلت في ذلك :

فَرَرْتُ من الفقر الذي هو حاضري ... إلى عُرْفِ محظورِ النّوال مَنوعِ

فأعْقَبَني الحرمانَ غبُّ مطامِعي ... كذلك من تلقاه غيرَ قنوعِ

وغير بديع منعُ ذي البخل مالَه ... كما جودُ أهل الجود غير بديعِ

وليس يضيعُ العرفَ كلُّ مشرَّفٍ ... كما لايضيعُ البخلَ كلُّ وضيع(٢)

---

(٣) في الأصل (أحسن من شعره) .

(٤) وبعده في الأصل (ولارأيت هناء الوفر وبقاء الشكر) . (٥) في الأصل (وقد) .

(١) ورد في عدد من كتب الحديث الشريف أن أعرابياً أهدى النبي ﷺ شاة ، ثم عاد يطلب مكافأة وذكروا قصة قريبة مما هنا - دون ذكر خبر حسان . ينظر سنن الترمذي - المناقب ٤٢٤/٩ ، والمسند ٢٩٢/٢ . والمعجم الكبير ١٨/١١ ، ومجمع الزوائد ١٤٨/٤ ، وقال : رجال أحمد رجال الصحيح. وفي الفائق ٨٣/٤ أن عبد الله بن جداعة القيسي أهدى النبي شاةً . . . فقال حسان كلمة فيها :

قال القاضي : كلمات أبي العتاهية هذه من أحسن شعره[٣] ، ولقد عدل فيما قال ، وخابَ من منعه النوال ، وكيف يزهد واجد عاقل في ابتياع مايبقى بما هو زائل . . . [٤] .

وما [٥] أحسن نظمَ رجلٍ دخل على بعض الملوك في ثياب رثَّة ، فتكلم بكلام مُفْلق ، فقال له الملك : لو كان حسنُ كسوتك كحسن كلامك ! قال : أصلح الله الأمير ، أما الكلام فأقدر عليه ، أما الكسوة فأنت لها ، وأنشأ يقول :

بَهَجاتُ الثياب يخلقها الدهـ ـــر ، وحسنُ الثناءِ غضٌّ جديدُ

فاكْسُني مايبيد أصلحك اللـ ـــه ، فإنّي أكسوك مالايبيد

فآساه وأعطاه ، وقال : زِدني من هذا المعنى ، فأنشأ يقول :

فإنّك إنّ ذوّقْتني ثمرَ الغنى أذقْتُك مايُغنيك عن ثمر الشُّكْرِ

فإنّ نِلْتُ مايغني إلى يومٍ او غدٍ أَنَلْتُك مايبقى إلى آخر الدَّهْر

* * *

إنّ الهدايا تجارات اللئام وما يبغي الكرامُ لما يهدون من ثَمَنِ
ونقل د . وليد عرفات محقق ديوان حسان ٥١٦/١ الخبر عن الفائق .

الخبر التاسع والثمانون

وبالإسناد[1] : أن أعرابياً أهدى إلى رسول الله ﷺ شاةً ، فلما كان بعد أيام أتاه ، فسلّم عليه وقال : هل تعرفني يارسول الله ؟ قال : " لا " قال : أنا الذي أجزتك الشاة ، وقدِمت إليك لتثيبني عليها . قال : فالتفت النبي ﷺ إلى أبي دُجانة ، فقال : " كافئه عنّي " فمضى أبو دجانة فدفع إليه ناقة فأخذها ، وعاد إلى النبي ﷺ وقال : إنّه أعطاني شيئاً استقلْلته منك ، فأثبني . فأمر النبي ﷺ بمكافأته رجلاً آخر ، وهو يعود حتى صار معه تسع من النوق من تسعة رجال ، فلما عاد بعد ذلك ، وقال كمقالته الأولى ، قال النبي ﷺ : " كم أعطيتموه ؟ " قالوا : تسع أينق ، فغضب ﷺ وقال : " أقسمت لاقبلت هدية إلا من قرشي أو أنصاري " فقال حسان ابن ثابت : إذن تجشّم أمتك يارسول الله ، ولكن ائذن لي في هجاء هذا الجِلف الجائع ، قال : " افعل ، ولاتذكر عرضه " فأنشأ حسان يقول :

وأهدى هديَّتــه المغــبــونُ مــاعــزةً   فيـها الوبـاء فصار الجلف ذا مِنَن

حـســـانُ يقــسم أنّ اللؤمَ خـــالطه   عند الفِطام وعـند المهــد واللبن

فــاقْبل هدايا قــريش غـيــرَ مُحْتَشمٍ   ياخـيـرَ مُنْتَخَبٍ في الناس مـؤتمنِ

قد كان يحسب هذا الجلفُ أنْ رَبحت   يمينه بهــجــانٍ ســاقــهــا بُدَن

قـد كـان نال المنى والربح مـغـتنمـاً   فـعــاقــه ، ثم باع الربح بالغَبَن

قال النبي ﷺ : " حسبه ، أوجعْتَه ياحسان ".

* * *

الخبر التسعون

وبالإسناد [١] : أن معاوية لما قدم الشام أتاه أبو الطفيل الكناني ، وقد صار شيخاً كبيراً ، وكان فارسَ أهل صفّين وشاعرهم ، وأخصّ الناس بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، فقال له معاوية : أنت أبو الطفيل ؟ قال: نعم . قال : أنت ممّن قتلَ عثمان ؟ قال : لا ، ولكني ممّن شهده فلم ينصره. قال : فما منعك أن تنصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار . قال : لقد كان نصرته حقاً . قال : فأين أنت منها يامعاوية ، ومعك أهل الشام ، إذ تربَّصْتَ به رَيب المنون ؟ قال : أماترى طلبي بدمه نصرة له . فضحك أبو الطفيل وقال : إنّك في عثمان لكما قال عبيد بن الأبرص :

لأُلفِيَنَّكَ بعدَ الموت تندُبني وفي حياتيَ مازوَّدتنى زادا [٢]

فبينما {هما} كذلك إذ دخل سعيد بن أبي أُحيحة[٣]،ومروان بن الحكم، وعمرو بن العاص،وعبد الرحمن {ابن} أخت معاوية [٤]. فلما جلسوا قال لهم معاوية : أتعرفون الشيخ ؟ قالوا : لا. قال : هذا خليلُ علي بن أبي

---

(١) جزء من الخبر (إلى : مازودتني زادا) في الإمامة والسياسة ١٩٢/١ ، ووقعة صفين ٥٤٤ والموفقيات ١٥٤ ، والمروج ١٦/٣ ، والعقد ٢٩/٢ ، ومثله إلى آخر القصيدة الأولى في أخبار شعراء الشيعة ٢٤ .

وأبو الطفيل عامر بن وائلة – له صحبة ، توفي بعد سنة ١٠٠هـ ، ينظر الاستيعاب ١١٥/٤ ، وتاريخ دمشق ٤١٢/٨ ، والإصابة ١١٣/٤ .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص ، المصادر المذكورة ، وديوانه ١٨ . (٣) وهو سعيد بن العاص .

(٤) وهو عبد الرحمن بن الحكم بن العاص .

طالب،فارس أهل صفّين وشاعرُهم ، أبو الطفيل الكِناني . قال سعيد[٥] : وهذا ألأم جليس ، وأشدّ فارس ، وأشعب شاعب ، فما منعك من قتله ؟

قال معاوية : ياأبا الطفيل،هل تعرف هؤلاء ؟قال: ماأعرفهم من خير وماأنكرهم من شرّ،قال معاوية:إنهم عمرو ومروان وسعيد وعبد الرحمن.

قال : فأما عمرو فأنطقته مصر ، وأما سعيد فانطقته مكة ، وأما مروان فأنطقته الحجاز ، وأما ابن اختك فأنطقه الحكم . وأما قول ابن أبي أحيحة إني ألأم جليس ، فهو ألأم منّي . وأمّا قوله : إنّي أشد فارس ، فأنا صاحبكم بصفّين ، ومعي لساني .

فالتفت معاوية إلى القوم وقال : دعوا شيخكم . فقال أبو الطفيل : الآن يامعاوية وقد شتموني ، فقال :

أيشتِمُني عمروُ ومروانُ ضَلّةً ... بحكم ابن هند ، والشقيُ سعيدُ
وحولَ ابن هند سائبون كأنهم ... إذا ما استفاضوا في الحديث قُرود
وماسبّني إلا ابنُ هند ، وإنني ... لتلك التي يَشْجى بها لرصودُ
ومامنعوه والرماحُ تنوشه ... وطاعِنُه رَحْبُ البنانِ عَنود
وطارت لعمروٍ في العُجالة شَظْية ... ومروان من وقع الرماح بعيد
ومالسعيدٍ همّة غيرُ نفسه ... وكلّ التي تخشَونها ستعودُ[٦]

(٥) في الأصل (عمرو) وجاء بعد قليل أنّه (سعيد) وهو الذي في أخبار شعراء الشيعة .
(٦) القصيدة في وقعة صفين ٣١٣ ، والفتوح لابن أعثم ١٦٩/٣ ، وأخبار شعراء الشيعة ٢٦.

ثم [٧] إن معاوية دعاه بعد ذلك ، فأدنى مجلسه ، وأحسن إليه ، فغضب عند ذلك عمرو بن العاص وكتب إلى معاوية :

معاويَ إنّ العفوَ عن كلّ مذنبٍ | يزيدك عزّاً ، والرشيد رشيدُ
سوى مَن رماكم بالهجاء وعابكم | وقلّدكم ماالاأظن يكيد
فأنت ابنُ هندٍ سامعٌ لمقالة | ومازال يُبدي بالحيا ويُعيد
إلى أن رمانا بالتي ليس بعدها | بقاء ، فماذا بعدَ ذاك تريد
فهل قتلُك الشيخَ الكنانيَّ ناقص | مداك ، وهل قتل العداة مَريد

قال : فلما قرأ معاوية قال : وماعلى عمرو وإن شفى نفسه بفضيحتي؟ فأجابه بأبيات يقول فيها :

يحاولُ عمرو شيمةً أموية | لينقلني عنها ، وذاك شديدُ
وجدُتُ أبا سفيان قبل يربُّها | وحربٌ عليها كان وهو وليد
وإنّي من الأمر الذي أوصيا به | قريبٌ ، وممّا قد عداه بعيدُ
أأقتل شيخاً من كِنانة فارساً | له الله حقاً بالوفاء شهيد
تعرّضت ياابن العاص تبغي جوابه | وأولعَ مَرْوانٌ به وسعيدُ

(٧) الجزء التالي لم يرد في المصادر .

فإنْ يكُ رأيي اليومَ خالفَ رأيكم		فعندي مما تكرهون مزيدُ
فأخطأتموه إذ رَمَيْتم فؤادَه		ولم يُخطكم ، يبدي لكم ويُعيد

ثم[8] إنّ أبا الطفيل دخل بعد ذلك على معاوية فقال : كيف حبّك لعليّ ياأبا الطفيل ؟ قال : حب أمّ موسى لموسى،وأشكو إلى الله التقصير . فضحك معاوية وقال : ولكن هؤلاء النفر لم يكونوا ليقولوا كمقالتك . قال مروان : أجل وأبيك ، ماكنّا لنقول الباطل . قال أبو الطفيل : ولا الحقَّ يقولون .

* * *

(٨) هذه العبارة في الإمامة والسياسة ، والمروج .

الخبر الحادي والتسعون

وبالإسناد[1] : أن أبا موسى الأشعري بعث زياد بن أبيه إلى عمر بن الخطاب {رضي الله عنه} يعتذر إليه في أمر رُفع عنه ، فلما قدِم عليه خَطب خطبة استحسنها الحاضرون من المهاجرين والأنصار ، فقال عليّ عليه السلام : للّه أبو هذا ،لو كان قرشياً لساق العرب بعصا . فقال أبو سفيان : أنا الذي غَرَسْته في رحِم أمّه ياعليّ . قال : فما منعك أن تدَّعيه ؟ قال : يمنعني الخوف من هذا القاعد- وأشار إلى عمر ، ثم أنشأ يقول :

أما واللهِ لولا خوفُ شخصٍ ... يراني ياعليُّ من الأعادي

لأظهر أمرَه صخرُ بن حربٍ ... ولم تكن المقالة من زيادِ

ولكني أحاذِرُ عيش كَسْفٍ ... لها نِقَمٌ ونفيٌ عن بلادي

وقد طالَتْ مجاملتي ثقيفاً ... وتركي فيهم ثمرَ الفؤاد

فلما ولي عليّ عليه السلام ولّى زياداً فارس ، فأصلح البلاد ، ورفع الفساد ، وحمى الحصون والوِهاد ، فبلغ ذلك معاوية ، فشقّ عليه ، وكتب إليه من الشام :

أما بعد يازياد ، فإنّك وُلّيت ولاية ، وغَرَّتْك قلاعٌ تأوي إليها كما

(١) الخبر في شرح النهج ١٦/ ١٨٠ ، وتاريخ دمشق ٦/ ٤٨٩ ، وجزء منه في تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩٤ ، ومروج الذهب ٣/ ٦ ، والاستيعاب ١/ ٥٤٩ .

تأوي الطير إلى أوكارها ، وأيمُ الله ، لولا انتظاري فيك ما الله أعلم لقُلت كما قال العبد الصالح : { **فلنأتينَّهم بجنودٍ لاقِبَل لهم بها ولنُخْرِجَنَّهم منها أذلّةً وهم صاغرون** }[٢] . وكتب في أسفل كتابه .

لـلّه دَرُّ زيـادٍ أيمـا رجـلٍ	لو كـان يفـعل مـايأتي ومـايذرُ
إنّ انتـحالك قـومـاً لاتُناحبـهم	إلا بأمّك عـارٌ ليس يُغـتـفـرُ
فـافْخَرْ بوالدك الأدنى ووالدهِ	إنّ ابن حـربٍ له في قـومـه خطرُ
واترك ثقـيفـاً فـإن اللهَ باعـدها	حـتى يلاقـيـهم في نسبـةٍ مُضَرُ

فلما قرأ زياد الكتاب خطب الناس ثم قال : العجب كلّ العجب لابن آكلة الأكباد ، يهدّدني وبيني وبينه ابنُ عم رسول الله ص والمهاجرون والأنصار واضعين سيوفهم على عواتقهم ، أيم الله ، لو أذن لي فيه أبو الحسن لوجدني أحمر مخشيَّ الجانب ، أكيد الضرب بالسيف ، ثم نزل .

فبلغ ذلك إلى عليّ عليه السلام ، فكتب إلى زياد : أما بعد ، فإنّي ولّيْتك ما ولّيْتَك وأنا أراك له أهلاً ، وإنّك لم تضبط ماأنت فيه إلا بالصبر وحسن اليقين ، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة لم يحقّ بها ميراث، ولايلحق بها نسب ، وإن معاوية يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن شماله كالشيطان الرجيم ، فاحذره ثم احذره .

* * *

(٢) سورة النمل : ٢٧ .

الخبر الثاني والتسعون

وبالإسناد: أن الحجاج بن يوسف أُتي برجل قد وقع في أيدي العَسَس[1]، فقال: ما حملك على أن خرجت في مثل هذا الوقت؟ قال: كرمي وشرفي وكرم آبائي. فاستوى الحجاج جالساً وقال: من أنت؟ فأنشأ يقول:

أنا ابنُ مَنْ عاشَ وهو مؤتَمَنٌ ... برحمةِ الله أيّما رجلِ

له رقابُ الملوك خاضعة ... من كلّ حافٍ مشى ومُنْتَعل

يأخذ من مالهم ومن دمهم ... لم يُمسِ من ثأرهم على وَجَل[2]

قال له الحجاج: إنّك لشريف، من أنت؟ قال: أنا ابن الحجام. فضحك الحجاج وقال: إن لم تكن شريفاً، فأنت ظريف.

قال القاضي: أمّا كلامه فكذب وهزء بنفسه، وأما شعره فصدق، وهو من لطيف الكلام، وقد قدّمنا مثله فيما مضى[3]. ومن هذا النوع: أن العُرْيان[4] أُتي بشاب سكران ذات يوم، فقال: من أنت؟ فأنشأ يقول:

أنا ابن الذي لاينزلُ الدهرَ قِدرُه ... فإن نزلت يوماً فسوف تعودُ[5]

---

(1) العسس: الحرس الذين يطوفون ليلاً.

(2) في شرح المقامات ٤/٢٢٢: قال ابن كناسة يخاطب ابراهيم بن سيابة، وذكر الأبيات.

(3) ينظر ص ١١٢.

(4) هو العريان بن الهيثم. عيون الأخبار ٢/٢٠١، والعقد ٢/٤٦٦.

(5) العيون والعقد، وشرح المقامات ٤/٢٢٢، وبعده:

ترى الناس أفواجاً إلى ضوء قدره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فخلّى سبيله ، وسأل عنه ، فإذا هو { ابن } رجل يبيع الباقِلاء .

وقريب منه ماروي أن رجلاً أُتِي به وقد جنى جناية ، وأُمر بضربه ، فلما جُرِّد تمثّل بقول الشاعر :

فقلت لِمَذْحجٍ قوموا وشُدُّوا مآزركم فقد برحَ الخفاءُ

رأيت الحربَ يحميها رجالٌ ويصلى حرّها قومٌ بُراءُ

فقيل : خلُّوا سبيله ، وسُئل عنه ، فإذا هو رجلٌ جزّار .

* * *

الخبر الثالث والتسعون

وبالإسناد[1] : أن زياد بن أبيه مَرّ على رجل من بني مخزوم ضعيف البصر ، يكنى أبا العريان ،فقال : من هذا ؟ وكان زياد في موكبه بالبصرة ، فقيل له : زياد بن أبي سفيان . فقال : هو بالأمس زياد بن عبيد ، واليوم هو زياد بن أبي سفيان .

فبلغ ذلك زياداً ، فأحسن إلى المخزومي،ثم مرّ به بعد أيام في موكبه، فقام إليه المخزومي وقال : بأبى أنت ، لقد أدركتني شمائلُ أبي سفيان[2] فبلغ ذلك معاوية ، فكتب إلى المخزومي :

ماألبثَتْك الدنانيرُ التي بُعثت   أنْ لوَّنَتْك أبا العريان ألوانا [3]

فأجابه أبو العريان :

عجّلْ لنا صلةً تحيا النفوسُ بها   قد كنْتَ ياابن أبي سفيان تنسانا

أمـا زيادٌ فلم أُومن بنسبته   ولم أُرد بالذي بلَّغْتُ بُهتانا[4]

من يُسدِ خيراً يُصِبْه حيث يجعله   أو يُسْدِ شراً يُصبه أينما كانا

* * *

(١) الخبر في نثر الدر ١٤١/٤ ،وشرح نهج البلاغة ١٨٨/١٦ ،وتاريخ دمشق ٤٩٠/٦ باختلاف يسير .

(٢) في شرح النهج أنه قال : عرفت صوت أبي سفيان من صوت زياد .

(٣) وبعده في شرح النهج وتاريخ دمشق بيتان .

(٤) في شرح النهج

أما زياد فقد صحّت مناسبه   عندي ، فلا أبتغي في الحقّ بُهتانا

الخبر الرابع والتسعون

وبالإسناد[1] : أن زياداً الأعجم وفد على المهلب بن أبي صفرة[2] ، فأنزله على ابنه حبيب ، وقال أحْسِن ضيافته . فجلسا يوماً يشربان ، إذ تغنَّت حمامة على بَيض لها في سقف البيت ، فطرب زياد ، وأنشأ يقول :

تغنَّي ، أنتِ في ذممي وعهدي بأنْ لايذعروك ، ولن تُضاري

متى غنَّيْتِني ، فطربْتُ يوماً ذكرْتُ أحبَّتي وذكرت داري

فإما يقتلوك طلبْت ثأراً له نبأ ، فإنّك في جواري

فضحك حبيب ، ثم قال : ياغلام ، هات القوس والسهم ، فلما أتي بهما أثبتها في السقف ، فغضب زياد وقال : أخفرت ذمتي،وقتلت جارتي؟ وخرج إلى المهلّب فأخبره الخبر . فصعب عليه ذلك ، فبعث إلى حبيب وقال: ماحملك على أن قتلت جارة أبي أمامة ؟ قال : إنّما كنت ألعب - أعزّ الله الأمير . قال : والله لأغرمنّك دية قتيل حرّ . وأخذ منه ألف دينار وسلّمها إلى زياد ، وقال : ياأبا أمامة ، هذه دية جارتك ، فأنشأ يقول :

---

(١) الخبر في المستجاد ١٥٩ ، والأغاني ١٠٣/١٤ ، والتذكرة الحمدونية ١٥٧/٢ ،واللباب ٢٦٤ ، وربيع الأبرار ٤١٣/١ ، وغرر الخصائص ٢٤ .

(٢) زياد بن سليم العبدي ، المعروف بالأعجم - لعجمة كانت في لسانه ، شاعر شارك في مدح الأمراء ،توفي حوالي سنة ١٠٠هـ . الأغاني ٩٨/١٤ ،ومعجم الأدباء ٢٢١/٤ ، والسير ٥٩٧/٤ .
والمهلب أمير قائد شجاع ، شارك في الفتوح وقاتل الخوارج . توفي سنة ٨٢هـ أو ٨٣هـ .
ينظر وفيات الأعيان ٣٥٠/٥ ، والسير ٣٨٣/٤ .

فللّه عـينا من رأى في قـضـيـة   قـضى لي بهـا شـيخُ العـراق المهلّبُ

قـضى ألفَ دينار لجـارٍ أجـرْته   من الطير حضّانٍ على البيض ينغبُ[3]

فـألزمـه قـتل القـتـيل مـوقّراً   وقـال حـبـيبٌ : إنّمـا كُنْت ألعبُ

وقـال زياد لايُروَّع جـارتي   وجـارةُ جـاراتي من الجـار أقـربُ

فانتهى الخبر إلى الحجاج ، فقال : للّه دَرُّ العرب ، ماأخطأت حيث جعلت المهلّب رجلَها .

*   *   *

(٣) بعده في المستجاد واللباب :

رماه حبيب بن المهلب رمية   فأنفذه بالسهم والشمسُ تغرب

الخبر الخامس والتسعون

وبالإسناد[1] : أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أي العرب أشجع في شعره قال بعضهم : عمرو بن معد يكرب . قال : أوليس هو القائل :

ولمّا رأيْتُ الخيلَ زُوراً كأنّها جداولُ زرعٍ أُرسلت فاسْبطرَّتِ[2]

وجاشَتْ إليّ النفسُ أولَ مرّة وَرُدَّتْ على مكروهِها فاستقرّت

ظَلَلتْ كأنّي للرماح دريئةٌ أقاتلُ عن أبناء حربٍ وفرَّت[3]

وقال بعضهم : عنترة ياأمير المؤمنين . قال : أوليس هو القائل :

إذ يتقون بيّ الأسنّةَ لم أُخِمْ عنها ولكنّي تضايقَ مقدمي[4]

وقال بعضهم : عامر بن الطُّفيل . قال : أو ليس هو الذي يقول :

أقول لنفسٍ لايُجادُ بمثلها أقلّي مِزاحاً إنني غير مقصرِ[5]

---

(١) ينظر حلية المحاضرة ١/٢٨٠ ، وكتاب بغداد ١٣٥ ، والتذكرة الحمدونية ٢/٤١٢ ، والمحاضرات ٢/٢٠٩ .

(٢) الزُّور جمع أزور : المعوجّ الزور . اسبطرّت : امتدّت .

(٣) ديوان عمرو ٧١ ، وديوان الحماسة ١/٩٨ .

(٤) ديوان عنترة ٢١٥ . وخام : جبن ونكص .

(٥) ديوان عامر ٦٥ .

(٦) ديوان قيس بن الخطيم ١٠ .

ثم سكتوا . فقال عبد الملك : أشجع هؤلاء عمرو بن الإطنابة ، حيث يقول :

وقولي كلّما جَشَأت وجاشت　　　مكانَك تُحمدي أو تستريحي

و { قيس بن الخطيم } حيث يقول :

وإنّي لدى الحربِ العَوانِ موكَّلٌ　　　بإقدام نفسٍ كم أريد بقاءها[٦]

و { العباس بن مرداس } [٧] حيث يقول :

أقاتِلُ بالكتيبة لا أبالي　　　أحتفي كان فيها أم سواها [٨]

والمزني حيث يقول :

دَعَوتُ بني قُحافة فاستجابوا　　　فقلت: رِدوا فقد طاب الورود[٩]

قال القاضي : قد كُنّا قدّمنا فيما رتّب الأصمعي : أن أشجع بيت قاله العرب قول العباس بن مرداس :

أكرّ على الكتيبة لاأبالي　　　أحتفي كان فيها أم سواها

ولم يكن العباس أشجع العرب ، بل كان متأخّراً عن كثير منهم . وقد

(٧) تكملة يستقيم بها النص ، وهي من المصادر .
(٨) ديوان العباس ١٢٠ ، وسبق في الخبر ١٢ .
(٩) البيت في حماسة البحتري ٣٩ ، لأنس بن مدرك الخثعمي . وهو للمزني في مصادر الخبر .
(١٠) ذكر المؤلف في الخبر الثاني عشر أن العباس نقض بيته ، وأشار إلي أنه سيبين ذلك ، ثم ذكر

قدّمنا خبراً يدلّ على ذلك [١٠] . وفيه من التوقف أكثر مما .. عبد الملك[١١] على ماقدّمنا . ولكن ذلك خفي على عبد الملك .

فأما بيت ابن الإطنابة فهو من جملة أبيات ، هذه منها :

أبت لي همّتي وأبى حيائي — وأخذي الحمدَ بالثمن الرَّبيح

وإقدامي على المكروه نفسي — وضربي هامةَ البطل الشحيح

وقَولي كلما جشأتْ وجاشَتْ — مكانَك تُحمدي أو تستريحي

لأدفعَ عن مآثر صالحاتٍ — وأحمي بعدُ عن عرضٍ صحيح

بذي شُطَبٍ كلون الملح صافٍ — ونفسٍ لاتقرُّ على القبيح

وروي عن معاوية أنّه قال : هممت بالهزيمة من صفّين ، فما ثنتني غير أبيات ذكرتهن لعمرو بن الإطنابة - يعني هذه الأبيات [١٢] .

قال القاضي : ولم يكن ابن الإطنابة أشجع العرب في وقته ، بل كان دون كثير منهم ، وله قصّة مع الحارث بن ظالم جزّ فيها صيته [١٣] .

* * *

في الخبر الستين خشية العباس من عمرو بن معد يكرب ، ويبدو تحامل المؤلف على العباس . وينظر في أخبار العباس وشجاعته : الشعر والشعراء ١/ ٣٠٠ ، ٢/ ٧٤٦ ، والأغاني ١٣/ ٦٦ .

(١١) في الأصل (نقمه عبد الملك) .

(١٢) ينظر الخبر والأبيات في الكامل ٢/ ٣٥١ ، والعيون ١/ ١٢٦ ، ومعجم الشعراء ٨ ، ومجالس ثعلب ٦٦ ، والفتوح ٢/ ١٣٦ ، وأمالي القالي ١/ ٢٥٨ ، والمصون ١٣٦ ، ١٣٧ ، وديوان المعاني ١/ ١١٤ ، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٦٦ ، وشرح النهج ١٨/ ٢٠٣ .

(١٣) القصة في الأغاني ١٠/ ٣٠ .

(١) نقل هذا الخبر الأتليدي في كتابه إعلام الناس ١٣٧ ، في حديثه عن البرامكة وكرمهم ، ولم يذكر مصدره .

الخبر السادس والتسعون

وبالإسناد عن الأصمعي قال [1] :

ركب الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي إلى الصيد وأنا معه ، ومحمد بن بشار بن بُرد العقيلي ، والحسين الخليع ، والحسن بن هانئ . فلما قضى وطره من صيده،ورجع يريد مضربه ،اعترضه أعرابي على راحلة ، فلما رأى الأعرابيّ المضارب تضرب ، والخيام تنصب في العسكر، والضجّة، ظنّ أنه الخليفة ، فنزل ، وعقل راحلته ، وتقدم حتى مثل بين يديه ، قال : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال له الفضل : خفّض عليك . ففطن وقال : السلام عليك أيّها الوزير . فقال : ويحك ، دون هذا . فقال : السلام عليك أيها الأمير . قال : الآن قاربت ، فاجلس .

فجلس الأعرابي ، فقال له الفضل : من أين أقبلت ياأخا العرب ؟ قال: من أرض قضاعة . قال : من أدناها أو من أقصاها ؟ قال : من أقصاها . قال الأصمعي : فالتفت إليّ الفضلُ وقال : كم من العراق إلى أقصى قضاعة ؟ قلت : ثمانمائة فرسخ . قال : ياأخا العرب ، مثلك يقصد من ثمانمائة فرسخ إلى العراق لأي سبب ؟ قال : قصدت هؤلاء الأنجاد

(٢) البيتان في العقد ٣٠٢/١ ، وأنهما قيلا في الحكم بن حنطب ، وهما في شرح النهج ١٩٩/٢٠
(٣) في الأصل (منادمني) .

الأجواد ، الذي انتشر معروفهم ، وأثبت إحسانهم في العالمين . قال له : من هم ؟ قال : البرامكة . قال الفضل : ياأخا العرب،البرامكة خلق كثير ، وكلّ منهم جليل خطير ، ولكلّ واحد منهم خاصّة وعامّة ، هل اخترت لنفسك منهم مَن أفردته بقصدك ، وندبته لحاجتك ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : أطولهم باعاً ، وأسمحُهم كفّاً ، وأطرفهم كرماً ، قال له : من هو؟ قال له : الفضل بن يحيى .

فقال له الفضل : ياأخا العرب ، إن الفضل رجل جليل ، عظيم الخطر ، وإذا جلس للنّاس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراءُ والمذاكرون والكتاب ، أفقيه أنت ؟ قال : لا . قال : فعارف بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها ونوادرها ؟ قال : لا . قال : فكاتب أنت ؟ قال : لا . قال : أفوردْت على الفضل بكتاب وسيلة ؟ قال: لا . قال : ياأخا العرب ، لقد غررت بنفسك ، مثلك من يقصد الفضل بن يحيى وهو على ماعرفتك من الجلالة ، بأية ذريعة ، وأية وسيلة ؟ .

قال : والله - أيها الأمير - ماقصدته إلا لإحسانه المعروف ، وكرمه المألوف ، وبيتين من الشعر قلتهما فيه . قال الفضل : ياأخا العرب ، أنشِدْني البيتين ، فإن كانا مما يصلح أن تلقى الفضل بهما أشرت عليك بلقائه ، وإن لم يكونا كذلك زوّدتك من مالي بما ترجع إلى باديتك ، وكنت لم تخلق بنفسك ، ولم تستخفّ بشعرك . قال : أو تفعلُ أيها الأمير ؟

قال: نعم . قال : فإنّي والله الذي أقول :

ألم ترَ أن الجـــودَ من صُلب آدم تحــدّر حــتى كــان مَعْدِنَه الفــضلُ

ولو أمُّ طفلٍ ساءها جوعُ طفلها غَذَتْهُ بإسم الفـضل لاسْتَطْعم الطِّفل

قال له : أحسنت ياأخا العرب ، فإن قال لك الفضلُ مُمتحناً : هذان بيتان قد مَدَحنا بهما غيرك ، وأخذ الجائزة عليهما ، أنشدني غيرهما ، ماتقول ؟ قال : إذن والله أقول :

قـد كــان آدمُ قـبلُ حينَ وفـاتِه أوصـــاك وهو يجــود بالحـوباءِ

ببنيــه أن ترعــاهمُ فــرعيــتــهم وكَفَيتَ آدمَ عَيلـةَ الأبنـاء[٢]

قال : أحسنت ياأخا العرب . فإن قال ممتحناً : هذان أخذتهما من أفواه الرجال ، أنشدني غيرهما فأنت . .[٣] بحضرته ، وقد رمقك الأدباء بأبصارهم ، وامتدّت إليك أعناقهم ، وتحتاج إلى أن تناضل عن نفسك ، قال : إذن - والله أيها الأمير - أقول :

ملّتْ جــهــابذُ فَضْلٍ وزنَ نائله وملَّ كُتّابُه إحــصــاءَ مــايَهَبُ

والله لولاه لم يُمــدح بمكْرُمــةٍ خلقٌ ، ولم يرتفع مجدٌ ولاحَسَبُ

---

(٤) مابين المعقوفين من إعلام الناس . وفيه (إذا ذكر الورى) .

(٥) في الإعلام (فقامت به التقوى) .

قال : أحسنت ، فإن قال لك الفضل : هما مسروقان ، أنشدنى غيرهما · فقال : إذن والله أقول :

وما الناسُ إلا اثنان صَبٌّ {وباذلٌ وأنّى لذاك الصبّ والباذل الفضلُ}
على أنّ لي مثلاً إذا ذكر الهوى وليس لفضلٍ في سماحته مِثْلُ[٤]

قال : أحسنت · فإن قال لك الفضل : أنشدني غيرهما ، ماتقول ؟
قال : فإذن أيها الأمير أقول :
حكى الفضلُ عن يحيى سماحة خالدٍ ففارت به التقوى وقام به العدلُ[٥]
وفاض به المعروف شرقاً ومغرباً وماكان للمعروف بعدٌ ولاقبلُ

قال : أحسنت · فإن قال لك الفضل : قد ضَجِرْنا من الفضل ، أنشدني على الكنية لا على الاسم ، فقال :

ألا ياأبا العباس ياأوحد الورى ويامالكاً ، خدُّ الأنام له نَعْلُ
إليك يسيرُ الناسُ شرقاً ومغرباً فرادى وأزواجاً كأنهمُ نَمْل

قال : أحسنت ، فإن قال : أنشدني بيتين بغير الاسم وغير القافية ، فقال :

(٦) لم يذكر هذا في الإعلام،ولكن ذكر موقفين آخرين،وأنشد في كل واحد منهما الأعرابي بيتين اثنين ·
(٧) في الإعلام (أربعة أبيات) ·

يــاجَبَلَ الــلــه المــنــيــف الــذي | إلــيــه يسعى في المهمات الورى
تــؤمّ أبــوابَك طــلابُ الــغــنــى | كـمـا يؤمّ البيت حجاجُ منى[٦]

قال له الفضل : أحسنت . فإن قال لك : هذان سرقتهما ، أنشدني غيرهما قال : والله أيها الأمير لئن زاد لأقولنّ بيتين[٧] ما سبقني إليهما عربيّ ولاعجمي ، ولئن زادني بعدها لأجمعنّ قوائم راحلتي هذه ، ولا أجعلنّها في حرام الفضل . ولأرجعنّ إلى قضاعة خائباً خاسِراً ولا أبالي . فقال له الفضل : أنشدني البيتين . فقال :

ولائمــةٍ لامَتْك يافــضل في العطا
فــقلْتَ لهــا أكــثــرت عــذلك فـي الأمْر

أرادت لتنهى الفضلَ عن عادة الجدا
ومن ذا الذي ينهي السحابَ عن القَطْر[٨]

فأمسك الفضل على فيه ، وسقط لوجهه ، ثم رفع رأسه ضاحكاً ،

(٨) الأبيات في الأعلام :

ولائمــة لامــتك يافــضل في الندى | فقلت لها : هل يقدح اللومُ في البحر
(٩) للخبر بقية في الإعلام .
(١) [illegible] دون ذكر [illegible] الذي ينهى السحاب عن القطر
(٢) ديوان البحتري ٢/١٣٣
كأن سؤال الناس في كل بلدة | تحدّر هذا المزن في مهمهٍ قفر
كــان وفــود الناس من كل وجــهــةٍ | إلى الفــضل لاقــوا عنده ليلة القــدر

وقال : ياأخا العرب ، أنا والله الفضل بن يحيى ، فقل ماشئت . فقال : عزمت عليك أيها الأمير أنت هو ؟ قال : نعم . قال : أَقِلْني مامرّ من الكلام . قال : أقالك الله ، فاذكر حاجتك . قال : عشرة آلاف درهم . قال : أزريت بنا وبنفسك ياأخا العرب ، عشرة آلاف في عشرة ، فقبض الأعرابي مائة ألف ، وعشرة آلاف [٩] .

* * *

(٣) البيتان مع البيتين السابقين من قصيدة في الديوان ٤٢٦ .

الخبر السابع والتسعون

وبالإسناد عن الأصمعي قال [1] :

كان الأمين قد وجد على أبي نواس في شيء بلغه ، فأمر بحبسه ، فرام أبو نواس أن يرفع رقعة إلى الأمير ، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً ، فلما كان بعد مدة رأى خادماً للأمير قد دخل الحبس في بعض حوائجه ، فدنا إلى الخادم فقال : هل لك في خمسمائة دينار أدفعها إليك على أن أكتب على رأسك بيتين من الشعر وتمرّ بين يدي الأمين . فلما سمع الخادم ذِكْرَ خمسمائة دينار لم يتمالك أنْ قال : نعم . وكان رأس الخادم محلوقاً ، فتناول أبو نواس الدواة وكتب على رأسه :

مضى لي شهر مُذ حُبِسْتُ كأنّني ... -فديتك- قد أذنبْتُ ماليس يُغْفرُ

فإن كنتُ لم أذنب ففيمَ حبستني ... وإن كان لي ذنبٌ فعفوك أكبرُ

ثم وقع تحت البيتين : إذا قرأت كتابي هذا فحرّق القرطاس .

فمضى الخادم ، ودخل على الأمين ، فلما قرأها على رأسه لم يتمالك

---

(١) ورد الخبر في بروايات في عدد كبير من المصادر منها : المحاسن والمساوىء ١٢٦/٢ ، وطبقات

أن ضحك . ثم قال : للّه دَرُّه ، ماسبقه أحد إلى مثل هذا . ياغلام ، أطلقه ، وادفع إليه مائة ألف درهم يغيّر بها حاله ، ومُرْه بالمواظبة ولزوم دارِنا .

قال القاضي : أخذ البحتري بيت أبي نواس بكماله فقال في قصيدة له في المتوكّل :

فإلاّ يكن ذنبٌ فعدلُك واسعٌ وإن كان لي ذنبٌ فعفوك أوسعُ [٢]

وفي رواية أخرى : أن هذين البيتين اللذين لأبي نواس من جملة أبيات منها :

تذكَّرْ أمينَ الله ، والعهدُ يُذكرُ مقامي وإنشاديكَ،والناسُ حُضَّرُ

ونشري عليك الدرَّ بادُرِّ هاشمٍ فيا مَن رأي دُرّاً على الدُّرّ يُنثَرُ[٣]

* * *

النحويين واللغويين ٥٥ ، وديوان المعاني ١/ ٩ ، والأغاني ١٥ / ٢٠ ، ودرّة الغواص ١٤١ ، والجليس ٢/ ٤٠٦ ، ونزهة الألبّاء ٨٦ ، وإنباه الرواة ٣/ ٣٤٨ ، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٣٨ ، وشرح المقامات

الخبر الثامن والتسعون

وبالإسناد عن النضر بن شميل[1] قال :

دخلت على المأمون بمروَ وعليّ أطمارٌ أخلاق ، فقال لي : يانضر ، تدخل عليّ في مثل هذه الخُلقان ، على مثل هذا التقشّف. قلت : أنا شيخٌ ، وأُحبّ أن أتبرّد بهذه الخلقان . ثم تجاذبْنا أطراف الحديث ، فأخذنا في ذكر النساء ، فقال المأمون : حدثني هُشيم بن بشير عن مُجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وكمالها وجمالها كان ذلك سَداداً من عَوَز »[2] قال : قلت : ياأمير المؤمنين ، صدق هُشيم . وأخبرني عَوف الأعرابي ، عن الحسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه سلام الله عليه أن النبي ﷺ قال : « إن الرجل إذا تزوّج المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان ذلك سداداً من عوز » .

وكان المأمون متّكئاً فاستوى جالساً وقال : يانضر ، السَّداد في هذا

١٨٧/٣ . والنضر لغوي أديب ، أخذ عن الخليل وغيره ، له مؤلّفات في اللغة ، توفي سنة ٢٠٤هـ . ينظر الطبقات والنزهة والإنباه والمعجم - الصفحات السابقة .

(٢) الحديث في المصادر السابقة ، ونقله في كنز العمال ٢٨٩/١٦ ، عن الشيرازي في الألقاب ، عن ابن عباس وعلي .

(٣) يجوز فتح السين وكسرها ، والكسر أفصح . ينظر الصحاح واللسان - سد . وسيذكر ذلك المؤلف .

(٤) ديوان العرجي ٣٤ - والمصادر السابقة .

الموضع لحن ؟ قلت : {نعم} ياأمير المؤمنين . قال {المأمون} : أتلحّنني ؟ قلت : ياأمير المؤمنين { لم تلحن } ، وإنما لحن هشيم . فقال لي : ماالفرق بين السَّداد والسّداد ؟ قلت : السَّداد : القصد في الدين والسبيل . والسّداد البُلغة سدّ به شيء [٣] . قال : أتعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم ، هذا العرجيّ يقول :

أضاعوني ، وأيَّ فتى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسِداد ثَغْرِ

كأنّي لم أكن فيهم وسيطاً ... ولم تكُ نسبتي في آل عمرو(٤)

فأطرق المأمون طويلاً ثم قال : قبحَّ الله اللحن . فقلت : مالحن أمير المؤمنين ، وإنما لحن هُشيم ، وكان لحّانا ، فاتّبع أمير المؤمنين ألفاظه ، وقد تتّبع الألفاظ .

قال : كيف روايتك الشعر ؟ قلت : قد رويت الأكثر منه . قال : أنشدني أحسن ماقيل في الحِلم ، فأنشدته :

إذا كان دوني مَن بُليتُ بجهله ... أَنِفْتُ لنفسي أن أُقابِلَ بالجَهْل

وإن كان مثلي في محلٍّ من العلا ... هَوِيْتَ لنفسي أن تحلّ عن المثل

وإن كُنْتُ أدنى منه في الفضل والحِجا ... عرفت له حقّ التقدم والفضل

---

(٥) حمزة بن بيض شاعر مجيد ، اتصل بالخلفاء والأمراء . توفي سنة ١٢٠هـ . معجم الأدباء ٢٨/١٠ ، وفوات الوفيات ٣٩٥/١ .

(٦) في الأصل (عروة) والصواب من المصادر ، وهو الحكم بن عبدل الأسدي . ينظر ديوان الحماسة

قال المأمون : ماأحسن ماقال ! فأنشدني أحسن ماقالته العرب في الحزم . فأنشدته :

على كلّ حالٍ فاجعل الحزم عُدَّة لِما أنت باغيه وعوناً على الدَّهر

فإنْ نِلْت أمراً نلته عن عزيمةٍ وإن قصرت عنك الحظوط فعن عُذْر

قال المأمون : فما أحسن ماقال : فأنشدني أحسن ماقيل في استجلاب العدوّ ليكون صديقاً ، فأنشدته :

وذي غيلة سالمتُه فَقَهَرْتُه وأوفَرْته منّي بعبء التجمّلِ

ومن لايُدافِعْ سيئاتِ عدوّه بإحسانه لم يأخذ الطول عن عَلِ

ولم أر في الأشياء أسرع مهلكاً لبغضٍ قديم من وداد معجَّلِ

قال : ماأحسن ماقال .فأنشدني أحسن ماقالته العرب في السكوت ، فأنشدته :

إنّي ليهجرني الصديقُ تجنُّباً فأُريه أنّ لهجره أسبابا

وأراه إن عاتبته أغرَيْتُه فيكون تركي للعتاب عتابا

وإذا ابتليت بجاهلٍ متجمّلٍ يجد المحال من الكلام صوابا

أوليْتُه منّي السكوت وربما كان السكوتُ عن الجواب جوابا

قال القاضي : وفي رواية أخرى مايخالف ذلك : وهي أن المأمون لمّا قال للنضر : هل تروي من الشعر شيئاً ؟ قال النضر : نعم ، قال : أنشدني

أخلب بيت قالته العرب ، فأنشدته قول حمزة بن بيض[٥] في الحكم بن العاص حيث يقول :

تقول لي والعيونُ هاجعةٌ ... أقِمْ علينا يوماً فلم أُقِمِ

أيَّ الوجوه انتجعْتَ قلت لها ... وأيّ وجهٍ إلاّ إلى الحكم

متى يَقُلْ صاحبا سُرادقِه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم

قد كنت أقسمت قبلُ مُقتبلاً ... فهات وادخلْ وأعطني سلمي

قال المأمون : أحسن والله ، فأنشدني أقنع بيت قالته العرب ، فأنشدته قول ابن عبدل [٦] :

أطلب مايطلب الكريمُ من الرّ ... زق بنفسي وأجملُ الطَّلَبا

وأحلب الثرّة الصفيَّ ولا ... أحلبُ أخلاف غيرها حلبا[٧]

إنّي رأيت الفتى الكريم إذا ... رغّبْته في صنيعة رَغِبا

والنذلَ لا يطلب العلاء ولا ... يعطيك شيئاً إلا إذا رَهِبا

مثل الحمار المُوقع السوء لا ... يحسن مشياً إلا إذا ضربا

قد يُرزق الخافض المقيم وما ... شدّ للعِيس رحلاً ولاقتبا

ويحرمُ الرزقَ والمطيّة والرّ ... حلِ ومنْ لايزال مغتربا

٦١٩/١ .

(٧) الثرة : الناقة الغزيرة اللبن.

(٨) السيساء : منتظم فقار الظهر .

(٩) ينظر الخلاف في نسبة القصيدة في حواشي ديوان الحماسة ٣٢٢/٢ .

(١٠) في الأصل (مالك أريضة بمرو وأثمارها) وماأثبت من المصادر .

قال المأمون : أحسن والله . أنشدني أنصف بيت قالته العرب ، فأنشدته :

إنّي وإن كان ابن عمي عاتِباً ... لمزاحمٌ من خَلفِه وورائه
ومفيدُه نصري وإن كان امرأً ... متباعداً في أرضه وسمائه
وأكون والي سرّه فأصونُه ... حتى يكون عليّ وقتُ أدائه
فإذا الحوادث أجْحَفت بسَوامه ... فرأيت مُجْحِفَها إلى جَربائه
وإذا دعا باسمي ليركب مركباً ... صعُبت،ركبْتُ له على سِيسائه[8]
وإذا رأيتُ عليه بُرداً ناضِراً ... لم يُلْفِني متوسّماً لردائه[9]

قال : أحسن والله .

قال القاضي : هذا اختلاف الروايتين ، ثم اتّفقتا على أن قال المأمون بعد ذلك للنضر: مامالك ؟ قال : أُريضة بمرو الروذ أتمزّز ثمارها[10] . قال المأمون : أفلا نزيدك إلى مالك مالاً ؟ قال النضر : إن رأى أمير المؤمنين ذلك. فدعا المأمون بدواة ، وقرطاس ، وكتب مالم يطّلع عليه النضر ، ثم قال : يانضر ، إذا أردت أن تترب كتابك كيف تأمر بذلك ؟ قال النضر :

---

(١١) هكذا نقله المؤلف ، وأعاده بعد . والذي في المصادر (مُترب) على أنه من أترب رباعياً ، ويقال : ترّب ، فهو مترّب . ولم أقف على ماذكر المؤلف .
(١٢) في الأصل (السحاة) . (١٣) سحا الشيء يسحوه ويسحيه : قشره ومحاه .

أترِب الكتاب ياغلام. قال : والكتاب إذن ماذا ؟ قال النضر :متروب[11] .

قال : كيف تأمر من السحي[12] ؟ قال : اسح [13] الكتاب ياغلام ، قال : فالكتاب إذن ماذا ؟ قال النضر : مسحيّ ومسحوّ .

قال : فمن الطين ؟ قال : طِن الكتاب ياغلام . قال : فهو ماذا ؟ قال : مطين وفي رواية أخرى : طِن وأطن [14] .

قال المأمون : ياغلام ، اترب واسح وطِنْ . ثم قال : امضِ إلى الفضل ابن سهل بهذا الكتاب . قال : فمضيت إليه وأوصلته به ، فقال : بمَ استأهلت أن يأمر لك أمير المؤمنين بخمسين ألف درهم ؟ فحدّثته الحديث على وجهه . فقال : لحّنت أمير المؤمنين ؟ قلت : مالحن أمير المؤمنين ، وإنما لحن هُشيم ، فتبع أمير المؤمنين لفظه . فأعطاني الخمسين وثلاثين ألفاً من عنده[15] .

قال القاضي : أخطأ النضر في تلحينه المأمون ، فسداد[16] من عوز بفتح السين وكسرها لغتان جائزتان ، إلا أن الكسر أفصح .

---

(١٤) يقال : طان ، وأطان ، وطيّن . اللسان - طين .

(١٥) وفي بعض الروايات (أربعين ألفا) .

(١٦) في الأصل (في تلحينه ببيتين سداد) .

(١) سيرة ابن هشام ١٤٩/٢-١٥١ ، وتاريخ دمشق ٣٧٥/٤ ، والسير ٥٢٠/٢ .

(٢) الأطيمة : الموقد .

(٣) البيت في ديوان حسان ٤٠/١ ، وفيه مصادر للقصيدة ، وليس فيها القصة التي رواها المؤلف.

(٤) مابين المعقوفين سقط من المخطوطة ، وأكملته من المصادر : ينظر المصون ٣ ، والموشح ٨٢ ،

وأما ماذكر من الأمر بوضع الكتاب على التراب ففيه اللغتان : ترب الكتاب بغير همزة ، وأتربه بهمزة . فإذا أمرت من ترب قلت : اترب ، مثل ادخل ، والكتاب متروب مثل مدخول ، وإذا أمرت من أتربَ قلت : أترِب بفتح الهمزة وكسر الراء {مثل} أكْرِم ، والكتاب مُتْرَب مثل مُكرم .

وأما السحي ففي الفعل لغتان : سحوت الكتاب أسحوه ، وسحيته أسحيه ، فإذا أمرت من سحوت قلت : أُسْحُ ، مثل أُغزُ ،فالكتاب مَسْحُوّ ، مثل مغزوّ ، وإذا أمرت من سحيت قلت : اسْحِ ، مثل ارمِ ، والكتاب مَسْحِيّ ، مثل مَرمِيّ .

فأما الطين فلا أتحقّق قول النضر ، والمتحقّق : طان الكتاب بغير همزة والأمر منه طِن ، مثل صِد ، والكتاب مَطين ، مثل مصيد .

* * *

الخبر التاسع والتسعون

وبالإسناد عن عبد الرحمن بن حسان ، عن أبيه حسان بن ثابت أنّه قال[1] :

قلت بيتاً في الجاهلية ، فخشيت أن أموت قبل أن أصبح ، فصعدت فوق أطيمة[2] لي ثم صحت بالأوس ، فاجتمعوا فقالوا : هل طرقك أمر ؟ فقلت : لا ، ولكني قلت بيتاً فخشيت أن أموت قبل أن أُسْمِعْكموه . فقالوا: ومادعوتنا إلا لهذا ؟ قلت : نعم . قالوا : فهاتِه . فأنشأ يقول :

رُبَّ حِلمٍ أضاعَه عَدَم الما ل وجهلٍ غطّى عليه النعيمُ[3]

قال : فاستحسن الكل ذلك ، ثم ابتدأت بها ، فقلت أبياتاً ، وخرجت إلى الموسم ، وكان النابغة الذبياني تضرب له [قبة من أدم بسوق عكاظ ، فيأتيه الشعراء ، وينشدون أشعارهم فأنشد حسان :

لنا الجفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْن في الضحى وأسيافُنا يَقْطُرن من نجدةٍ دما

ولَدنا بني العنقاء وابني مُحَرَّقٍ فأكْرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بنا ابنما

والأغاني ٨/ ١٩٥ ، والخزانة ٨/ ١١٠ ، والبيتان في ديوان حسان ١/ ٣٥ .

(٥) وكذلك أسياف جمع قلة ، وجمع الكثرة سيوف .

(١) تحدّث أبي الفرج في كتابه « مقاتل الطالبين » ٣١٥ ومابعدها بالتفصيل عن إبراهيم بن عبد

قال النابغة : أنت شاعر ، ولكنك قلّلت جفانك وسيوفك } [٤] ولم تكثّرها ، وافتخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولَدك ، فعاب عليه موضعين من هذين البيتين ، وهو عيب صحيح .

ومعنى قوله : « قلّلت جفانك » أن جَفَنات جمع القليل [٥] وجمع الكثير جِفان ، والفخر بالكرم ينبغي أن يكون بالكثير لا بالقليل .

* * *

الله ، وذكر ص ٢٥٠ هذا الخبر ، وهو في الفرج ١/ ٧٠ .

(٢) في الأصل (شدّه) وهذه من المقاتل والفرج .

(٣) ورد في كتب الحديث عدد من الأحاديث الصحيحة وغيرها تتحدث عن صلة الرحم ، وفضلها .

الخبر المائـــة

وبالإسناد، أن جعفراً الصادق عليه السلام قال [1] :

لما قتل المنصور إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين عليهما السلام وجه إلى المدينة فلم يبق فيها محتلم من ولد أبي طالب حتى حمله . فكُنت فيمن حُمل ، فأقمنا على بابه شهراً نتوّقع كلَّ يوم القتل ، فلما كان بعد شهر خرج إلينا صاحبه ربيع فقال : مَنْ هاهنا من ولد أبي طالب ؟ فقُمنا إليه . فقال : يدخل منكم اثنان من دوي الحِجا . فدخلت أنا والحسن بن زيد بن عليّ . فلما صِرْنا بين يديه قال : أنت الذي يقول إنك تعلم الغيب ؟ قلت : لايعلم الغيب إلا الله عزّ وجلّ. قال : أفأنت الذي يُجبى إليه الخراج ؟ قلت : يُجْبَى الخراج لأمير المؤمنين . قال : أفتدري لم وجّهت لكم ؟ قلت : لا أعلم . قال: وجّهت أعقر نخيلكم ، وأهدم ربعكم ، وأقتل مقاتليكم ، وأشرّد باقيكم في جبال السّراة ، فإن أهل العراق وأهل الحجاز لكم مفسدة[2] . فقلت : ياأمير المؤمنين إن سليمانَ أُعطي فشكر ، وإن أيوب ابتُلي فصبر ، وإن يوسف ظُلم فغَفر ، وإنّ أولى الناس باتّباع سنن آبائك

ينظر صحيح البخاري - الأدب ٤١٤/١٠ ومابعدها (فتح الباري) ، والترمذي - البر ١٦٤/٦ ، وأبو داود الزكاة ٣٢٢/٢ ومابعدها ، والمسند ١٩١/١ ، ١٩٤ ، ٤٩٨/٢ ، ومجمع الزوائد ١٤٩/٨ ومابعدها ، وكنز العمال ٣٥٦/٣ ومابعدها .

لأنت ياأمير المؤمنين . قال : فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه إليّ فقال : أعِد عليّ القول ، فأعدته عليه . فقال : مثلك يكون زعيم القوم ، وقد عفوت عنكم ، ووهبت لكم جرم أهل البصرة .

حدّثني الحديث الذي حدّثك به أبوك ، عن جدّك ، عن الحسن بن علي ابن أبي طالب صلوات الله عليهم في صلة الرحم . قال : قلت : حدّثني أبي محمد ، عن أبيه علي ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أنّه قال : « صلة الرحم تعمّر الديار ، وتزيد في الأعمار ، وتكثر العَمار ، وإن كانوا كفاراً »[٣] قال : ليس هذا الحديث الذي أردت . قلت : حدّثني أبي عن جده عن أبيه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله تعالى : « أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، واشتققتها من اسمي ، فمن وصلَها وصَلْته ، ومن قطعها بتتّه » قال : ليس هذا الحديث أردت .

قال : قلت : حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبيه علي بن أبي طالب ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى خلق الرحم ، فهي متعلّقة بساق العرش ، تقول : اللهم صِلْ مَنْ وَصَلَني ، واقطع من قطعني »

---

(١) في الأصل (ثلاثين) .

* وفي آخره : (وكان الفراغ من نسخه يوم الثلاثـ(ـــاء) وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم) .

قال : ليس هذا أردت .

قال : قلت : حدّثني أبي ، عن جدّه ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب عن النبيّ ﷺ أنه قال : أيّما مَلِكٍ من الملوك كان واصلاً لرحمه ، وقد بقي من عمره ثلاث سنين صيّرها ثلاثين سنة ، وأيما ملك من الملوك كان قاطعاً لرحمه، وقد بقي من عمره ثلاثون[1] سنة صيّرها ثلاث سنين » . قال : نعم هذا الحديث أردت ، والله لأصلنّكم ولا أقطعنّكم . أي البلاد أحبُّ إليكم ؟ قال : المدينة . فسرَّحَنا إليها .

* * *

قال القاضي : هذا آخر المائة الخبر التي وعدنا بها في صدر الكتاب

والحمدُ للّه وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلامه *

* * *

تمّ

فهـــرس الشعـــر

* * *

فهرس الأعلام

* * *

فهرس القبائل والجماعات

*   *   *

فهرس البلدان والمواضع

* * *

المصـــادر

- أخبار الزجاجي - تحقيق د. عبد الحسين الفتلي - بغداد : دار الرشيد ١٤٠١هـ .

- أخبار شعراء الشيعة - للمرزباني - تحقيق محمد هادي الأميني - النجف : المكتبة الحيدرية ١٣٨٨هـ .

- الأخبار الموفقيات - للزبير بن بكّار - تحقيق د. سامي مكي العاني - بغداد : وزارة الأوقاف ١٣٩٣هـ.

- أخبار أبي نواس - لابن منظور - القاهرة : مطبعة الاعتماد ١٣٤٣هـ .

- أدب الدنيا والدين - للماوردي - تحقيق مصطفى السقا - بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ .

- الازدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار- للسيوطي - تحقيق د. علي حسين البواب - بيروت : المكتب الإسلامي ١٤١١هـ .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لابن عبد البر (على هامش كتاب الإصابة - الآتي) .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة - لابن الأثير - القاهرة : المطبعة الوهبية ١٢٨٠هـ .

- أسرار البلاغة - للعاملي - القاهرة : الحلبي ١٣٧٧هـ (مع كتاب المخلاة للمؤلف نفسه) .

- أسماء المغتالين - لابن دريد - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ١٩٥٤م (نوادر المخطوطات : المجموعة السادسة) .

- الاشتقاق - لابن دريد - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة : الخانجي ١٩٥٨م .
- الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر - القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ .
- الأصمعيات - للأصمعي - تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون - القاهرة : دار المعارف ١٣٨٤هـ .
- إعلام الناس - للأتليدي - الإسكندرية : ١٢٩٠هـ .
- الأغاني - لأبي الفرج الأصبهاني - القاهرة : بولاق ١٢٨٥هـ.
- الأمالي - للزجاجي - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ١٣٨٢هـ .
- الأمالي - للشريف المرتضي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ .
- الأمالي - للقالي - القاهرة : الهيئة المصرية العامة ١٩٧٦م .
- الأمالي - لليزيدي - تحقيق كرنكو - الهند - حيدر آباد : دائرة المعارف ١٩٣٨م .
- الإمامة والسياسة - لابن قتيبة - القاهرة : مطبعة القاهرة .
- الأمثال - لأبي عبيد - تحقيق د. عبد المجيد قطامش - مكة المكرمة : جامعة أم القرى ١٤٠٠هـ .

- الأمل والمأمول - للجاحظ - تحقيق د. رمضان ششن - بيروت : دار الكاتب الجديد ١٣٨٨هـ .
- الإنباء في تاريخ الخلفاء - لابن العمراني - تحقيق د. قاسم السامرائي - الرياض : دار العلوم ١٤٠٢هـ .
- إنباه الرواه على أنباه النحاة - للقفطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : دار الكتب المصرية ١٩٥٠م .
- البداية والنهاية - لابن كثير - بيروت : مكتبة المعارف ١٩٦٦م (مصورة) .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان - للجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - بغداد : دار الرشيد ١٩٨٢م .
- بلاغات النساء - لابن طيفور - القاهرة : مطبعة والد عباس الأول ١٣٢٦هـ .
- بهجة المجالس - لابن عبد البر - تحقيق د. محمد مرسي الخولي - القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٣٨٢هـ .
- البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة : الخانجي ١٩٧٥م .
- تاج العروس - للزبيدي - القاهرة : المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ .
- تاريخ بغداد -للخطيب البغدادي-بيروت:دار الكاتب العربي (مصورة) .
- تاريخ دمشق - لابن عساكر - مخطوطة مصورة - نشر مكتبة التراث بالمدينة المنورة .

- تاريخ الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : دار المعارف ١٩٦٠م .
- تاريخ اليعقوبي - النجف : المكتبة المرتضوية ١٣٥٨هـ .
- تثقيف اللسان - لابن مكي الصقلي - تحقيق د. عبد العزيز مطر - القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦م .
- التذكرة الحمدونية - لابن حمدون - تحقيق د. إحسان عباس - بيروت : معهد الإنماء العربي .
- تراجم النساء - لابن عساكر (جزء من تاريخ دمشق) تحقيق سكينة الشهابي - دمشق : مجمع اللغة العربية ١٤٠٣هـ .
- تفسير القرآن الكريم للطبري - القاهرة : بولاق ١٢٨٤هـ .
- تفسير القرآن الكريم للقرطبي - القاهرة : دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.
- تمام المتون - للصفدي - تحقيق محمد أبو الفضل - القاهرة : دار الفكر ١٣٨٩هـ .
- التمثيل والمحاضرة - للثعالبي - تحقيق د. عبد الفتاح الحلو - القاهرة : الحلبي ١٣٨١هـ .
- ثمرات الأوراق - لابن حجة الحموي (بهامش كتاب المستطرف : الآتي)
- جامع الأصول من أحاديث الرسول - لابن الأثير - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - دمشق : مكتبة الحلواني ١٣٨٩هـ .
- الجليس الصالح والأنيس الناصح - تحقيق د. محمد مرسي الخولي - بيروت : عالم الكتب ١٤٠٣هـ .

- جمع الجواهر - للحصري - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة : دار إحياء الكتاب العربية ١٣٧٢هـ .
- جمهرة أشعار العرب - لأبي زيد القرشي - تحقيق د. محمد علي الهاشمي - الرياض : جامعة الإمام ١٤٠١هـ .
- جمهرة الأمثال - للعسكري - تحقيق د. عبد المجيد قطامش ومحمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ١٩٦٤م .
- حاشية على شرح بانت سعاد - للبغدادي - تحقيق نظيف محمد خواجة - ألمانيا - فسبادن ١٤٠٠هـ .
- حلية الأولياء - لأبي نعيم الأصبهاني - بيروت : دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ (مصورة) .
- حلية المحاضرة - للحاتمي - تحقيق د. جعفر الكتاني - بغداد : دار الرشيد ١٣٩٩هـ .
- الحماسة - للبحتري - تحقيق لويس شيخو اليسوعي - بيروت : مطبعة اليسوعيين ١٩١٠م .
- الحماسة - لأبي تمام = ديوان الحماسة .
- حياة الحيوان - للدميري - القاهرة : المكتبة التجارية ١٩٦٣م .
- خزانة الأدب - للبغدادي - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة : دار الكاتب العربي ١٣٨٧هـ .
- الدرّ المنثور - للسيوطي - القاهرة : المطبعة الميمنة ١٣١٤هـ .

- الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود - لعبد الرؤوف المناوي - مخطوط تونس : مكتبة حسن حسني ١٨٥١٥ .
- درّة الغوّاص - للحريري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : مكتبة نهضة مصر ١٩٧٥م .
- ديوان * الأحوص - تحقيق د. عادل سليمان - القاهرة - الهيئة المصرية ١٣٩٠هـ .
- ديوان الأخطل - تحقيق د. فخر الدين قباوة - حلب : دار الأصمعي ١٣٩٠هـ .
- ديوان أبي الأسود الدؤلي - تحقيق د. عبد الكريم الدجيلي - بغداد : شركة النشر ١٣٧٣هـ .
- ديوان الأسود بن يعفر - تحقيق د. نوري القيسي - بغداد : وزارة الثقافة ١٣٨٨هـ .
- ديوان الأعشى - تحقيق د. محمد محمد حسين - بيروت : المكتب الشرقي ١٣٨٨هـ .
- ديوان الأفوه الأودي (ضمن الطرائف الأدبية) تحقيق عبد العزيز الميمني القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٣م .
- ديوان امرىء القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : دار المعارف ١٣٨٤هـ .
- ديوان البحتري - تحقيق حسن كامل الصيرفي - القاهرة : دار المعارف ١٩٦٣م .

* رتبت الدواوين الشعرية تحت كلمة (ديوان) على اختلاف عنواناتها .

- ديوان بشار بن برد - تحقيق محمد الطاهر بن عاشور - القاهرة : لجنة التأليف ١٣٨٦هـ .
- ديوان أبي تمام - تحقيق د. محمد عبده عزام - القاهرة : دار المعارف ١٣٧١هـ .
- ديوان جرير - تحقيق د. نعمان طه - القاهرة : دار المعارف ١٩٧١م .
- ديوان جميل - تحقيق د. حسين نصار - القاهرة : مكتبة مصر .
- ديوان حاتم الطائي - تحقيق د. عادل سليمان - القاهرة : مطبعة المدني.
- ديوان الحارث المخزومي - تحقيق د. يحي الجبوري - النجف : مطبعة النعمان ١٣٩٢هـ .
- ديوان حسان بنْ ثابت - تحقيق د. وليد عرفات - بيروت : دار صادر ١٣٩٤هـ .
- ديوان الحسين بن الضحاك (الخليع) - تحقيق عبد الستار فرّاج - بيروت : دار الثقافة ١٣٨٠هـ .
- ديوان الحطيئة - تحقيق نعمان أمين طه - القاهرة : الحلبي ١٣٧٨هـ .
- ديوان الحماسة - لأبي تمام - تحقيق د. عبد الله العسيلان - الرياض : جامعة الإمام ١٤٠١هـ .
- ديوان الخريمي - تحقيق علي جواد الطاهر ومحمد جبار المعيبد - بيروت : دار الكاتب الجديد ١٩٧١م .
- ديوان الخنساء - بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٣١٤هـ .
- ديوان دريد بن الصمة - تحقيق محمد خير البقاعي - دمشق : دار قتيبة ١٤٠١هـ .

- ديوان دعبل - تحقيق د. عبد الكريم الأشتر - دمشق : مجمع اللغة العربية ١٩٦٤م .
- ديوان أبي زبيد الطائي - تحقيق د. نوري حمودي القيسي - بغداد : مطبعة المعارف ١٩٦٧م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى - القاهرة : دارالكتب المصرية ١٣٦٣هـ .
- ديوان الزيّات - تحقيق د. جميل سعيد - القاهرة : مكتبة الفجالة ١٩٤٩م .
- ديوان الشافعي - تحقيق زهدي يكن - بيروت : دار الثقافة ١٩٦١م ، وتحقيق محمد عفيف الزعبي - بيروت : دار الجيل ١٣٩١هـ .
- ديوان أبي الشيص - تحقيق د. عبد الله الجبوري - النجف : مطبعة الآداب ١٣٨٦هـ .
- ديوان طرفة بن العبد - تحقيق ماكسن سلغسون - باريس ١٩٠١م .
- ديوان الطرماح - تحقيق د. عزة حسن - دمشق -وزارة الثقافة ١٩٦٨م.
- ديوان عامر بن الطفيل - بيروت - دار صادر ، ودار بيروت ١٣٨٣هـ .
- ديوان العباس بن مرداس - تحقيق د. يحي الجبوري - بغداد : مديرية الثقافة والإعلام ١٣٨٧هـ .
- ديوان عبيد بن الأبرص - تحقيق د. حسين نصار - القاهرة : الحلبي ١٩٧٧م .
- ديوان أبي العتاهية - بيروت : دار صادر ، ودار بيروت ١٣٨٤هـ .
- ديوان عدي بن زيد - تحقيق محمد جبار المعيبد - بغداد : دار الجمهورية

١٩٦٥م .
- ديوان عدي بن الرّقاع - تحقيق د. نوري القيسي ، د. حاتم الضامن - بغداد : المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ .
- ديوان العرجي - تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي - بغداد : الشركة الإسلامية ١٣٧٥هـ .
- ديوان عروة بن أذينة - تحقيق د. يحيى الجبوري - بيروت : المطبعة التعاونية ١٩٧٠م .
- ديوان العطوي (شعراء بصريون) تحقيق محمد جبار المعيبد - بغداد : مطبعة الإرشاد ١٩٧٧م .
- ديوان علي بن أبي طالب - تحقيق عبد العزيز سيد الأهل - بيروت : دار بيروت ١٣٩٣هـ .
- ديوان عمر بن أبي ربيعة - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة : المكتبة التجارية ١٣٨٤هـ .
- ديوان عمرو بن قميئة - تحقيق حسن كامل الصيرفي - القاهرة : معهد المخطوطات ١٣٨٥هـ .
- ديوان عمرو بن معد يكرب - تحقيق مطاع الطرابيشي - دمشق : مجمع اللغة العربية ١٤٠٥هـ .
- ديوان عنترة - تحقيق محمد سعيد مولوي - بيروت : المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ .
- ديوان الفرزدق - شرح عبد الله الصاوي - القاهرة : المكتبة التجارية

١٣٥٤هـ .
- ديوان القطامي - تحقيق د. أحمد مطلوب ، د. إبراهيم السامرائي - بيروت : دار الثقافة ١٩٦٠م .
- ديوان كثير عزّة - تحقيق د. إحسان عباس - بيروت : دار الثقافة ١٣٩١هـ .
- ديوان لبيد - تحقيق د. إحسان عباس - الكويت : وزارة الإعلام ١٣٨٢هـ .
- ديوان المتلمّس - تحقيق حسن كامل الصيرفي - القاهرة : معهد المخطوطات ١٣٩٠هـ .
- ديوان المتبني (التبيان) تحقيق مصطفى السقا وزميليه - القاهرة : الحلبي ١٣٩١هـ .
- ديوان المجنون - تحقيق عبد الستار فراج - القاهرة : مكتبة مصر .
- ديوان أبي محجن الثقفي - تحقيق د. صلاح الدين المنجد - بيروت ك دار الكاتب الجديد ١٣٨٩هـ .
- ديوان مروان بن أبي حفصة - تحقيق د. حسين عطوان - القاهرة : دار المعارف ١٩٧٣م .
- ديوان مسلم بن الوليد - تحقيق سامي الدهان - القاهرة : دار المعارف ١٣٩٠هـ .
- ديوان المعاني-لأبي هلال العسكري - القاهرة : مكتبة القدسي ١٣٥٢هـ
- ديوان ابن المعتز - تحقيق د. محمد بديع شرف - القاهرة : دار المعارف

١٩٧٧م .
- ديوان ابن مقبل - تحقيق د. عزة حسن - دمشق : مديرية إحياء التراث ١٣٨١هـ .
- ديوان النابغة الجعدي - دمشق : المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ .
- ديوان النابغة الذبياني - تحقيق محمد الطاهر بن عاشور - تونس : الدار التونسية ١٩٧٦م .
- ديوان نصيب بن رباح - تحقيق د. داود سلوم - بغداد : مطبعة الإرشاد ١٣٨٧هـ .
- ديوان النمر بن تولب - تحقيق د. نوري القيسي - بغداد : مطبعة المعارف ١٩٦٨م .
- ديوان أبى نواس - تحقيق أحمد عبد المجيد غزالي - بيروت : دار الكاتب العربي ١٩٧٢م .
- ديوان ابن هرمة - تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان - دمشق : مجمع اللغة العربية ١٩٦٩م .
- ذكر أخبار أصبهان - لأبي نعيم الأصبهاني - طهران : مؤسسة النصر .
- ذمّ الهوى - لابن الجوزي - تحقيق مصطفى عبد الواحد - القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٨١هـ .
- ذيل الثمرات - لابن حجة الحموي - (مع كتاب المستطرف - الآتي) .

- ربيع الأبرار - للزمخشري - تحقيق د. سليم النعيمي - بغداد : وزارة

الأوقاف ١٩٧٦م .

- روضة العقلاء - لابن حبان - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وزميليه - بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٧٥م (مصورة) .

- زهر الآداب - للقيرواني - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٩هـ .

- سجع الحمام من حكم الإمام ، لعلي الجندي ، ومحمد أبو الفضل ومحمد المحجوب - القاهرة : مكتبة الأنجلو ١٩٨٧م .

- سمط اللآلي - للبكري - تحقيق عبد العزيز الميمني - القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٦م .

- سنن الترمذي - تحقيق عزّة الدعاس - حمص : دار الدعوة ١٣٨٥هـ .

- سنن أبي داود - تحقيق عزة الدعاس وعادل السيد - حمص : دار الحديث ١٣٨٨هـ .

- سنن ابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة : الحلبي ١٩٥٢م .

- سير أعلام النبلاء - للذهبي - تحقيق مجموعة - بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ ومابعدها .

- السيرة النبوية - لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وزميليه - القاهرة : الحلبي ١٩٣٦م .

- شرح ديوان الحماسة - للتبريزي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد-

القاهرة : مطبعة حجازي ١٣٥٨هـ .
- شرح شواهد (أبيات) المغني - للبغدادي - تحقيق عبد العزيز رباح ، وأحمد الدقاق - دمشق : دار المأمون للتراث ١٣٩٣هـ ومابعدها .
- شرح المضنون به على غير أهله - للعبيدي - بغداد : مكتبة دار البيان
- شرح المقامات - للشريشي - القاهرة : مطبعة عبد الحميد حنفي ١٣٧٢هـ
- شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة : الحلبي ١٩٥٩م ومابعدها .
- الشعر والشعراء - لابن قتيبة - تحقيق أحمد شاكر - القاهرة : دار المعارف ١٩٦٦م .
- الصحاح - للجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - بيروت : دار العلم للملايين ١٣٩٩هـ .
- صحيح البخاري = فتح الباري .
- صحيح سنن ابن ماجه - لناصر الدين الألباني - الرياض : مكتبة التربية لدول الخليج العربي ١٤٠٨هـ .
- صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة : الحلبي .
- طبقات فحول الشعراء - لمحمد بن سلام - تحقيق محمود شاكر - الرياض : جامعة الإمام ١٣٩٤هـ .
- طبقات النحويين واللغويين - للزبيدي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : دار المعارف ١٣٩٣هـ .
- طراز المجالس - للخفاجي - القاهرة : المطبعة الوهبية ١٢٨٤هـ .

- العفو والاعتذار - لمحمد بن عمران العبدي - تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح - الرياض : جامعة الإمام ١٤٠١هـ .
- العقد الفريد - لابن عبد ربه - تحقيق أحمد أمين وزميليه - القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م .
- عقلاء المجانين - للنيسابوري - تحقيق محمد بحر العلوم - النجف : المكتبة الحيدرية ١٣٨٨هـ .
- العمدة - لابن رشيق - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - بيروت : دار الجيل ١٤٠١هـ (مصورة) .
- عيون الأخبار - لابن قتيبة - القاهرة : دار الكتب المصرية ١٣٤٨هـ .
- غرر الخصائص الواضحة - للوطواط - القاهرة : دار الطباعة السنية ١٢٨٤هـ .
- الفاخر - للمفضل بن سلمة - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة : الحلبي ١٩٧١م .
- الفاضل - للمبرد - تحقيق عبد العزيز الميمني - القاهرة : دار الكتب ١٣٧٥هـ .
- الفائق - للزمخشري - تحقيق محمد علي البجاوي ، محمد أبو الفضل - القاهرة : الحلبي ١٩٧١م .
- فتح الباري (شرح صحيح البخاري) لابن حجر - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة : المكتبة السلفية .
- الفتوح - لابن أعثم - الهند - حيدر آباد : دائرة المعارف ١٣٨٨هـ

ومابعدها .
- الفرج بعد الشدّة - للتنوخي - القاهرة : الخانجي ١٣٧٥هـ .
- الفهرست - لابن النديم - تحقيق رضا تجدّد - طهران : مكتبة الأسدي.
- فهرس مخطوطات مكتبة تشستربيتي - إعداد اربري - ايرلندا - دبلن ١٩٥٥م ومابعدها .
- فوات الوفيات - لابن شاكر الكتبي - تحقيق د. إحسان عباس - بيروت دار صادر ١٩٧٤م .
- الكامل - لابن الأثير - بيروت : دار صادر ، ودار بيروت ١٣٨٥هـ .
- الكامل - للمبرد . تحقيق محمد أبو الفضل والسيد شحاته - القاهرة : مكتبة نهضة مصر ١٣٧٦هـ .
- الكتاب - لسيبويه - تحقيق عبد السلام هارون - الهيئة المصرية العامة ١٣٩٥هـ ومابعدها .
- كتاب بغداد - لابن طيفور - القاهرة : مكتب نشر الثقافة ١٣٦٨هـ .
- كشف الخفاء - للعجلوني - حلب : مكتبة التراث الإسلامي .
- كنز العمال - للمباركفوري - تحقيق بكري حياتي - بيروت : مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ .
- لباب الآداب - لأسامة بن منقذ - تحقيق أحمد شاكر - القاهرة : المطبعة الرحمانية ١٩٣٥م .
- لسان العرب - لابن منظور - بيروت : دار صادر .
- لسان الميزان - لابن حجر - الهند - حيدر آباد : دائرة المعارف ١٣٣٠هـ

- مجمع الأمثال - للميداني - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة : المكتبة التجارية ١٩٥٩م .
- مجمع الزوائد - للهيتمي - بيروت : دار الكاتب العربي ١٩٦٧م (مصورة) .
- المحاسن والأضداد - للجاحظ - القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٢٤هـ .
- المحاسن والمساوىء - للبيهقي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : مكتبة نهضة مصر ١٩٦١م .
- المحاضرات - للراغب الأصبهاني - القاهرة : بولاق ١٢٨٧هـ .
- المحبّر - لمحمد بن حبيب - تحقيق إيلزه ليختن - الهند - حيدر آباد : دار المعارف العثمانية ١٣٦١هـ .
- مختصر سنن أبي داود - للمنذري - تحقيق محمد الفقي وأحمد شاكر - القاهرة : مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ .
- مروج الذهب - للمسعودي - بيروت : دار الأندلس ١٩٧٣م .
- المستجاد من فعلات الأجواد - للتنوخي - تحقيق يوسف البستاني - القاهرة : دار العرب ١٩٨٥م . وتحقيق محمد كرد علي - دمشق : مجمع اللغة العربية ١٣٦٥هـ .
- المستدرك - للحاكم النيسابوري - حلب : مكتبة المطبوعات الإسلامية .
- المستطرف - للأبشيهي- بيروت : دار إحياء التراث الإسلامي (مصورة)
- المستقصى - للزمخشري - الهند - حيدر آباد : دائرة المعارف ١٩٦٢م
- المسند - للإمام أحمد - بيروت : المكتب الإسلامي .

- المصنف - لابن أبي شيبة - تحقيق عبد الخالق خان - بمباي : الدار السلفية ١٣٩٩هـ .
- المصون في الأدب - للعسكري - تحقيق عبد السلام هارون - الكويت : وزارة الإعلام ١٩٦٠م .
- معجم الأدباء - لياقوت الحموي - القاهرة : الحلبي ١٩٣٦م .
- معجم البلدان - لياقوت الحموي - بيروت : دار صادر ١٣٩٩هـ .
- معجم الشعراء - للمرزباني - القاهرة : مكتبة القدسي ١٣٥٤هـ .
- المعجم الكبير - للطبراني - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - بغداد : وزارة الأوقاف ١٣٩٧هـ ومابعدها .
- المعمرون والوصايا - لأبي حاتم السجستاني - تحقيق عبد المنعم عامر - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٣٨١هـ .
- المغازي - للواقدي - تحقيق مارسدن جونس - بيروت : مؤسسة الأعلمي
- مقاتل الطالبيين - لأبي الفرج الأصبهاني - تحقيق السيد أحمد صقر - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٨م .
- مكارم الأخلاق - لابن أبي الدنيا - تحقيق بلمي - ألمانيا - فسبادن ١٩٧٣م .
- الملاحن - لابن دريد - تحقيق محمد اطفيش الجزائري - القاهرة : المطبعة السلفية ١٣٤٧هـ .
- المنتظم - لابن الجوزي - الهند - حيدر آباد : دائرة المعارف ١٣٥٨هـ ومابعدها .

- الموشح - للمرزباني - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة : مكتبة نهضة مصر ١٣٨٥هـ .
- الموشّى - لأبي الطيب الوشاء - تحقيق كمال مصطفى - القاهرة : الخانجي ١٣٧٢هـ .
- الموفّقيات = الأخبار الموفقيات .
- ميزان الاعتدال - للذهبي - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٢هـ .
- نثر الدرّ - للآبي - تحقيق محمد علي قرنة - القاهرة : الهيئة المصرية العامة ١٩٨٠م ومابعدها .
- النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي - القاهرة : دار الكتب المصرية .
- نزهة الألباء - لابن الأنباري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة : دار النهضة المصرية ١٩٨٦م .
- النقائض - لأبي عبيدة - ليدن - بريل ١٩٠٥م .
- نهاية الأرب - للنويري - القاهرة : دار الكتب المصرية ١٣٤٠هـ ومابعدها .
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - للقلقشندي - تحقيق إبراهيم الأبياري - القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨هـ .
- النوادر - للقالي (مع كتاب الأمالي له - السابق) .
- الهفوات النادرة - لمحمد بن هلال - تحقيق د. صالح الأشتر - دمشق : مجمع اللغة العربية ١٩٦٧م .

- الوحشيّات - لأبي تمام - تحقيق عبد العزيز الميمني - القاهرة : دار المعارف ١٣٨٣هـ .

- الوزراء والكتّاب - للجهشياري - تحقيق مصطفى السقا وزميليه - القاهرة : الحلبي ١٣٥٧هـ .

- وقعة صفين - لنصر بن مزاحم - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٥هـ .

- الولاة والقضاة - للكندي - تحقيق روفن جوست - بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ١٣٢٦هـ .

- يتيمة الدهر - للثعالبي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة : مكتبة الحسن ١٩٤٧م .

* * *

الفهرس التفصيلي للموضوعات